"نسخة معاصرة من رواية جاتسبي العظيم"

فريق متميزون

E-BOOK

مصنع الأحذية

چيفري لويس

ترجمة : محمد عثمان خليفة

روايات مترجمة

العربي للنشر والتوزيع

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق -متميزون-

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

مصنع الأحذية

نسخة معاصرة من رواية جاتسبي العظيم

الكاتب: چيفري لويس
ترجمة: محمد عثمان خليفة

إهداء..

إلى "جايل"..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تدمير سيَّارات السِّباق في "بيلبورت" ليلًا

السَّيَّارات تتصادم بكل قُوَّة وعُنفوان داخل الحَلَبَة، في عنادٍ لا يُضاهيه سوى عناد سائقيها. تتصاعد الأدخنة من مُقدِّماتها، وألسنة النِّيران من مُحَرِّكاتها. تُدَوِّي فرقعات هائلة من أنابيب العادم في مُؤخِّراتها. تهدر الأرض تحت الإطارات السَّميكة، بينما امتلأت أرجاء السَّاحة برائحة الكبريت والغاز. إنه سباق في الغضب، يتنافس فيه السَّائقون وسط عاصفة من الأدخنة والغبار، تحت مصابيح الإضاءة الكاشفة التي تقف شاهدةً على صراع الحديد والدَّم.

كان حدثًا جذَّابًا خلال الصيف أن تذهب إلى أرض المعارض القديمة، وتشرب عُلَب البيرة، وتُشاهد "جاري هتشينز" وهو يُدَمِّر سيَّارات الآخرين. كان هذا ما ينتظره الجمهور كله؛ فهم يعرفون عدد الأعوام التي بقيت خلالها سيَّارة "جاري" "اللينكولن" صامدةً، بينما احتضنت ساحات الخُردة رُفات عديد من السَّيَّارات الأخرى التي حاولت الفوز، بطُرُز مُتنوِّعة بين "أولدزموبيل"، و"كرايسلر"، و"شيفروليه". قيمة الجائزة الأولى خمسمائة دولار. ولا يعني هذا أن "جاري" فاز بكل السِّباقات، ولكنه حتى إن حلَّ في المركز الثاني أو الثالث في النهاية، فإن حالة سيَّارته لم تكُن تحتاج إلا لزيارة قصيرة إلى السَّمكري ومجموعة إطارات جديدة، تحضيرًا للسِّباق المُقبل.

كانت السَّيَّارة طراز "كونتنتال 77"، ولها إطلالة جميلة وهي مُتوقِّفة أمام فناء المنزل في "أورنجتون". تبدو دائمًا مُتماسكة، وقويَّة، وعفيَّة. يُدرك "بيرتون مايلز" وبقيَّة مُنافسي "جاري"، والجمهور أيضًا، أنها أفضل سيَّارة شاركت في هذا السِّباق على الإطلاق. ومن الواضح أن مَن يقولون ذلك يَوَدُّون التقليل من شأن صاحبها بقدر ما يُرجعون الفضل إلى سيارته.

وكالمُعتاد، كان "جاري" مُتوهِّجًا في تلك الليلة يجوب الحَلَبَة عند أطرافها، وكأنه يتصيَّد فريسته من بين تلك الوحوش الآلية التي تُصارع بعضها بعضًا في قلب الحَلَبة، إلى أن يُفرز الصراع سيَّارتين مُنهكتين في النهاية. لم يكُن أسلوبه جديدًا، حاول المُنافسون إجباره على الدخول في الصراع معهم، ولكن "جاري" الأذكى دائمًا.

من الصعب إغواؤه، ومن المُحال أن يضعف أمام شهوة الصراع الحمقاء، وكأنه زاهد في السباق. وإن اقترب أحدهم منه، فإنه يُجيد إبعاده. كما يُجيد المُناورة والمُراوغة إن فكَّر أحدهم في الاندفاع نحوه وجهًا لوجه بكل قُوَّة

وسُرعة. وعندما تحين اللحظة الحاسمة، يندفع بكل هيمنة نحو ما تبقَّى من السَّيَّارات المُحطَّمة.

تحت الأضواء الكاشفة تتنامى آمال وتوقُّعات الجمهور. الآن هي مباراة "جاري"، والآن تبدأ لحظات المُتعة، بينما ينطلق بسيَّارته بسُرعة يتطاير لها العُشب والطَّمي من أسفل الإطارات. كان يستهدف سيَّارة "بيتي هاموند" الـ"كابريس". سيَّارة مُستسلمة مُستكينة، لا سبيل أمامها تلوذ إليه، بعد أن فقدت ثلاثة إطارات من الأربعة. انقضَّ "جاري" عليها بكل قوَّة، بمهارة، وبراعة، وبدقَّة محسوبة. قفز الإطار السليم الأخير من مكانه في الـ"كابريس"، مثل مسمار أخير في نعشها. ليُعلن "بيتي" استسلامه. وانسحب "جاري" بسيَّارته مزهُوًّا في اختيال.

نهاية سريعة وغير مُتوقَّعة لليلة السباق وخاصَّةً أن سيَّارة "هارف فورمان" "الكاديلاك" انسحبت بعد انفجار خزان البنزين، ليترك السَّيَّارة لرجال الإطفاء.

صعد "جاري" ليتسلَّم شيكًا بخمسمائة دولار من مسؤولي شركة "إكسيلسيور سبورتس"، الذين يأتون من مقر الشركة في "بانجور" لتنظيم هذا الحدث. "جاري" ضخم الجُثَّة، ومفتول العضلات، يميزه شعر أجعد كثيف، وقد تشبَّع قميصه القطني الأسود بالعرق. لا أثر لارتداء الخوذة في شعره الذي اعتنى بتصفيف خصلاته. صنعت الإضاءة التي أضحت خافتة ظلالًا من حوله، ليزداد تألُّقه في أعيُن جمهوره.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عودة الابن الضَّال

عاد "بيلي هتشينز" من "كاليفورنيا" وفي جُعبته بطاقة بنكية، واثنان وسبعون دولارًا. توقَّف أولًا عند بار "درفي"، وتناول البيرة قبل أن يذهب للقاء أبيه "إيرل". كان "إيرل" في المُخيَّم، حيث يعيش هناك في تلك الأيام. على بُعد عشرين دقيقة بالسيارة من البلدة، وبالقرب من بحيرة تحفُّها الصخور؛ مليئة بسمك القاروص، يحلو صيده منها. أراد "بيلي" أن يعود لهواية الصيد، وأن يلتقي العجوز، ولكنه لن يخبره بالكثير.

"بيلي" في الثانية والثلاثين، أصغر من أخيه "جاري" بست سنوات، شعره أشقر. يقول الناس إن له نظرات نَهِمة، ولكنهم لا يعرفون سببًا لها. ظن بعضهم أن السبب في بروز عظام وجنتيه، ولكن فتاتين أخبرتاه من قبل أن عينيه ناعستان. ولأنه تربية "بيلبورت"، فقد كان "بيلي" يُجيد التعامل مع الفتيات؛ فهو في ذلك أفضل من "جاري"، الذي كبر وتزوج "مارثا". كان واضحًا من البداية أن "بيلي" مختلف عن "جاري"، وهو نفسه عرف ذلك وعزم على أن يكون مختلفًا.

عاد "إيرل" من المصنع راكبًا درَّاجته الـ"هارلي" النارية، ليجد "بيلي" جالسًا إلى المائدة يتناول ساندويتشًا. ولما رآه، نهض "بيلي" وهو لا يزال يمضغ الطعام في فمه، واحتضنه "إيرل" بقوة أشد مما احتضنه بها ابنه.

- متى عُدت؟

هزَّ "بيلي" كتفيه دون أن يُعلِّق، ولم يشأ أن يخبر والده أنه أراد أن يراه أولًا.

ولكن، هل هناك من مكان آخر يمكنه أن يذهب إليه؟ كان من الممكن أن يُصادف "إيرل" في البار، على الرغم من أن العجوز صار يفضل أن يسكر في منزله، على سبيل التوفير. فرح "إيرل" لرؤية ابنه، وأعدَّ لنفسه ساندويتشًا، وجلسا معًا يأكلان.

- كيف الأحوال هناك؟

- إنها "كاليفورنيا" على الرغم من كل شيء.

لم يشأ "إيرل" أن يسأل أكثر.

كانت الليلة بداية التحضير لسباق السَّيَّارات في أرض المعارض. ولم يهتم "بيلي" بالذهاب إلى هناك. يعرف أنه سرعان ما سيلتقي "جاري" على أي حال. أخبر والده أنه مُتعب، ولكن "إيرل" كان مُصرًّا ويريد الذهاب، شعر

"بيلي" بأنه من الصعب أن يخذله. فمنذ رحيل "ألما" قبل أربعة عشر عامًا، لم يعد هناك الكثير مما قد يبثُّ الحماس في روح "إيرل".

لم يشأ "إيرل" أن يتَّصل بـ"جاري" ويخبره، ورغب في أن تكون مفاجأة.

مرَّت ثلاثة أعوام على غياب "بيلي"، ولم يكُن يتواصل معهما إلا حينما أرسل لهما صورة السَّيَّارة الـ"بي إم دبليو" التي اشتراها، ولكنها لم تعد معه الآن. ما معه سيُفاجئهما بحق. إنه يتوق لرؤية أثر المفاجأة على وجهيهما.

ركب الـ"هارلي" مع "إيرل". وفي البار، جلسا أمام "مارثا" والصبي. طلب "إيرل" لابنه بيرة على حسابه. ومَن انتبه إلى وجود "بيلي" كان يُبادر بالترحيب به وسؤاله عن أخباره. بدأ "بيلي" يتململ، فهو يكره الرد على الأسئلة.

انتهى السِّباق بانتصار "جاري". لم يندهش "بيلي"؛ فهذه حقيقة من الحقائق الثابتة في "بيلبورت". ومن بين تلك الحقائق أن المصنع معروض للبيع مرَّة أخرى. تمامًا كما كان حاله وقت أن سافر. هكذا عرف من الناس الذين التقوه وسألوه عن أخباره وأخبار الساحل الغربي، فقد كانوا يعقبون بأخباره أن المصنع معروض للبيع. ويبدو أنهم لم ينتبهوا إلى أن خبر المصنع ليس بالجديد أبدًا. فلا أحد يريد أن يعمل في صناعة الأحذية في أمريكا. إنهم يصنعونها في آسيا الآن، ولكن الناس لم ينسوا، هم فقط يريدون ألا يتذكَّروا. ليس في ليلة السِّباق على الأقل.

عندما انتهى السباق، اتَّخذ "إيرل" طريقه وسط الزحام ليصل إلى "جاري" عند الحاجز. كان يحسب أن "بيلي" يتبعه، ولكنه حين التفت لم يجده، فاضطر إلى انتظاره. كان "بيلي" يتبعه بالفعل، ولكن ليس بتلك اللهفة المتوقعة. حاول "إيرل" أن يُضفي على الموقف بعض الإثارة:

- انظر من أتى معي! أتعرف هذا الشاب؟

لا يزال "جاري" يمسك بشيك بخمسمائة دولار في يده. لم يكُن قد أعطاه إلى "مارثا" بعد. كانت هناك، ومعها "جيروم"، وكان استقبالهما فاترًا، على النقيض مما تخيَّله "إيرل". أومأ "بيلي" لهما برد التحية، ثم هنأ "جاري".

- كنت ممتازًا في السباق.

أجابه "جاري" بنبرة مَن اعتاد أن يراه كل يوم.

كان من الطبيعي أن يُصاب "إيرل" بخيبة أمل كبيرة. لم تكُن هناك أي دهشة أو مفاجأة أو استغراب. ولكنه لم ييأس، وبدأ يحكي لهم بحماس:

- عُدتُ إلى المنزل، ووجدتُ الباب مفتوحًا. دخلتُ وأنا أقول لنفسي إن هناك دُبًّا اقتحم المنزل بحثًا عن الطعام. أتعرفون مَن وجدته يجلس بالداخل بكل هدوء وبرود؟ حظُّه طيِّب أنني لم أُطلق النار على الفور. تخيَّلوا المنظر. أُفجِّر رأسه وهو يتناول ساندويتش لانشون. حادثة تليق بصفحة الحوادث. ها قد عُدتَ يا ولد؛ أين آثار شمس "كاليفورنيا"؟ يقولون إن كثرة التَّعرُّض لها تسبب السرطان، هل هذا صحيح؟

شاهد الرجل منذ أيام تحقيقًا حول هذا الموضوع على قناة "ديسكفري". شعر "بيلي" بالحرج، ولكن "إيرل" استمر. وهو معذور؛ إنه سعيد للغاية بلمِّ الشمل، وعودة ابنه إليه، ويريد أن يستمر في الثرثرة، حتى لا يبكي. تعامل "جاري" مع الموقف بكل هدوء، فهو لا يريد أن يفقد نشوة الفوز بالسباق. "جاري" أضخم جسدًا من "بيلي" بكثير. يعرف الناس أن "جاري" رزين، على النقيض من "بيلي". وقد اعتاد الناس عقد كثير من المقارنات الصامتة بين الشابين، ومنها أن "بيلي" لا يخاف من قُوَّة "جاري"، وأن "بيلي" يحسن اختيار ملابسه بالمقارنة مع بساطة "جاري"، الذي لم يظهر في أي صيف على مدار عشرين عامًا إلا بالشورت. انتظر "جاري" إلى أن توقَّف "إيرل" أو تعب من الحكي عن "بيلي". وكان ختام ثرثرته أن سأل:

- ألن تحتضن أخاك يا "جاري"؟

نظر "جاري" إلى أخيه:

- مرحبًا بك من جديد.

توقَّع "جاري" أن يبارك له والده على الفوز كالمعتاد، وكما فعل الجميع من حوله، ولكن عقل "إيرل" في مكان آخر الآن. ربما يفكر في مفاجآت الحياة؛ في عودة الغائب، ولكن العجوز سرعان ما انتبه إلى مراد "جاري"، وربت على كتفه في اعتزاز، ثم عاد يلتفت إلى أخيه.

توتَّرت أعصاب "جاري" بعض الشيء، ولكنه ليس من النوع الذي يشتكي من الإهمال، أو يجلد ذاته. واكتفى بأن بحث عن "مارثا"، وناولها الشيك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حوار عند "الكاشير"

كأنها رحلة استكشاف في أراضي اللا مُبالاة والرضا. هكذا شعر "روجر كيسنجر" وهو يدخل متجر "بيج جيم" لمستلزمات الحرفيين ومواد البناء، ذات ظهيرة جُمعة. فربما تمكَّن من شراء مطرقة بحالة لا بأس بها، أو كراتين من معجون أسنان "كولجيت"، مما قد تكون أصابتها مياه إعصار، فأتلفت الكراتين، ولكن أنابيب المعجون نفسها لا تزال في حال جيدة.

يُعَدُّ متجر "بيج جيم" من نوعية المتاجر التي قد تجد فيها أشياء مثل هذه. المتجر قديم، ولا يريد أن يتطور؛ أرضيته من المشمَّع العتيق، والأرفف معدنية لم تعرف التجديد. أجهزة "الكاشير" لم تتغير بتلك الحديثة ذات الماسح الضوئي للباركود، حتى الأكياس لا تحمل اسم المتجر، بل متاجر وأماكن أخرى. حتى إن "وولمارت" و"تارجت" يبدوان راقيين للغاية إذا ما قُورِنا بمتجر "بيج جيم". إنك لن تجد عُلَب المسامير الصَّدِئة هذه تُباع في أي مكان آخر، حتى في متاجر "كل شيء بدولار". جميل أن تستقر في القاع؛ فهو مستقر لا يمكن لأحد أن يأخذك إلى ما هو أبعد منه، كما أنه ملكك وحدك.

هنالك حكاية تُروى؛ يُقال إنه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، يوم أن هوى البُرجان، طال الدخان والغبار المتصاعد من رُكامهما متجر أزياء مجاور في المنطقة، ليفسد بضاعته في ثلاثة طوابق كاملة. وعندئذٍ راح "بيج جيم" إلى هناك، وابتاع كل البضاعة الفاسدة قبل أن يُخزِّنها في أفرع متجره المنتشرة، وسرعان ما عرف الناس وسعوا وراء تلك البضاعة حتى في مدينتي "كيتري" و"بورتلاند"، البعيدتين جدًّا عن "نيويورك"، ليقتنصوا فرصة شراء سويتر "بولو" أصلي بخمسة دولارات، أو حمَّالات صدر نسائية ماركة "لا بيرلا" بثلاثة دولارات. لم يكُن كثير منهم يهتم للمأساة التي تعرَّضت لها تلك الملابس.

تدور حوارات مُقتضبة طوال اليوم عند "كاشير" متجر "بيج جيم"، حول هذا العرض، أو ذاك، أو حول المطر الذي بدأ ينهمر على السطح، أو عن أداء فريق الـ"بريجادييرز" في الموسم، وما إذا كانت لديه فرصة أمام مُنافسيه "جون بابست" أو "بانجور"، لكن حوارًا بعينه اكتسب أهمية كبيرة، على الرغم من أنه كان وجيزًا، بسبب تبعاته على الحياة في "بيلبورت" بأسرها.

سألتْ موظفة الـ"كاشير": - أتريد هذا الحذاء؟

أجاب "روجر كيسنجر"، رجل في الأربعينيات، طويل القامة، ذو شعر أسود كثيف: - بالتأكيد. ما المانع؟

قالت موظفة الـ"كاشير": - إنه صُنع في "بيلبورت".

تساءل "روجر كيسنجر":

- حقًّا؟

- نعم. آخر مصنع أحذية في أمريكا. كانت صناعته راقية، ولكن الأمر لم يعُد كذلك.

- شيء مؤسف.

- أعتقد أن علينا تجاوز هذه المرحلة. يكفي أن نرسل كل الخامات إلى أحد تلك المصانع في فيتنام. هذا رأيي.

علَّق "روجر كيسنجر" قائلًا: - أراه جميل الصُّنع، ومُريحًا أيضًا. يعجبني.

أخذت منه موظفة الـ"كاشير" الحذاء ووضعته في كيس بلاستيكي يحمل شعار مطعم "تاكو بيل"، وقالت: - إنه بالتأكيد كذلك. لن يبلى مهما فعلت به، ولكنهم في طريقهم لإغلاق المصنع مجددًا. يغلقونه كل عامين بالتمام. ربما هي طريقتهم لخفض أجور العمال، أليس كذلك؟

قال "روجر كيسنجر":

-أعتقد ذلك.

خرج "روجر كيسنجر" من المتجر وفي يده كيس "تاكو بيل"، الذي يحتوي على الحذاء، إلى موقف السَّيَّارات الملاصق لمدخل المتجر، والذي تنتشر فيه حفر في الأسفلت منذ الشتاء الماضي، ولم يجدد عمال البلدية طلاء علامات الحارات البيضاء فوق الأسفلت الأسود.

عليك أن تعلم أن "روجر كيسنجر" يمتلك ثروة تقدر بثلاثمائة وتسعين مليون دولار، وأحد أهم شركاء مؤسسة "مادريجال" المالية في مدينة "جرينتش"، في ولاية "كونيكتيكت"، وهي ضمن أفضل عشر مؤسسات مالية في البلاد.

اتَّجه إلى سيَّارته الـ"رينج روفر"، القابعة بين شاحنات صغيرة وسيارات يعلوها الغبار والإهمال والصدأ. وبينما اتَّخذ طريقه إلى منزله الصيفي في المنطقة التي يسميها أهل "بيلبورت" بـ"الجزيرة"، كان عقله مُنشغلًا بحقيقة أن مصنع "نورومبيجا" للأحذية الفاخرة الذي يتجاوز عمره قرنًا قد

صار على شفا الإفلاس. كان الحذاء الذي اشتراه أنيقًا للغاية ومن جلد فاخر عتيق، من النوع الذي إن صادف دعاية وتسويقًا كافيين لوجد طريقه إلى أرفف المتاجر الشهيرة ليباع بسعر خرافي، وليس مقابل ستة وعشرين دولارًا ورُبع دولار؛ بعد إضافة الضريبة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في الجزيرة

كان هناك إعلان شهير منذ سنوات يظهر فيه ممثل صاعد وهو يقول: "من حُبِّي للحلاقة بهذه الشَّفرة، اشتريتُ الشركة التي تصنعها". تذكَّر "روجر كيسنجر" هذا الإعلان. وجد أن هذا هو شعوره تجاه حذاء "نورومبيجا"، على الرغم من أنه يرتديه منذ ثلاثة أيام فحسب. لا يملُّ من النظر إليه وتأمُّله في مرآة غرفة النوم، وكأنه لا يزال في المتجر يفكر في شرائه. حتى إن الحذاء صار موضوعًا من مواضيع الحوار بينه وبين "كورتني"؛ كيف أنه مُريح، وكيف أن قدميه لا ترتاحان إلا في أحذية صناعة أمريكية، وكيف أن الحذاء يحتضن قدميه بكل راحة، وكيف أن الإيطاليين، أو البرازيليين، أو الصينيين، أو حتى الكوريين، لا يمكن أن يكونوا مُحترفين في راحة القدمين مثل الأمريكيين.

ربما يكون كل بلد على دراية بطبيعة أقدام أهله، ولكنه لا يفهم أقدام الأمريكيين. اعتادت "كورتني" فورات الحماس القصيرة هذه من زوجها؛ تستقبلها بإيماءات وتنهيدات متفهمة، أو ردود مُقتضبة، إلى أن تنام، ولكنها هذه المرَّة اقترحت عليه أن التفكير في شراء الشركة والمصنع أمر ينطوي على مشكلات كثيرة، وأن الأوفر ماديًّا وذهنيًّا له هو أن ينتهز أقرب فرصة لوجوده في "نيويورك" ويذهب إلى أحد تلك المتاجر الإنجليزية التي تقوم بتفصيل الأحذية الفاخرة حسب طلب الزبون، ولكن "روجر كيسنجر" لا يحب الأحذية التفصيل. هذا أمر لا يتماشى مع مزاجه. فهو يحب كلما ذهب في عُطلة معها أو بصحبة أي من الولدين، اللذين يقتنع بالذهاب معهما، أن يستكشف متاجر لم يقصدها أي من معارفه وأصدقائه من قبل، والأغلب أنهم لن يكونوا قد سمعوا به من الأصل؛ ليقتني منه مطرقة بحالة جيدة، أو كل غريب يلفت انتباهه. ربما اكتسب تلك الطباع من تخصصه في دراسة علم الاجتماع. فكثيرًا ما يفتخر بأن لدراسته هذه فضلًا في نجاحه في عالم المال والأعمال.

إنه بارع بالفعل، وليس للحظ من دور. لم تحاول "كورتني" أبدًا التظاهر بفهم تطورات حياته، ولكنها الآن في قرارة نفسها مرتاحة إلى نتائجها. وعلى الرغم من أن لديهما عديدًا من المنازل هنا وهناك، فإنهما اتفقا على حب هذا المكان في تلك الجزيرة بالذات. الحقيقة أنه لم يكُن توافقًا بمعنى الكلمة، لنقل إنهما اتَّفقا على ألا يختلفا حوله. على الإنسان أن يحب شيئًا ما وإلا ما جدوى الحياة؟ ما جدوى أن تكون ناجحًا في أعمالك إن لم يكُن لديك ما تحبه في الحياة؟

استغرب شركاؤه في "جرينتش" كثيرًا عندما أتاهم "كيسنجر" باقتراح أن تشتري "مادريجال" مصنع الأحذية القديم القابع عند ساحل "مين"، ولكن "روجر" سبقهم بالفعل بخطوة، وحضَّر لكل شيء، وتوقَّع كل رد. حجته أن السعر رخيص للغاية، وأن المخاطرة محدودة، وأنه يتولَّى سيتولَّى بنفسه إدارة المصنع، أو على الأقل أن يساعده في النهوض من الرماد مُجدَّدًا.

أكد لهم أنه سيشتريه وحده إن لم يوافقوا على أن تشتريه المؤسسة. وكان هذا التأكيد كافيًا لأن يقتنص منهم موافقة مشوبة بالحذر؛ فهم يعرفون أن عملاق "كانساس" هذا بمثابة الدجاجة التي تبيض لهم ذهبًا يومًا بعد يوم، ولا يريدون أن يخسروه. وعلى الرغم من أن الموافقة تعني ضمنيًّا موافقةً على تمويل المشروع، فإنهم قادرون كذلك على الانسحاب منه في أي وقت إن لم تكُن النتائج على النحو الذي خططوا له.

وعندما انتهى الاجتماع الذي عقدوه فيما بينهم عبر التليفون، كان الكل سعيدًا نوعًا ما؛ فقد توصَّلوا إلى حلول وسط. وربما كان هذا العرض أفضل من غيره. وعلَّق "فارلي روبنسون" وهو يتحدث إلى "جيم كيزلوسكي" قائلًا:

- أليس هذا أفضل من أن يأتينا صاحبنا بعرض لشراء سيرك مثلًا؟

أما "كيسنجر" فكان سعيدًا للغاية، وفي داخله يقين بأنه يُسدي معروفًا لكل أمريكي مثله؛ يرغب في حذاء أمريكي أصيل ومُريح.

أما الطرف البائع فهم أصحاب شركة أحذية "ديتون" الوطنية بولاية "أوهايو". ومن فرط رغبتهم في البيع، تمت الصفقة في غضون ثلاثة أسابيع فحسب، شاملة المفاوضات القانونية بين مُحاميي الطرفين. بوسعهم الآن التركيز بشكل أكبر على تجارتهم الجديدة في متجر الأحذية الرياضية؛ صناعة بنجلاديش. وطالما أن ذلك المليونير الشريك في تلك المؤسسة الاستثمارية يرغب في أن يستغل وقته في العمل على مصنع قديم، فلا بأس.

مُلاحظات تُعطي صورة أوضح عن الجزيرة

ملاحظة جغرافية: كانت المنطقة تسمى منذ قرنين جزيرة "ماجوت"؛ ولكن لم يعد أحد يستخدم هذا الاسم لأسباب بديهية.

ملاحظة جغرافية أخرى: مكتوب في أحد الأدلة السياحية ما يلي: "عندما نعبر جسر بيلبورت المتهالك، نصل إلى منطقة مميزة تمامًا هناك عند شمال القرية؛ حيث ننتقل من بلدة صناعية متداعية يخترق نهرها كتل المنازل المتواضعة والمحال والمطاعم الخاوية إلى جزيرة يشطرها درب ترابي من شمالها إلى جنوبها، حيث ما يشبه الغابة المنعزلة لا تكاد تصادف فيها بشرًا. وعلى الرغم من أن هناك صناديق بريد أمام المنازل، وممرَّات خاصة تؤدي إليها، ولافتات على جانبي الطريق تنبه السائقين إلى وجود صغار، فإنك نادرًا ما ترى أحدًا. إلا إن كنت قد أتيت بدعوة كريمة من أحد أصحاب هذه المنازل الصيفية الرحبة، التي تنتشر عند الساحل، حيث ينتهي الطريق".

ملاحظة سياسية: يعتقد قاطنو الجزيرة أن حكومة الولاية تلاعبهم وتستهين بهم فيما يتعلق بترميم الجسر العتيق. ونظريتهم أن الحكومة تأمل أن يستسلم الأثرياء أصحاب الشاليهات والقصور الصيفية للأمر الواقع، وخاصَّةً أنهم في أغلبهم ليسوا من أصحاب الأصوات الانتخابية في هذه الولاية، ويقومون بإنشاء جسر جديد على نفقتهم الخاصة، ليوفروا بذلك أموال الموازنة الخاصة بالولاية لتنفقها على مشاريع أكثر أهمية لسكانها. كما أن الولاية تقول إن الجسر آمن من الناحية الفنية، وإن شكاوى الأثرياء لا أساس لها من الصحة أو المنطق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أب وابنه

"إيرل" هزيل الجسد، من السهل حمله، وربما كان حمله سهلًا لأنه من فرط مرَّات مرَّات سُكْره اعتاد أن يكون في مثل هذا الموقف، وكأنه عروس حملها عريسها أكثر من مرَّة فوق عتبات المنزل.

ولما صاروا جميعًا عند الشاحنة، توقف شخيره وسكتت همهمته، وكان أقرب إلى اليقظة منه إلى النوم. وضعه "جاري" في المقعد المجاور للسائق، وأسند "إيرل" رأسه للوراء، مثل دجاجة في انتظار طعام، فسكب "جاري" بعض القهوة في فمه. قال "جاري" وكأنه لا يشعر برائحة فم والده: - كانت ليلة كبيرة.

سأله "إيرل" عن الساعة. نفعته القهوة في أنها بدَّدت ولو قليلًا رائحة الخمر العفنة.

- متأخرة.

استقلَّ "جاري" الشاحنة. سأله أبوه مجددًا عن الساعة. في الصباح سيحضر صاحب المصنع الجديد.

كان "جاري" يعمل مُلاحظ عُمَّال في آخر ثلاث سنوات. ومن بين مسؤولياته، أو كما تصورها هو، أن يضمن الاحترام لكبير صانعي الأحذية في المصنع. كانوا يقولون إن "إيرل" تقدم في السن، وإنه بدأ ينسى أسرار الصنعة. وما زاد الطين بلَّة أن العجوز قرَّر الخروج ليعيش في منطقة المُخيَّم، بعد أن رحلت "ألما".

توقَّف "جاري" بالشاحنة عند مكانه الخاص في موقف السيارات، والذي حصل عليه مع آخر ترقية. ظل ساكنًا في مكانه يدرس الموقف. سأله "إيرل": - لماذا تُحدِّق فيَّ هكذا؟ هيَّا بنا نذهب.

- أتريد قطعة عَلَكة؟

سأله وهو يخرج القطعة وينزع الغلاف عنها بالفعل. الساعة في لوحة قيادة الشاحنة تشير إلى التاسعة إلا خمس دقائق. الكلمة التي سيُلقيها "روجر كيسنجر" تبدأ في التاسعة.

ودَّ "جاري" لو أن هناك وقتًا ليغسل وجه أبيه، ولكن ليس هناك وقت. تأمَّل وجهه فوجد أنه لا بأس به. سيكون أمام "كيسنجر" عديد من الوجوه بأي

حال. وسيحرص "جاري" على أن يظل والده بعيدًا عن دائرة الضوء. يكفي الرجل أن يتعرَّف على الباقين.

- جاهز؟

- طبعًا.

الآن "إيرل" مُستفيق أكثر. إنها بداية يوم جديد على الرغم من كل شيء.

ترجَّلا من الشاحنة، ومشيا إلى جوار بعضهما، بكل ثقة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خُطبة في المصنع

ألقى "كيسنجر" خُطبة من قبل ذات مرَّة، فقد وقف أمام موظفي شركة اشتراها، ورحَّب بهم، أو قدَّم لهم نفسه، أو أيًّا كان مقصده من ذلك. حتى إنه علَّق على هذا الخاطر أمامهم؛ مَن الذي يفترض أن يُرحِّب بالآخر؟ فضحك موظفو الشركة، وشعر بأنه اقتنص نجاحًا في أول بادرة.

هذه خطوات لا بد منها؛ أن يتحرك هنا وهناك في أرض المصنع، ومن ثم وقف وشمَّر عن ساعديه بكل جدية، وهو يحب ذلك، ويحب أن يتشبَّه بالسياسيين. على أنه يعرف ما يقوله أطباء النفس عن السياسيين في برامج الـ"توك شو"، وكيف أنهم أشد البشر احتياجًا للإحساس بمحبَّة الآخرين لهم.

لاحظ أن هناك شخصين حضرا متأخرين بينما كان يتحدث، وخلاف ذلك، كان الجميع هناك، الموظفون والعمال، منتشرين بين الماكينات القديمة التي تفوح منها رائحة الشحم والزيوت، والتي كان يراها لأول مرَّة، وبدأ يغرم بها. أحب أن المبنى بأكمله يمتلئ برائحة الصناعة.

بناء المصنع قرميدي قديم، به نوافذ طويلة عريضة، ومدخنة وحيدة. لم تكُن مساحة المصنع كبيرة، فإطلالته على النهر بالكاد تمتد قرابة النصف كيلومتر، ولكنها كانت كافية ومناسبة، أو هكذا وجد "كيسنجر". من أين له أن يعرف المساحة المناسبة؟ فهو لا يعرف سوى أن عمر المصنع يناهز مائة عام. يتدفَّق النهر أسفل النوافذ. عانت مياهه في الماضي من التلوث بسبب المصنع، حتى تدخَّلت جهات البيئة، وأجبرت عديدًا من المنشآت على الامتثال لضوابطها، أو أن تغلق أبوابها. كان مزاج "كيسنجر" طيبًا، كما العهد به دائمًا، لا يُلقي بالًا لتجارب الفشل التي قد يعايشها مَن حوله، طالما أنه بمنأى عنها. يعجبه اليوم أن مياه النهر نظيفة، وأن نوافذ المصنع طويلة، وأن المصنع لا يبعد عن منزله الصيفي سوى ثلث الساعة بالسيارة. وإن نجحت التجربة، فإن ذلك يعني مزيدًا من الوقت يقضيه في الجزيرة.

انتظر عماله، عفوًا شركاؤه، بحذر وهم يترقبون كلمته. ربما لن يعرف أبدًا معظم أسمائهم، لكنهم يقفون أمامه جميعًا؛ كأنهم في أول أيام معسكر، أو مدرسة، بينما يتولَّى أحدهم رفع العلم. على وجه كل منهم تعبيرات مُتباينة. لو أن "كيسنجر" أمعن النظر فيهم، لأدرك أنه بصدد خوض غمار تجربة مشوقة ومثيرة للفضول.

أخذ المتأخران مكانيهما في مؤخرة الصفوف. يتذكّر أنه صادف أحدهما، الأضخم جُثَّة، بالفعل، وأنه سمع شخصًا أو شخصين يذكرانه بخير، ولكنه لا يذكر الآن ذلك الكلام. أما الرجل الآخر، الأنحف جسدًا والأكبر سنًّا، فلا يعرفه، ولكن من الواضح أنه مهمل في مظهره ونظافته الشخصية.

لم يكُن "كيسنجر" مُفوَّهًا لدرجة أن يخطب في جمع من الناس من دون ورقة مكتوبة. ربما لا يحتاج للرجوع إليها، ولكن وجودها بين يديه ضروري لطمأنينته. استهلَّ كلامه بحكاية طريفة عن خُطبة ترحيبية سابقة له أمام موظفي إحدى الشركات، ثم أتبع الحكاية بأخرى عن زيارته لمتجر "بيج جيم"، وعثوره على الحذاء المُريح، وكيف أن له منزلًا في الجزيرة، وهو ما شجعه على أن يستثمر في هذا المكان ويحوله إلى كيان ناجح.

كانت نبرة صوته ولكنته تخبران العمال بأنه بالتأكيد ليس من هنا، ولكن الثقة فيهم دليل قوي على أنهم بصدد تجربة ناجحة. إنه يتحدث إليهم بكل راحة واعتيادية. لم يكُن هناك من شيء ليُخفيه عنهم. حتى إنهم كادوا يتأكدون تمامًا من أنه لا ينطق إلا بالصدق.

من المؤكد أن تقييمه لحال صناعتهم كان صريحًا. عليهم أن يكونوا مختلفين عن كل من في السوق، وأن يبتعدوا كل الابتعاد عن صناعة الأحذية الرياضية التي هيمنت عليها النمور الآسيوية:

- هناك فارق بين أن يكون لديكم منتج جيد، أو منتج فريد من نوعه، وبين أن يكون المنتج جيدًا وفريدًا من نوعه في آنٍ واحدٍ.

بدت عبارته في آذان العُمَّال المائة والتسعة والعشرين والواقفين على بلاط أرض المصنع أقرب إلى شعار رنَّان، ولكن عمال مصنع "نورومبيجا" للأحذية يريدون أن يصدقوا أنها تحمل من المعاني والمخططات ما يتجاوز مجرد الشعارات.

وربما كان الأمر كذلك. فلو لم يكُن كذلك، فهل كان مُجبرًا على التَّفوُّه به؟

- أصدقائي؛ وأملي أن نكون أصدقاء، وهو ما يعني بالنسبة لي أن نكون في خدمة بعضنا بعضًا. أصدقائي، تنوي مؤسسة "مادريجال" الاستثمار في هذا المكان. وأول خطوة استثمارية في أي مكان، وأي نشاط هي أن نستثمر في البشر؛ في العمال والموظفين. لذلك، أعلن اليوم عن خطة ربما يصفها بعضكم بأنها حمقاء وباهظة التكاليف وغير مناسبة لطبيعة العمل هنا، ولكنني سأنفذها على أي حال.

وتابع:

- أعرف أن عديدًا منكم مرَّ بأوقات عصيبة. ولن أعدكم اليوم بأن تلك الفترة قد انقضت، بل ربما تكون هذه مجرد بداية لفترة أخرى صعبة. سنحتاج إلى كل قطرة عرق من الجميع، ولكن في ضوء تلك الحقيقة، أعتقد أنه من العدل أن ينال كل شخص يُوجد هنا، في هذا المكان، واعتبارًا من اليوم، علاوة عشرة في المائة من راتبه الأساسي. ما رأيكم يا أصدقاء؟

لم يعرف إن كان السبب هو الدهشة، أو عدم التصديق، لكنه لم يجد رد الفعل الطبيعي الذي توقَّعه. وفي البداية صفَّق البعض، ثم أخذ عدد المُصفِّقين يتزايد لحظةً تلو الأخرى، مثل بدايات المطر، إلى أن اطمأنَّ قلبه لمَّا ضجَّ أرجاء المصنع بالتصفيق الحار الصادق، والطويل.

شعر "كيسنجر" بالرضا عن نفسه. كانت بالنسبة له خُطبة مثل خُطب عديدة أخرى ألقاها هنا وهناك، ولكنه وجد أن أداءه يتحسَّن. اختيار التوقيت المناسب والعبارات التي تصعد بالإيقاع إلى أن يصل إلى ذروته، ولكن الغريب هذه المرَّة أنه كان صادقًا بالفعل في كل كلمة نطق بها. وكم شعر بالفرحة عندما لمح الدموع تترقرق في أعيُن العاملات اللاتي شاب شعرهن في هذا المكان. إنه بالفعل في حاجة إلى الإحساس بأنه محبوب.

طوى الورقة التي لم يكُن بحاجة إليها في نهاية المطاف، ودسَّها في جيبه. وخلال حفل الاستقبال الذي أعقب الكلمة، وقبل أن يذهب كل إلى عمله، صافح "كيسنجر" عديدًا منهم. تدافعوا نحوه لمُصافحته أو رؤيته عن قُرب. ومرَّة أخرى، يشبه "كيسنجر" السياسي، الذي يُصرُّ على مُصافحة الأيادي المُمتدَّة إليه حتى والقطار يتحرك مُغادرًا المحطة. صعد الدَّرَج إلى حيث المكاتب، وأتباعه من خلفه. وفي الأسفل، عاد ضجيج وأزيز خطوات التصنيع، كما لو أن فرقة موسيقية تُعاود العزف بعد انقطاع. حرص "جاري" على ألا يكون "إيرل" من بين الحريصين على مُصافحة الرجل. نجح في صرف انتباه والده، الذي لم تتخلَّص رائحة أنفاسه بعد من عبق العصير العطن، وشغله في دردشة تافهة. سيجد لحظة أكثر مُلاءمةً ليقدم خلالها كبير العمال إلى رئيسه الجديد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ساعة الإفطار في "ماكدونالدز"

عندما بدأ عُمَّال "نورومبيجا" للأحذية يتأمَّلون ما حدث، تشكَّلت في أذهانهم نظرة رصينة تجاه التفاصيل. وتكهَّن "بيرتون مايلز" بأن في الأمر خدعة، وكان يقصد زيادة المرتب، لكنه لم يستطع تحديد نوع الخدعة. بينما كان لدى "تيمي طومسون" الرد على تكهُّنه؛ أنهم سيعملون على رفع سعر السهم، ولكن "مارج ديشامب" شكَّك في هذه الفكرة عندما أشار إلى أنه لا علاقة بين زيادة سعر سهم وإنفاق مزيد من المال، فكل ما عليك هو أن تتابع الفقرة الاقتصادية في نشرات الأخبار لتعرف أن الأسهم ترتفع كلما كانت قرارات الشركة تتعلَّق بتخفيض النفقات وتسريح العمال، وليس العكس. كما أن "مادريجال" هذه ملكية خاصة، وبالتالي - وكما تفهَّم "مارج" - ليس هناك أي أسهم عامة من الأساس. عندئذٍ، سأل "تيمي" عن طبيعة المكاسب التي قد تفكر فيها "مادريجال"، لكن "مارج" التزم الصمت.

ورأت "كاثي ميتلين"، التي تعمل في قسم الشحن، أن الرجل يبدو لطيفًا. وكان هناك إجماع على ذلك من جانب الكل.

عادةً ما يتجمَّع عمال "نورومبيجا" في مطعم "ماكدونالدز" صباح كل يوم عمل لتناول إفطار "الماك مافن"، المكون من البيض بالسوسيس، مع القهوة قبل التوجه إلى المصنع. كانوا يفضلون مطعم "تشك آند جينيز" من قبل، الذي صار مطعم "جينيز" فحسب بعد طلاق الزوجين، وحاولت "جيني" مقارعة "ماكدونالدز" في خفض الأسعار إلى أن سئمت الأمر والتقت رجلًا أخذها معه إلى فلوريدا. وهناك افتتحا مطعم "جورج آند جينيز"، وإن ظل الرهان قائمًا بين العمال حول الفترة التي ستنقضي قبل أن يتحوَّل اسم المطعم الجديد إلى "جينيز" فحسب.

وهكذا، صار المكان الوحيد المتاح في "بيلبورت" في تلك الساعة المبكرة جدًّا من الصباح هو المطعم صاحب القوسين الذهبيين M؛ "ماكدونالدز". وعلى الرغم من تململ البعض منهم في البداية، فإن الكل أدرك أنه لم يعد هناك من خيار آخر. وصار المشهد المألوف عند السادسة والنصف من كل صباح أن تجد بداخل المطعم أكثر من عشرين شخصًا من عمال المصنع، جالسين متقاربين فوق الكراسي البلاستيكية الثابتة، يدردشون في أحوال العالم والولاية والبلدة، وأحوالهم.

وعلى وقع أحلام العلاوة، بدأت فتيات المصنع في التخطيط والترتيب لرحلة تسوُّق إلى مول "تارجت" في "بانجور". وهذا طبيعي. فإذا كان معك مزيد من المال، فإنك تذهب إلى "وول مارت" بدلًا من متاجر "كل شيء بدولار"،

وإذا كان معك أكثر فعليك بمول "تارجت"، ولكن لم يذكر أحد متجر "بيج جيم"، على غير عادتهن. فبالنسبة لهن، في الوقت الحالي، فإن "بيج جيم" أسوأ سيناريو لرحلة التسوُّق هذه، حتى بعد أن ذكره المالك الجديد بالخير.

لم يفارق القلق "بيرتون مايلز" حول أن يكون الأمر كله خدعة، وأن السر كامن في مكان ما. كان "بيرتون" يداعب خصلات شعر ذقنه ناعمة الملمس، كعادته كلما أهمه أمر، بينما كان يضرب مثلًا لابنه "ميكي". يصف أهل البلدة "ميكي" بأنه متخلف، وهو وصف صار من المعتاد أن تسمعه من أي أحد عن أي أحد هذه الأيام، حتى في مسلسلات التليفزيون.

كانت هناك بعض المصطلحات الأكثر احترافية وقدرة على توصيف حالة "ميكي" في مرحلة ما، لكن "بيرتون" لم يكُن ميالًا لاستخدامها، ويرى أنها مجرد تجميل لفظي لكلمة "متخلف"، التي وجد في ويكيبيديا أنها في حد ذاتها مصطلح علمي. ومن وجهة نظر "بيرتون"، فإن "ميكي" يُعاني فقط من بُطءٍ في استيعاب الأشياء، الأمر الذي لم ينفرد به الولد عن كثير من غيره من البشر. ولكن، هل يكون "ميكي" أول من يطاح به، عندما يقررون البحث عن وسيلة لتعويض بند زيادة العشرة في المائة هذا؟

قال "بيرتون" إن تلك المؤسسة أشبه بمثل أن تسرق أحدًا لتدفع حق الآخر". طلبت منه "مارثا هتشينز" ألا يستبق الأحداث. وهي تعرف طباع "بيرتون" جيدًا؛ الرجل الذي يفضل قضاء وقت فراغه - وطالما أنه ليس في العمل أو يعتني بطلبات "ميكي" - مع جماعة تسمي نفسها "وطنيون في الشتاء"، والتي تتبنَّى مجموعة آراء قد لا تسعد مكتب التحقيقات الفيدرالي الـ"إف بي آي" عند سماعها.

ونادرًا ما تصل تلك الحوارات إلى نتائج. تسمع كثيرًا عبارة "نكمل الحديث في هذا الشأن غدًا". يشرعون في مغادرة المطعم عند الثامنة إلا الربع، ويستقلون سياراتهم وشاحناتهم إلى المصنع عند النهر. فمن مزايا "ماكدونالدز" أنك تدفع ثمن طلبك قبل تسلُّمه، وبالتالي تُغادر وقتما يحلو لك؛ من دون زحام أو جلبة.

وفي هذا اليوم، كانت الكلمة الأخيرة لـ"بيجي إيتون"، كما هو معتاد في أغلب الأيام. ويبدو أنها تحب ذلك، فهي تجلس في مكانها صامتة قرابة الساعة، تستمع إلى الهراء كله، بينما تخلع نظَّارتها العتيقة من حين لآخر لتمسحها، حتى ولو كانت نظيفة. وقرب النهاية، وبينما لا يتوقَّع أحد أن تتحدث، تبادر بالحديث وكأنها تريد أن تلخص كل ما قد قيل.

ولو كان هناك مؤرخ لهذه البلدة فإنه بالتأكيد "بيجي". يمكنك أن تثق فيما تذكره، حتى لو سردتْ جميع أسماء معلمي المدرسة الثانوية والمواد التي كانوا يدرسونها، بل وسنوات تقاعدهم كذلك. وكذلك الحال عند حديثها عن كل متجر ومحل وورشة في البلدة. وهكذا تحدثت "بيجي" بكل حكمة، وقالت:

- مثلما قالت السيدة "براندت" عن "هنري فورد"؛ فقد أراد أن يدفع لعماله من الأجر ما يكفيهم لشراء سيَّارته التي يصنعونها. نحن هنا أمام الأمر ذاته.

أما السيدة "براندت" فهي التي دَرَّست التاريخ لجميع أهل هذه البلدة، وبالجميع هنا أقصد أولئك الذين بقوا في المدارس حتى المرحلة الثانوية، وهو عدد محترم في كل الأحوال، مع أن التحصيل الدراسي لم يكُن ليُحدث الفارق الكبير في ظل هذه الأوضاع الاقتصادية.

هكذا، صار "روجر كيسنجر" مثل "هنري فورد". وهو مثال أعجبهم، ولا أستثني منهم هنا "بيرتون مايلز". الآن هناك سياق ونموذج سابق يمكنهم من خلاله توقع المستقبل. وهو ما بدَّد قدرًا معقولًا من الشكوك.

كان أهل "بيلبورت" يقدرون السيدة "براندت" حق قدرها، ويدركون مكانتها في بلدة مثل بلدتهم. يكفي أن تذكر اسمها حتى تتداعى الذكريات، وينشغل بها الكل عن هموم ومشاغل يومهم المُلحَّة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عمل يومي بأجر يومي

كيف يصنعون الأحذية في "بيلبورت"؟

يحضر القطَّاعون أولًا. تمثل السيدات أغلب هذه الفئة من العمال، ولكنك إن سألت أي عامل في المصنع عن السبب فلن تجد لديهم إجابة. هل لأنهن دقيقات الملاحظة؟ هل لأنه عمل خفيف؟ ولكن هناك خطوات لاحقة تحتاج إلى دقة الملاحظة ويمكن وصفها بـ"الخفيفة" كذلك. ثم، مَن يحدد مدى "خفة العمل"؟ العمل كله واحد، وهو شاق أو هين حسب تقديرك له وتعاملك معه، وكل عمل يتطلب منك أن تعكف عليه اليوم طوله، بكل حرص وحذر حتى لا تتعرَّض لإصابة أو جرح من الماكينات.

يتفحَّص القطَّاعون الجلود ويتأمَّلونها جيِّدًا، كما لو كانت خرائط كنوز مخفية، إلى أن يحددوا القطع الأكثر ملاءمة للشغل، ومن ثم يضعون شتى الأصباغ عليها تمهيدًا لتقطيعها. تحتاج بعض الأحذية إلى قرابة أربعين قطعة مختلفة. ويمكن أن تكون عملية التقطيع نفسها يدوية، أو يمكنك وضع الجلد في القاطعة الآلية التي تقوم بالمهمة نفسها، وبالبراعة ذاتها. وبمقدور "دوت بودين" تقطيع ألف قدم من جلد الأحذية في اليوم الواحد؛ وهو يفوق ما يقوم به معظم الآخرين، إلى حد ما.

تنتقل القطع المختلفة إلى قسم التركيب والتثبيت بمجرد تقطيع جميع الجلود، وهو الاسم الراقي الحديث لصنعة الإسكافي؛ فلا يحب العمال أن يناديهم أحد بالإسكافيين، وكذلك لا يحبون أن نعتبرهم "خياطين". ومثلما هو الحال في قسم التقطيع، فإن قوام هذا القسم كذلك من السيدات. وهناك جدال خفيف قائم بين القسمين، حول أيهما يتطلب مهارات أكبر، ويستلزم عملًا شاقًّا، وأي منهما هو الأكثر أهمية. وتتمثل مهمة العاملين في قسم التركيب في فحص قطع الجلد وتمييزها، حتى يتسنى للباقين أن يعرفوا مكان كل قطعة في الحذاء. وتقوم مجموعة ثانية بتنحيف حواف الجلد حتى يمكن خياطتها إلى بعضها بعضًا. وكبير العمال في هذه المجموعة على مدى السنوات القليلة الماضية هو "كون بودين"، الذي لا ينفك يتحدث عن حبه للعمل مع السيدات، وكيف أنهن أكثر انسجامًا وتعاونًا بكثير من أي مجموعة عمل معها رجل من قبل، كما أنهن يلقين بنكات أكثر جرأة وفجاجة.

وبعد هذه الخطوة، تأتي عملية الخياطة، حيث يعمل عدَّة أفراد بلا توقُّف على ماكينات تنقسم إلى نوعين: ماكينة الإبرة الواحدة، وماكينة الإبرتين، وفيها يتم تجميع أجزاء القسم العلوي من الحذاء. وما تحصل عليه في هذه المرحلة هو الملامح العامة للحذاء، ولكن من دون القسم السفلي منه، أي

مثل سيَّارة من دون إطاراتها الأربعة. وعندئذٍ، تأتي مهمة عامل خبير يقوم بتقطيع قطع أثقل من الجلد، حسب المقاس المطلوب لكل حذاء، حيث تصبح هذه القطع الثقيلة النَّعل الداخلي، الذي يتم تثبيت القسم العلوي للحذاء فيه، خلال مرحلة التصنيع التالية.

وضمن طاقم الخياطين، تعمل "مارثا هتشينز"، التي أمضت في هذا العمل، وحتى يوم ظهور "روجر كيسنجر" سبع عشرة سنة؛ و"دون سميث"، تسع سنوات؛ و"مارج ديشامبس"، اثنين وعشرين سنة؛ و"بيف مايلز"، ست عشرة سنة.

ونهايةً، أو ما قرب النهاية، يصبح الحذاء مثل جنين في طريقه إلى الحضَّانة؛ قسم التشطيب. وعدد العاملين في هذا القسم يساوي ما في القسمين الآخرين مجتمعين، وأغلب العاملين فيه رجال، ولكنه لم يعد يقتصر عليهم الآن، تحت القيادة الحكيمة لـ"جاري هتشينز". ويتولى هذا القسم تنفيذ الخطوات المتبقية والمهمة في صناعة الحذاء. فأول ما يخضع له الحذاء عند وصوله إلى هذا القسم هو اختيار القالب المناسب، حسب الحجم والعرض وعوامل أخرى، من بين مئات القوالب الموجودة، والتي تملأ جدارًا كاملًا في أرض المصنع. وتلك القوالب، وهي خشبية وأغلبها عتيق، تليق بتراث مصنع أحذية "نورومبيجا". فهي في أعيُن "إيرل"، أقدم العاملين، تكاد تكون حية، مشحونة بالذكريات، تكاد تتخيَّل كل قالب منها وقد تحوَّل إلى كائن حي مستقل بذاته. على أن القالب لا يعدو أن يكون أقرب مُحاكاةً للقدم البشرية التي سترتدي ذلك الحذاء الموضوع فيه. وبعد اختيار القالب، تتم طباعة رقم المقاس على النَّعل من الأسفل، لتفادي الأخطاء فيما بعد. ويتم تثبيت الحذاء في القالب بإحكام بالاستعانة بشريط لاصق مؤقت.

وأفضل توصيف للخطوات اللاحقة هو "لم الشمل". فيوضع القسم العلوي في جهاز بخار خاص لتنعيم الجلد، ومن ثم يقبض أحد العمال على الكمَّاشة الكبيرة ويجذب قطعة الجلد نحو النَّعل حتى يتم التثبيت.

هنا تحين مرحلة التغليف بالتقليص، وهو ابتكار يحظى في "بيلبورت" بتقدير كبير، مثله مثل التليفزيون الذي يستقبل القنوات الفضائية؛ لأنه وسيلة رخيصة لتخزين آمن للأحذية خلال الشتاء، كما أنه يحمي الحذاء بالكامل خلال مراحل الإنتاج المُتبقِّية.

أخيرًا، يوضع شريط جلدي حول الحذاء، عند النقطة التي يتداخل فيها الجزء العلوي من الحذاء مع نعله (راجع الخطوات السابقة). قطعة أخيرة من الجلد، متينة وقوية الاحتمال، يتم تنعيمها وتهذيبها. بعد ذلك يُخاط النَّعل السفلي. ودور ذلك الشريط الجلدي المتين هو تثبيت كل شيء إلى بعضه؛

الجزء العلوي، النَّعل الداخلي، والنَّعل الخارجي، الجزء السفلي. مثله مثل الفرد الأهم في العائلة، والذي ينبغي لبقية أفراد العائلة كسب وُدِّ حتى تسير الأمور.

الآن، يُثبت الكعب إلى النَّعل الخارجي بالغراء والمسامير. ثم اللمسات الأخيرة؛ الصنفرة والتنعيم والصقل، صباغة حواف النَّعل الخارجي بما يتماشى ولون الحذاء، ينزع التغليف، وبقيَّة الخطوات الأخرى التي بعدها يصير الحذاء جاهزًا للعلبة التي سيستقر فيها، انتظارًا لتعليمات أخرى من "روجر كيسنجر".

في المجمل، ينتج مصنع "نورومبيجا" ستمائة حذاء يوميًّا. ويكون قد تعامل قرابة أربعين عاملًا مع كل حذاء.

ومن بين العاملين الذين لم أذكرهم في قسم التشطيبات "بيت هاموند"، الذي أمضى سبع سنوات في العمل؛ و"تشارلي راسل"، تسعة عشر عامًا؛ وكبير الصُّنَّاع نفسه، الذي كان بسبب ما يمتلكه من المهارات والمعرفة من جهة وإهماله الواضح من جهة أخرى مُستقرًّا في القسم الذي يترأسه ابنه ليكون تحت عينيه، وهو الذي يعمل في المصنع منذ سبع وثلاثين سنة.

ينبغي لي أن أذكر بالوصف قسمًا آخرَ هنا؛ قسم الشحن. ففي صباح اليوم التالي، يخضع كل حذاء إلى تلميع يدوي بقطعة قماش قطنية ناعمة، ثم يوضع ومن حوله ورق خاص في صندوق من الورق المُقوَّى يحمل عبارة "نورومبيجا – صُنَّاع الأحذية الراقية منذ 1903"، ويتم تسليمه إلى رَفٍّ في قسم الشحن. ومع وصول أوامر التوريد للطلبيات، يتولَّى قسم الشحن، برئاسة "بيرتون مايلز"، تجهيز الأحذية المطلوبة، وترتيب الشحنة، وتعبئة استمارات شركة التوصيل "يونايتد بارسيل".

"ميكي"، نجل "بيرتون"، من بين العاملين في قسم الشحن، ودوره هو ترتيب صناديق الشحن. وحرص "بيرتون" مع ابنه على أن تكون صناديقه أفضل ترتيبًا ونظامًا من صناديق أي شخص آخر في القسم، مهما تطلَّب الأمر من وقت وجهد.

تتطلَّب جميع العمليات التي ذكرتها من كل عامل أن يقوم بالمجموعة نفسها من الحركات، وأن يستخدم العضلات نفسها، مع الوقوف إلى الماكينات نفسها، وتطبيق المنطق نفسه وتوقُّع النتائج نفسها مئات المرَّات في الساعة، وأحيانًا آلاف المرَّات في اليوم. ولا أحد يشتكي من هذا. فلا أحد يتوقَّع أن يعيش الحياة بالمجان. ويسعى معظمهم إلى إبداء الاهتمام للقيام بأفضل عمل ممكن إلى أقصى درجة، في الوظيفة التي يعرفون أنها أفضل

ما يمكنهم الحصول عليه، لكن تلك الرغبة في ممارسة هذه اللعبة ينافسها في الغالب شعور بالملل، وقلّة التركيز، والرغبة في فرصة للراحة الطويلة، والهروب إلى أوقات التسوق عبر الإنترنت، أو مشاهدة البورنو، أو حالات الإصابة، والإنهاك والتعب، والمعاناة من الشيخوخة المبكرة، علاوة على حالات يتضح فيها تعاطي العامل للمخدرات خلال العمل، وكذلك خارج المصنع.

هناك مَن يقول إنه من اللازم منح العامل أجره يوميًّا. ولكنك إن سألت العمال في "بيلبورت" عن هذا الشعار القديم لأدركت أن ذلك لا يشكل بالنسبة لهم أي فارق حقيقي ملموس.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الرَّقص في "أوجوستا"

تعلَّمت "ماريلو"، وهذا هو اسمها الفني - في أول يوم التحقت فيه بالعمل - أن فن الرقص لا ينحصر في حركات إيقاعية متلاحقة، وعصبية مثيرة، على مقربة من الزبون، إلى الحد الذي يفقده السيطرة على نفسه. بل إن الذكاء هو أن ترقص على مسافة كافية لأن يرغب صاحبنا في أن يطلق لنفسه العنان، وبالتالي يظل يلقي نحوها بالنقود حتى تستمر في الرقص لأجله أملًا في الوصول إلى تلك اللحظة المنشودة.

كان ذلك هو أول مبدأ تعلَّمته، والذي يتماشى إلى حدٍّ ما مع القانون الفيزيائي الكلاسيكي، الذي ينص على أن الجسم المتحرك يبقى متحركًا. أما المبدأ الثاني فهو يتضمن معرفتها بأن نقود الزبون أمامها على وشك النَّفاد، وبالتالي عليها أن تحدد هي ومبادئها الخطوة التالية، ولكن عليها في كل الأحوال ألا تصل بالأمور إلى مُنتهاها جنسيًّا. وما يميز المبدأ الثاني هذا هو أنك لن تجد له قانونًا من قوانين "نيوتن" يصلح لأن يتماشى معه.

تشكر "ماريلو" ربَّها على ما تعلَّمته. فهي تعمل منذ ثلاثة أشهر في ملهى "ذا شيدي ليدي"، ولكن كان عدد الزبائن قليلًا في فترة بعد الظهيرة اليوم. أمن المناسب أن تصف الشاب القابع مُسترخيًا في المقعد الناعم الوثير بأنه زبونها أم فريستها؟ كانت الموسيقى صاخبة، تمنع أي حوار بينهما. تعتبره مجرد فرصة لكسب المال مثله مثل غيره. وهي تحب أن تصف عملها بهذه العبارة، لما تحتمله من تهذيب، وربما كان هو نفسه يعتبرها فرصة أيضًا. هذا الوصف "فرصة"، لا يشي بكثير من الحقيقة؛ محايد مثل ماكينة الصرَّاف الآلي تلك القابعة عند ركن القاعة ذات الأستار السوداء. كما أنها كلمة ذات حياء، وخجولة، لا تشي بأي شر. داعبت بساقها العارية حِجر بنطاله الكاكي، واستشعرت ذلك الدفء المثير هناك. اقتربت، وحرَّكت ركبتها على عضوه. تلك الحركات المُتتالية المُثيرة في رتابتها. كانت تنظر له في غواية، بينما تتراقص بنهديها، وتنتفض خصلات شعرها بفعل حركات رأسها المتسارعة ذات الشبق. تقبض على نهديها، وتحركهما معًا بمهارة طالما تمرَّست عليها، قبل أن تعيد حمَّالات الصدر إلى مكانها، وكأنه قرار منها بأن تدخَّر له بقايا غواية لما بعد. تلاقت الأعيُن؛ عيناها داكنتان، وعيناه واسعتان. همَّ بالابتسام استحسانًا، ولكنه فضَّل ألا يفعل، فلربما ظنَّت أنه استحسان كاذب. وليس ذلك لأنه لا يستحسن بالفعل ما يراه ويشعر به، ولكن لأن هذا ما لا يودُّ في الحقيقة أن يُبديه أو يقوله. الحقيقة أنه لا يريد أن يتفوَّه بشيء، بل أن يبقى مُحدِّقًا فيها؛ في نهديها وعينيها، وكأنه يستغرق في تأمل مشهد تتكامل فيه عناصر مقدمته مع عناصر خلفيته. عليه أن يستوعب كل تلك العناصر مرَّة

واحدة، أو إن كان يريد أن يبتسم ويترك لنفسه العنان، فعليه أن يستوعب كليهما مرَّة واحدة، ولكنه لا يريد أن يبتسم.

الآن، هي تجلس على إحدى ساقيه وترتمي في أحضانه، تُلامس خصلات شعرها عينيه وفمه.

الآن، تستدير بالكامل وتميل نحوه ليلامس "الچي سترينج" عضوه من فوق البنطال، وتبدأ في الحركة فوقه بكل قُوَّة ودراية، ولكنها تراجعت في خفَّة ودلال ما إن حاول أن يندفع بجسده نحوها. لحظتها، سكتت موسيقى الأغنية التي كان من المستحيل التَّعرُّف على اسمها، حتى لو سمعتها مائة مرَّة. أجل؛ إلى هذا الحد كان من الصعب تصنيفها. كانوا يختارون الأغاني ليس على أساس جمال إيقاعاتها الموسيقية بل وفق قصر مُدَّتها. سألته: - أغنية أخرى؟

- أخرى.

بحث في جيبه عن ورقة بعشرة دولارات.

الصفقة نفسها تتكرَّر ثلاث مرَّات أخرى، مقابل أربع ورقات من فئة عشرة دولارات. وبينما صدحت الأغنية، أحاطت وجهه بنهديها، وجلست على حجره تتراقص مثل أفعى مجنونة. ومع اقتراب الرقصة الرابعة من نهايتها، فتحت سحَّاب بنطاله وسقطت بفمها هناك. وعندما انتهت منه، ضحك وهو يهندم ملابسه ويعيد نظَّارته إلى موضعها فوق أنفه، ثم ناولها خامس ورقة بعشرة دولارات.

انتظرها في موقف السيارات. جاءته ترتدي الجينز، وفوقه سُترة، مكياجها صارخ في هذه الساعة من النهار. دخلت إلى سيارته. بادرها: - هاي.

- هاي؛ أمامي خمس دقائق فحسب.

- جائعة؟

- كلَّا.

- لديَّ بعض البطاطس المقلية.

- لا بأس.

- أحب هذا.

غمست البطاطس في الكاتشاب وأكلتها، وقالت: - ما الذي تفعله هنا؟ ظننت أن هؤلاء الرجال قادمون.

- ليس قبل الرابعة والنصف.

- من الأفضل لك أن تذهب. انظر كم الساعة.

قال مُكرِّرًا العبارة وكأنه معجب بها: - أحب هذا.

إن لم يكُن ما جرى منذ قليل أفضل من الجنس الذي جمع بينهما في شقَّتها، وهي حقيقة لا يودُّ أن يعترف بها، فإنه على الأقل يُضفي مزيدًا من الإثارة على ذكريات ما جرى في شقَّتها في مُخيِّلته. اتفقا على أن يلتقيا لاحقًا في شقَّتها، التي في بلدة على بُعد بلدتين من "بيلبورت".. سيتناولان العشاء، ويشاهدان برامج التليفزيون.

عندما تحلُّ عُطلة نهاية الأسبوع، ستحصل على حصَّتها من الخمسين دولارًا التي منحها إيَّاها، بعد أن يحصل ملهى "ذا شيدي ليدي" على حصَّته، ومن ثم يخرجان للتَّنزُّه مساءً في ملهى "بلفاست". ويُكرِّران الأمر نفسه في الأسبوع التالي.

- حسنًا. أراكِ لاحقًا.

- لا تفعل.

- لا أفعل ماذا؟

لم تكُن مضطرة لأن توضح له (بينما تمنحه قُبلة؛ هي وسط بين قُبلة زوجة وقُبلة من مجهولة صادفها ذات ليلة): - اربط حزام الأمان.

كوَّرت الورقة التي كانت تحوي البطاطس والكاتشاب وهي تترجَّل من السَّيَّارة. ستعود إلى العمل، على الرغم من قلَّة الزبائن في هذا الوقت، فإنها مسألة وقت قبل أن يهلَّ الزبائن بعد انتهاء مواعيد العمل الرسمية في الرابعة، إلى أن ينتهي عملها مع حلول الثامنة مساءً. إنه الروتين، لا أكثر، ولا أقل؛ هكذا تطمئن نفسها، وهكذا يطمئن نفسه، هذا إذا استبعدت من مُخيِّلتك عكوفها على إمتاع الزبائن بيديها، في المرَّات التي يصعب عليها فيها إمتاعهم بفمها، وعلى الرغم من ذلك فهو لم يفقد بعد ذلك الإحساس بالدهشة والإثارة كلما أتى إلى هنا، وربما كان ذلك ما يشجعه على أن يقطع قرابة مائة كيلومتر ذهابًا وإيابًا في كل مرَّة.

عندما خرج بالسيارة من "بيلبورت"، وصار على الطريق الساحلي، أوقف "جون كيجلي" محركها، ليتسنَّى له أن يرتدي الياقة البيضاء؛ ياقة القس، التي تُضفي عليه انطباعًا آخرَ؛ انطباعًا أفضلَ.

كان الرجلان الجالسان في انتظاره في الأبرشية يرتديان قميصين شمَّرا أكمامهما بسبب الطقس، ولكنهما على الرغم من ذلك لم يرخيا إحكام رباطي العنق المنسوجين من قماش ثقيل يصعب حتى على هبَّة هواء قوية أن تتلاعب به. اعتذر لهما عن تأخُّره. الحق أنهما لم يهتمَّا لتأخيره، وربما شعرا بأن في ذلك التأخير ميزة. ولا يعني هذا أنهما غير مطمئنين إلى منتجهما وما ينطوي عليه من منافع. كان أحدهما قصيرًا، والآخر أطول منه نوعًا ما، جمعت بينهما قَصَّة شعر عسكرية واحدة. يشبهان ثُنائي الكاريكاتير الأمريكي القديم "مَت" و"جيف"، ولكن "مَت"، الطويل، هو الذي كان ينفرد بالكلام هنا. قاما بفرد فرخ ورقي كبير يحمل رسومات ومخططات فوق المكتب المصنوع من خشب البلوط الثقيل، الذي اعتاد أن يستقبل أطباق البسكويت وأكواب عصير الليمون التي تأتي بها سيِّدات قُدَّاس الأحد الذي تحتضنه كنيسة "المسيح" المتحدة في "بيلبورت".

كانت المخططات المعمارية تُظهر الكنيسة وبُرج الكنيسة. يرجع تاريخ بناء بُرج الكنيسة إلى عام 1823 عندما كانت الكنيسة مقرًّا لاجتماعات أهل البلدة، وكانت بارزة مثل كعكة زفاف ذات أدوار، ولا يزينها سوى الساعة والجرس وديك الرياح المتقلِّب على قمَّة البُرج، بطول 102 قدم. ولا يُناهزه في الارتفاع، على امتداد أميال سوى مدخنة مصنع "نورومبيجا" للأحذية. وداخل بُرج الكنيسة، في ذلك المقطع المعماري على الورق، يوجد ما يشبه بُرج ثانٍ، يظهر من خلال الرسم صغيرًا مخفيًّا، أشبه بسيف مُسجَّى، لكن هذا الأسلوب المعماري لم ينجح تمامًا، حيث يبدو البُرج الداخلي معدنيًّا شائكًا. وبدا كأن شخصًا قد جلب أكبر مجموعة بناء على الإطلاق إلى داخل برج الكنيسة. إنه بُرج اتصالات تليفونية. دار هذا الحوار بين مندوب المبيعات والقس، حيث قال مندوب المبيعات: - غير مرئي. تمامًا يا أبانا. أمعن النظر، وتأكد من أنك لا ترى شيئًا. إنه أشبه بشخص يحمل في صدره منظمًا لنبضات القلب.

- وماذا عن الصوت؟

- هذا لا يُشبه طواحين الهواء، إذا كان ذلك ما تعتقده.

- ولكن ما قدر ذلك الضجيج؟ أنا لا أريد أن... تعرف... هناك مَن ينشدون، وهناك الكورس. هذا مكان يقصده الناس طلبًا للهدوء والسَّكينة.

- وهل سمعت ما يُناقض ذلك؟ أخبرني. أنا لم أسمع أي شيء يتعلّق بضجيج. إنه أهدأ من فُرن تحميص التوست.

- جيِّد.. جيِّد.. كنت أتساءل وحسب.

- هناك أمر آخر يتعلَّق بالإشعاع. "جيم".. اعرض عليه التقرير.

دسَّ زميله القصير يده في حافظة الورق، قبل أن يُخرج مُجلَّدًا بلاستيكيًّا.

- يمكنك أن تقرأه يا أبانا. سأترك لك نسخة. يقول التقرير إن نسبة الإشعاع المُتولِّدة أقلُّ بآلاف المرَّات من الحدود الأدنى التي حدَّدتها هيئة الاتصالات الفيدرالية. بينما يؤكد معهد السرطان الوطني أنه ليس هناك ما يربط بينه وطاقة ترددات الراديو.

هنا حسم القس "جون كيجلي" قراره، ولكن والدته ما دامت قالت له إنه لا يوجد عيب في الاستماع، أخذ يستمع في انتباه. عرف عن مدى سُرعة وهدوء هذا البناء، وما عاد به من منفعة على الكنائس التي سبقته في اعتماد هذه التكنولوجيا الطموحة. مع وعد بإصلاح الساعة التي تعطَّلت منذ عشرين عامًا.

- صدِّقني. لن تُعاني بعد الآن من ضعف شبكة التليفون.

ضحك القس بأدب، وهو يلاحظ أن الرجل يستخدم عبارة بعينها في كل مرَّة، ولكن يبدو أن ضحكته كانت مُؤدَّبة زيادة على اللزوم. قال له مندوب المبيعات: - أشعر أن لديك بعض التحفُّظ. أرجو أن تتحدَّث معي بصراحة. ولن أكون مُستاءً، ولكنني شعرت أن حماسك أقل مما كان عليه وقت أن تحدَّثنا عبر التليفون.

- ربما.

- حسنًا إذًا.

- سأخبرك بصراحة. عندما تحدَّثنا، ظننت أننا نوشك أن نخسر أهم مصدر لتشغيل الناس لدينا في البلدة. ورأيت أن نستغلَّ أي فرصة متاحة لتشغيل الناس.

- وهذا لم يحدث؟

- بالفعل.

- ولكنني لو كنت مكانك لمَا وضعت كل مالي في صناعة الأحذية. كنت لأُنحِّي بعضه جانبًا، إن كان لي أن أقول ذلك.

- على أي حال الأمر جيِّد حتى الآن.

قال مندوب المبيعات وهو يتحدَّث إلى زميله: - ما السعر المتاح "بيتي"؟ ألف ومائتان؟

فحص زميله ورقة بين يديه، وقال: - ألف ومائة.

قال مندوب المبيعات:

- ألف وخمسمائة شهريًّا، لو حصلت عليه اليوم. هذا أكبر عرض يمكنني تقديمه لك. علاوة على زيادة خمسمائة بعد خمس سنوات، وهذا غير مسبوق في صناعتنا. وأنا لا أفرض عليك شيئًا. لك مطلق الحرية. وأنا متيقن من أنك سألت الأبرشيات، ولكن أمامنا أماكن أخرى لنقصدها. وعلى الرغم من أنها أقل راحة قليلًا من هنا، فإنها متاحة. هناك كنيسة "كوري" المعمدانية التي تودُّ تركيب بُرج اتصالات في بُرجها. أخبروني بذلك. اتصلوا بي. أليس كذلك يا "بيتي"؟ اتصلوا بنا من أنفسهم.

ردَّ "بيتي":

- هذا صحيح بالفعل.

قال القس:

- لا.

سأله مندوب المبيعات:

- هل هذا قرار نهائي؟ الرفض؟

- لا.

تجاهل البائع هذا الغموض اللغوي، وهذا لأن تعبيرات وجه "كيجلي" كانت واضحة وكافية. هناك شيء ما في نظَّارته ذات الإطار الرفيع تجعل عينيه تبدوان أصغر وأشد صرامة كلما حسم قراره تجاه شأن ما. هذا ما لاحظته "ماريلو"؛ لاحظت عينين غريبتين. وبخلاف ذلك، فلم يكُن رجلًا مهيبًا، طويل القامة بالفعل، ولكنه ليس ذلك الطول المُبالغ فيه، سماته طويلة نوعًا، ويبدو وجهه نحيفًا شاحبًا في الصيف، كما لو أنه برواز غسلته مياه الأمطار.

لملم البائعان مندوبا المبيعات أوراقهما، وانصرفا بعد مصافحة القس. اتفقا على أن يتَّصل بهما القس في حال غيَّر رأيه. سعد "كيجلي" بعد أن وجد أن النتيجة كانت مثلما أخبرته صديقته، وعرف أنه سيخبرها بما جرى لاحقًا، ولكنه سيقول لها عندما تسأله عن السبب إنه رفض العرض على الفور، ومن دون لحظة تفكير. لقد فعل ذلك لأن البلدة وجدت منقذًا لها بالفعل. فعل ذلك لأن "مادريجال" قررت الاستثمار في "بيلبورت"، فلا حاجة لأن تكون هناك موجات راديو بين كنيسته والرَّبِّ. وعندما رحل البائعان، خلع الطوق الأبيض عن عنقه، وبدأ يتهيَّأ للمساء.

"في حضرة فتيات النُّهور"

كانوا ثلاث فتيات وصبيين، فكما كان الحال قديمًا "كيسنجر" مُغرم بفكرة العائلات الكبيرة. أليس أفرادها أجدر بإنفاق الأموال عليهم؟ كما أن الذرية تستمر وتتفرَّع أيضًا، بما يعني الحفاظ على الأصل والعرق، حتى لو كان عليك الحرص وأنت تتحدَّث بهذا الكلام حتى لا يُساء فهمك.

تأمَّل هذه الذرية الجميلة. فهم الإجابة الكافية والواضحة؛ "إليزا"، و"هاملتون"، و"تيريزا"، و"جورج"، و"ماري". أصبحوا شُقرًا مثل أمهم "كورتني". فلو أنهم ورثوا الجينات عن أبيهم لما صاروا شُقرًا على الإطلاق، على أن شعر "جورج" يميل إلى الحُمرة أكثر، وكأنه أيرلندي.

ينتشرون في مروج وأرصفة الجزيرة وعلى متن المراكب الشراعية، وكأنهم أوسمة النجاح والحظ الحسن، فهم كثيرون ومترابطون ومن حولهم يتجمع أطفال الجزيرة الآخرون وكأنهم نواة الشباب.

إنهم مختلفون في كل الجوانب الإنسانية عن "بيلي هتشينز". يمكنك من الناحية الفلسفية، بطبيعة الحال، أن تعترض على هذا التوصيف، ولكن "بيلي" ليس بالمفكر الفيلسوف، ولكن عقليته أقرب إلى عقلية المخطط المُدبِّر. وهو ليس بالرأي الذي يعبر عنه على أي حال، ولكنه يؤمن به حتى أعماقه. بينما يُشذِّب عُشب حديقة منزل آل "كيسنجر"، كانت الفتيات يلعبن الكروكيه مع صديقاتهن. لا يعرف أسماءهن. يسددن الكُرات بينما يصرخن بالشتائم لبعضهن بعضًا تجاه محاولات الغش، ولكن كل ذلك في أجواء من المرح واللا مُبالاة لم يعهدها "بيلي" في حياته، وكأن السبب في هذه الحالة هي هذه المساحة الخضراء الرحبة، ويبدو أن من دونها يكون على الإنسان أن ينشغل بهمومه فحسب.

"بيلي" موجود بالطبع في المرج، فها هو ذا يُدير الجزازة ويُشذِّب العُشب. يمكنه أن يعتبر المرج مرجه بالطريقة نفسها التي يعتبر بها البائع في أي متجر كبير البضاعة التي يبيعها بضاعته. حاول الابتعاد عن منطقة لعبهن. وأكثر فتاة جذبت انتباهه هي تلك التي ترتدي ثوب سباحة أسودَ. تأملهن جميعًا، وشعر أنه في قلب منظومة من الكواكب اللامعة، تميزهن أشياء فريدة مثل ملابسهن، وأطوالهن الفارعة، وضحكاتهن، وتلك القواعد الغامضة التي لا بد أنها هي التي تحكم سلوكياتهن، ولكن إذا كان الأمر كذلك، فلا بد أن هذه الفتاة ذات الثوب الأسود هي الشمس والقمر معًا. لا يعرف "بيلي" أنه غارق في أوهامه، لكن الأمر يشبه كما لو أن لهفته صارت تتعرَّف على أشياء لم يعهدها؛ لغات، وغرائز، وأسرار.

إن مساحة الحديقة بين منزل "كيسنجر" والمياه كبيرة، وهناك كثير من العُشب لتشذيبه قبل أن يضطر لدخول المنطقة التي يلعبن فيها، ولكنه في النهاية وصل إليها. استغلَّ ميزة أنهن لا يُبالين لوجوده كي يتأمَّل فتاة الثوب الأسود وهي تنحني في تركيز على الكُرات، بينما تقبض على خصلات شعرها الشقراء بكلتا يديها لتلقي بها خلف رأسها، وعيناها تتَّسعان في ارتباك، وتلمس وجهها في الوقت نفسه، وأشياء أخرى. لحظات أخرى، تتراكم بالفعل داخل عقله، كما لو كانت هي الشخص الوحيد الموجود في هذا العالم، بعد أن أزاحت الجميع، باستثناء زميلات اللعب، اللاتي كُنَّ هناك فقط لأنها هناك.

أكانت هذه طريقته للنظر إليها؟ الطريقة الأخرى أنه أحب كل هؤلاء الفتيات؛ الشمس، والقمر، والكواكب؛ تجسيد لما اشتاق إليه ولم يحصل عليه. كم عمرهن بحق؟ خطر له هذا الخاطر. سبعة عشر، ستة عشر؟ إنهن كبيرات بما يكفي، هكذا طمأنه الشبق بداخله. ليس أمامه سوى أن يطلب منهن ترك المكان. الموقف واضح له، وواضح لهن. إذا لم يبتعدن، فأين يلعبن، لأن العُشب سيبقى طويلًا، فالأمر واضح.

على الرغم من ذلك، لا يُريد "بيلي" أن يطلب منهن الابتعاد؛ لأنه لا يرغب في أن ينظرن إليه على أنه أدنى منهن. إنه يتخيَّل ماكينة تشذيب العُشب وأزيزها مثل دبابة يستقلُّها في مهمة لتحريرهن. وإلا لماذا لم تكُن الفتاة ذات الثوب الأسود في ورطة داخل مياه المحيط قبالة رصيف الميناء، أو تهيم على وجهها في المياه، أو تحاصرها سمكة قرش طائشة لم يشهد لها الخليج مثيلًا من قبل، حتى يتسنَّى له ترك هذه الماكينة والاندفاع نحو الماء لإنقاذها؟ وهكذا هي كثيرة المواقف التي بمقدور "بيلي" أن يتخيَّل نفسه يلعب دور البطولة فيها. قال لهن بنبرة وطريقة حاول أن يُحاكي بها "جيمس دين:" - معذرةً.. آسف.

"إليزا"، ذات ثوب السباحة الأسود: - آسفة. سنجمع كل الأشياء.

- لا يهم. يمكنني أن أدور من حول الـ... هذه الكُرات.

- "الويكيتس"؟

قال، شاعرًا بالحرج؛ لأنه لم يكُن يعرف اسمها: - أجل.. "الويكيتس". لن أستغرق سوى خمس دقائق. اتركيها.

- بل سنجمعها. هذا أسهل.

لم يتوقّع "بيلي" أن تُفكَر في مساعدته في عمله. تأكّد من أن كل شيء فكَّر فيه صحيح. هذا هو المكان الذي تبدأ فيه الحياة البعيدة عنه وتنتهي عنده حياته التي يعرفها. بدأت "إليزا" ذات الثوب الأسود، والتي كانت في الحقيقة في ربيعها السابع عشر، تلتقط "الويكيتس"، ومن بعدها شرعت الأخريات في ذلك، مثل طيور تلتقط فُتاتًا نثره شخص ما على العُشب.

شعر "بيلي" للحظة بأنه قوي، كما لو أنه أمرهن بفعل شيء لم يرغبن في فعله حقًّا. ومع ذلك لم يبدُ له أنهن يأخذن الأمر بجدِّيَّة. مجرد تسلية في ظهيرة صيفية ليس إلا، والخيار لهن أن يقمن بهذا، أو ذاك، أو لا يقمن بأي شيء من الأساس. لا مجال للتفكير في أنه عمل، أو في أن وقت اللعب محدود، في العالم الذي يعشنه، والذي واتته الظروف ليراقبه عن كثب، ولو لبضع دقائق.

فكَّر في أن بوسعه مُضاجعتهن جميعًا. أجل، جميعًا. سيكون ذلك مُبهجًا، ولكنه سيدَّخر ذات الثوب الأسود للنهاية. طرد الفكرة سريعًا، حتى لا تتجلَّى في عينيه، على الرغم من أنها تجلَّت بالفعل للحظة.

ماذا لو لاحظن ذلك؟

انتهين الآن. تركن له هذه المنطقة من المرج. ربما أقنعهن بمراقبته وهو يعمل أن يُعايشن تجربة الإنسان والآلة. وقفن جانبًا، وعكف هو على تشذيب آخر رقعة من المرج بكل احترافية. يُدير المقود بيد واحدة. أليس هذا مُثيرًا؟

انتهى من عمله، حيَّاهن سريعًا، وبادلنه التحية في سعادة. بادرته إحداهن: - شكرًا.

- سأعود في الأسبوع المقبل.

ابتعد بالماكينة من حول المنزل الأبيض الكبير وما تحيط به من شجيرات ذات أزهار، حتى وصل إلى الممشى المفروش بالحصى، لأجل أن يضع الماكينة على متن الشاحنة الـ"سيلفرادو" العتيقة، وهي واحدة من ثلاث شاحنات يمتلكها "مات فارنزورث"، مستخدمه الجديد.

هل تُفكِّر فيه الآن أي من تلك الفتيات؟ مَن يدري؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نقاش عائلي

لمَّح "جاري" إلى أن الصبية في عائلته كانوا يذهبون إلى مدرسة "بيلبورت" دائمًا، وليس الصبية فقط، بل الجميع. بينما قالت "مارثا" إن على "جيروم" أن يحسم القرار، باعتباره مَن سيلتحق بالمدرسة. فقال "جاري" إن "جيروم" لا يزال في الصف الثامن ويحتاج إلى نصيحة أبوية، فمن أين له أن يحدد مصلحته وخياراته وتبعات قراراته في هذه السِّن؟

فقالت "مارثا" إن "جاري" لا يهتم إلا بحقيقة أن في مدرسة "بيلبورت" فريقًا لكُرة القدم، وهو ما لا يوجد في مدرسة "هانكوك". ردَّ عليها "جاري" بأنها مُخطئة تمامًا. وردَّت عليه "مارثا" بأنها غير مُخطئة تمامًا. يرى "جاري" أنه لا بأس في أن يكون في المدرسة فريق كُرة قدم أمريكية، وأن "جيروم" سيكون لاعبًا جيِّدًا، وخاصَّةً أنه "كبر كفاية".

علَّقت "مارثا" بأن "جاري" يتحدَّث عن ابنه وكأنه حزمة خضراوات "كبر كفاية". فقال "جاري" إنه اعتاد منها أن تُشوِّ كل شيء. فقالت "مارثا" إنه ليس في كلامها تشويه لأي شيء، وحقيقة وجود ثلاثة أجيال من عائلة "هتشينز" لعبوا كُرة القدم في "بيلبورت" لا تعني بالضرورة أن على "جيروم" أن يكون لاعب كُرة قدم أمريكية. أخبرها "جاري" أن كل نقاش بينهما ينتهي به إلى الحيرة والارتباك، لأنها لا تُجيبه عن أسئلته، وتتعمَّد تغيير الموضوع.

أخبرته "مارثا" أنها لم تُغيِّر الموضوع، لأن الموضوع هو المدرسة الثانوية الأنسب لـ"جيروم" ليلتحق بها خلال عام من الآن، وهي ترى أن على والده ألا يُجبره على شيء. قال لها "جاري" إن الحديث عن مستوى التعليم في مدرسة "هانكوك" مُبالغ فيه، وهو رأي كثيرًا ممن تحدَّث معهم في هذا الشأن، وإنهم في تلك المدرسة يجذبونك بالحديث عن جودة تحضيرهم لابنك حتى يتسنَّى له الالتحاق بكلية مرموقة خارج الولاية، ولكن الحقيقة أن الأثرياء وحدهم هم مَن يتمكنون من تحقيق ذلك الهدف. سألته "مارثا" عمن أخبره بذلك، فكرَّر "جاري" أنهم أناس عديدون، وذكر منهم "فوكس هيرمان". بادرته "مارثا" بأن "فوكس هيرمان" بالذات يُثرثر بكلام وآراء يمكنك أن تسمعها، ومن ثم تعكسها مائة وثمانين درجة، وعندئذٍ تصل إلى الحقيقة.

كانا يعيشان في منزل يعود بناؤه إلى عام 1952، في زقاق مسدود. وعلى الرغم من أن البناية لا تُعَدُّ من بين الأقدم في البلدة، فإن "جاري" كان يتذمَّر بأنه لم يكُن يرغب في أن يعيش في مكان تعود إليه من العمل فتجد

أن أمامك عملًا آخرَ لتقوم به. ويمكننا أن نلصق الوصف ذاته بعلاقة الزواج التي جمعت بينهما، حيث إنهما يكدحان طوال اليوم، وعندما يعودان إلى المنزل يشغلهما تساؤل حول جدوى كل ما يقومان به. لذا الأفضل لهما أن يتجادلا. وأحيانًا ما يُعلِّقان بأن هذا هو مكمن السُّخرية.

يتشابه طبعهما مع هيئتهما. ولو وضعنا في الاعتبار ما يشهده العام من اختلاف وتغيُّر واتِّباع لنظام حمية غذائي، ومن ثم إهماله، فإن متوسط وزن "جاري" هو مائتان وسبعون باوندًا، بينما تقل عنه "مارثا" بقرابة مائة باوند. إن الاختلاف الشديد مثل الشعور بالحرارة في الشتاء والظل في الصيف هو الوضع القديم الذي ينطبق على النساء في عُمر وتضاريس "مارثا"، ولكن هذا لا يعني أنهما لم يعرفا أيَّامًا سعيدة، لا يمكن لأيهما أن يُنكر ذلك. يُفضِّل "جاري" مشاهدة القناة التاريخية الوثائقية "هيستوري"، وبرامج الواقع، بينما تُفضِّل "مارثا" القنوات التي تعرض أسرار الحياة البرية. ويشبهان في الفراش اثنين من حيوان حصان البحر يتعاركان. هكذا وصف "جاري" ممارستهما للحب ذات مرَّة ساخرًا، ولكنها لم تحب تلك الدُّعابة.

وبالنسبة لموضوع المدارس الثانوية، فلو أنك عشت في "بيلبورت"، بمقدورك أن تلتحق بالمدرسة المحلية، أو إن كنت مُؤهَّلًا فعندئذٍ يمكنك الالتحاق بمدرسة أفضل أكاديميًّا على مسافة خمسة عشر ميلًا من البلدة.

وكان "جيروم هتشينز" في نظر مُعلِّميه تلميذًا مُجتهدًا بوسعه أن يلتحق بمدرسة "هانكوك" إن هو أراد ذلك، ولكنه يمتلك في الوقت نفسه بنية رياضية محترمة، ويشتدُّ عوده عامًا بعد الآخر حتى صار مُؤهَّلًا بدنيًّا لأن يكون لاعب كُرة قدم أمريكية بارعًا. وما لم يتطرَّق إليه "جاري" و"مارثا" في شجارهما عمدًا هو أن مَن يلتحق بمدرسة "بيلبورت" يظل أسيرَ "بيلبورت" للأبد، ولكن الأبواب كلها تبقى مفتوحة إن التحقت بـ"هانكوك"، فمَن يدري؟ فمن بين المزايا أنك تمتلك شخصية مستقلَّة. وربما يتساءل الناس عن سبب التحاقك بتلك المدرسة.

المصنع، والفريق، والعمل في الجزيرة، وآل "هتشينز"، وآل "وينسلو"، وآل "هارت"، وآل "بودين"، وآل "بيرس"، تلك هي طباع "بيلبورت" وأهلها التي سيبتعد عنها.

كان "جيروم" هو الشاغل الوحيد لـ"جاري هتشينز" و"مارثا بيرس هتشينز"، بسبب مشكلات صادفتها "مارثا" بعد ولادته. تقع غُرفته في الطابق العلوي، وهي شبيهة في مساحتها وديكورها بغُرف نوم جميع الصبية في مثل عُمره، أربعة عشر عامًا، في المنازل التي تعود إلى أيام الخمسينيات في جميع أنحاء البلاد، والتي بُنيت في شوارع بلا أرصفة، وأغلب أزقَّتها ذات نهاية

مسدودة، حتى إنك تجد صعوبة كبيرة في تحديد الشخصيات التي تُزيِّن مُلصقاتها جدران الغُرفة.

كان راقدًا على الفراش، واضعًا السَّمَّاعة في أُذنيه، بينما يتناقر أبواه في الأسفل. وربما ظنَّا أنه نائم، أو ربما لم يتأكَّدا من ذلك، وكان كل منهما يتمنَّى في داخله أن يصل الكلام المُتناقض إلى مسامعه، حتى يسمع بنفسه حُججهما. وعلى كلٍّ، وكما هي عادته، فقد أبعد السمَّاعة عن أُذنيه عندما سمع اسمه يتردَّد للمرَّة العاشرة، أو الثانية عشرة. كان أحيانًا ما يفارق فراشه ويهبط إليهما ليطلب منهما أن يسكتا، ولكنه هذه المرَّة فضَّل أن يستمع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الطَّعم

توقَّف "بيرتون مايلز" في طريق عودته عند "هانافورد" وابتاع ثلاث عُلَب من بسكويت "أوريو". داوم على شرائها طوال الشهر الماضي، لدرجة أن "بيج" الكاشير كانت تُداعبه بشأن ذلك.

عرف منها أنه عمَّا قريب ستصل شاحنة من المصنع في "سكاربورو" بطلبية من هذا النوع المخصوص من بسكويت "أوريو". وعرضت عليه أن يُجرِّب طعم النعناع "كول مينت" على سبيل التغيير، ولكنه ابتسم وأخبرها أنه ربما يفعل ذلك فيما بعد.

عاد إلى المنزل، ووضع الكيس الذي يحتوي على عُلَب الـ"أوريو" فوق كاونتر المطبخ، قبل أن يتَّجه سريعًا إلى الكمبيوتر، في غُرفة الهوايات بالقبو. كان ديكورها كلاسيكيًّا بدوره؛ فهناك بار تزينه نقوش من هاواي، وتغطي الجدران ألواح خشب الصنوبر، وفوق أرضيته مشمَّع يحمل أشكالًا هندسية مُتموِّجة ومُتداخلة، وفي أحد أركانها سخَّان المياه داخل صندوق من الأبلكاش المصقول.

يحب "بيرتون" البار وصور فتيات الاستعراض التي تزينه، وحقيقة أن "بيف" لا تأتي إلى هذا المكان. هناك اتفاق عادل بينهما؛ أن يحافظ على نظافة وترتيب هذا المكان، ولا تدخله هي في المقابل. ها هو ذا "لاب توب" من طراز "ديل"، ابتاعه منذ ثلاث سنوات، ويستخدمه جالسًا إلى المقعد الوحيد عند البار.

كانت الساعات التي تسبق وتلي ساعة العشاء هي التي يجتمع فيها أكبر عدد من "جنود الشتاء"، جماعة من الوطنيين من جميع أنحاء البلاد، ولكن أغلبهم من المنطقة الشرقية. وهناك منطق بالطبع في انتماء أغلبهم إلى تلك المنطقة، وهذا لأن الوقت يكون الظهيرة في الغرب؛ لذا يجتمع جنود الشتاء الغربيون في وقت لاحق.

يمكنك أن تكون جزءًا من عديد من مجموعات الدراسة والمناقشات، حسب غُرفة الدردشة التي تدخلها، والروابط الإلكترونية التي تفتحها. اهتمَّ "بيرتون" بهذا الموضوع، وحاول تجنُّب المجموعات التي كان يتردَّد عليها كثير من التافهين. وهؤلاء يُوجدون بأعداد لا بأس بها عبر شبكة الإنترنت في كل وقت؛ الأمر الذي يجعل من الوصول إلى أي مكان والتوصل إلى أي نتيجة بشأن أي مسألة مهمة أشد صعوبة.

لم يستسلم "بيرتون". كانت البلاد في حال سيئة للغاية، وحتى البُلهاء يُدركون ذلك؛ لذا عليك أن تتعامل مع الواقع الذي بين يديك. من الممكن أن يجد بين هؤلاء السُّذَّج مَن لا يزال يحمل روح أجداده الذين شاركوا في الثورة الأمريكية. الليلة، بدا أن الموضوعات ذات الاهتمام تتمحور حول الدليل الجديد بشأن الأمم المتحدة والمروحيات السوداء، مُعضلة الإجهاض؛ فمن ناحية تريد حماية قدسية الحياة، ومن ناحية أخرى لم يكُن هناك شك في أن في الإجهاض ضمانًا على ألا يأتي إلى الدنيا أفراد غير مرغوب فيهم، وموضوع آخر حول مقترحات في ثلاث عشرة ولاية لسَنِّ مزيد من التشريعات التي تسحب الحقوق التي يمنحها التعديل الثاني في الدستور، وبالتالي تُشوِّه معناه ومغزاه؛ فالتعديل ينصُّ على أن من حق الأمريكيين تسليح أنفسهم حمايةً لهم من أي اعتداء. وفي الواقع، كانت هذه هي الموضوعات محل الاهتمام لعدَّة أشهر مضت، وبالذات موضوعا المروحيات السوداء والإجهاض، إلى أقصى حد يمكن أن يتذكَّره "بيرتون". يستنفدون طاقتهم، ويقتلون المسألة بحثًا قبل أن ينتقلوا إلى موضوع آخر. وليس الأمر أن "بيرتون" يختلف معهم بشأن تحديد مدى أهمية تلك الموضوعات، ولكنه يُفضِّل ألا يُقحم نفسه فيها، ولو أنه فعل لما توقَّف، ولتشعَّبت المناقشات إلى شجون كثيرة.

ثم، مَن يريد أن يسمع بها؟ الناس يفضلون الحلم على الواقع. لم يستطع التحدُّث إلى "بيف"، ولم يتمكَّن من التحدُّث إلى أي شخص في المصنع، فهو لا يضمن أن تسترق السمع "عصافير حمقاء مغسولة الدماغ"، مثل "شون بيريك" على وجه الخصوص، وحتى رفاقه في رحلات الصيد، سئموا الثرثرة ذاتها في كل مرَّة، حتى ولو كانت بشأن مواضيع جديدة.

اختار "بريتون" اسم الدردشة "Wsbealport1.": والـ"ws" هنا هي اختصار "جندي الشتاء"، ومن بعدها "بيلبورت"، أما الرقم 1 فيدُلُّ على أنه وطني بحقٍّ، ولا يخشى أن تتجسَّس الـ"إف بي آي" عليه. كأنك أمام بطل الثورة "جون هانكوك" وهو يُوقِّع باسمه، وبالبُنط العريض.

أمام "بيرتون" نحو ساعة قبل أن تُنادي عليه "بيف" لتناول العشاء. صاروا يأكلون في وقت متأخر الآن بسبب التوقيت الصيفي، ولأن "ميكي" في الخارج يحضر دورة تدريبية لمَن يُعانون صعوبات في القراءة. يحب "بيرتون" أن يشجع "ميكي"، وأن يقول إنه مُستعدٌّ دائمًا للتحسين من نفسه، حتى ولو كانت "بيف" هي مَن اشتركت له في هذه الدورة وأنهت إجراءاته. وعلى الشبكة، تحدَّث "بيرتون" عن رأي مفاده أن مشكلتنا الحقيقية في العراق وأفغانستان وغيرهما كانت أننا لم نفهم الأوضاع القبلية هناك. يسمون أنفسهم دولًا، ولكنهم مجرد قبائل عديدة.

قرأ "بيرتون" كل شيء عن هذا الموضوع. ويرى أن تصرُّف حكومتنا عادي ومُتوقَّع. أرادت التفكير في شيء واحد، وهو تقسيم العالم إلى دول، فتكون لكل جماعة دولتها، حتى وإن كانت الحقائق خلاف ذلك. وتبقى الحقائق حقائق. حتى لو حاولنا التدخل في هذه الحقائق ونلعب لعبة "فرِّق تَسُد" بين كل الأمم... ولكن هذا كان أقصى ما وصل إليه "بيرتون" في حديثه عن ذلك الوضع، لأن "Wsbigtime88" كان يُريد أن يعرف ما إذا كان "Wsbealport1" قد بحث عن معلومات عن أصحاب المصنع الجُدُد. ودارت بينهما هذه الدردشة:

- أعتقد أنهم أناس جيِّدون. يستثمرون في هذا المصنع. من دون أن يطردوا أحدًا. ينوون إبقاء الموظفين هنا.

- سمعت عن "كيزلوسكي" من قبل؟

- مَن هو؟

- أقوم بالبحث نيابةً عنك يا صديقي.

- بخصوص ماذا؟

- بخصوص مَن تعمل لديهم.

- ولكن اسم من اشترى المصنع "كيسنجر"، وليس "كيزلوسكي".

- ابحث عن الاسم عبر "جوجل". أليس اسم شركة الاستثمار هو "مادريجال"؟ إنهم خمسة شركاء، أحدهم هو "كيزلوسكي".

- شكرًا جزيلًا. لا أعتقد أنني مهتم به.

- كما تحب. أتدرك ما الذي يشير إليه هذا الاسم "كيزلوسكي"؟

- بولندي، فيما يبدو.

- صدَّق ما تحب أن تصدقه. ادفن رأسك في الرمال. هم يريدون منكم ذلك.

- سبق أن أخبرتك أن اسم الرجل "كيسنجر"، هو المسؤول. ويبدو لي أنه رجل صادق. لقد منحنا علاوة.

- "كيسنجر".. "كيزلوسكي"؟ وماذا عن "هنري كيسنجر" أيضًا؟ اسم قريب من اسم صاحبك "كيسنجر".

- وجهة نظر.

- لا أطلب منك سوى أن تبحث وراءهم. نحن أمام خدعة تبديل وجوه مُعتادة.. "كيسنجر".. "كيزلوسكي"؟

كان الرابط بينهما موجودًا بالفعل، ولم يستغرق "بيرتون" وقتًا طويلًا في البحث عبر "جوجل" قبل العشاء عن شركاء "مادريجال"، ليعرف أن "روجر كيسنجر" و"جيمس كيزلوسكي" شريكان وليست بينهما قرابة من أي نوع، وأن أحدهما مولود في "أوالا"، "ميزوري"، والآخر في "سبوكين"، واشنطن، ولا يبدو أن أيًّا منهما قد غيَّر اسمه. وعرف أن "كيزلوسكي" ليس من شعب الله المختار، كما لمَّح "Wsbigtime88"، ولكنه مسيحي من الرومان الكاثوليك، وهو من رعية أبرشية "سانت ماري" في جرينتش، ولاية "كونيكتيكت". هذا جيد. لم تكُن المعلومات المثالية، ولكننا لا نعيش في عالم مثالي، وعليه أن يتجاهل تلميحات "Wsbigtime88"، فهو مجرد أحمق لا نفع منه سوى تضييع وقت غيره.

تعيش "تينا مايلز" بشكل مُستقلٍّ عن أُسرتها، وكذلك كان "ميكي" كبيرًا بما يُتيح له أن يعيش بمفرده أيضًا، ولكنه لم يفعل لأسباب واضحة مفهومة. هكذا، كانوا ثلاثة على العشاء، وهذا حالهم في كل مساء، عدا أيام الأحد حيث تأتي إليهم "شيرلي" وأولادها. وقبل أن تأتي "بيف" بالدجاجة التي تبقَّت من الأمس، أحضر "بيرتون" لـ"ميكي" ما ابتاعه لأجله من "هانافورد". لم تكُن مفاجأة كاملة لـ"ميكي"، فقد اعتاد أن يشتري له "بيرتون" حاجات، ولكن "بيرتون" يُجيد رسم الابتسامة على وجه ابنه، وأن يسمع منه كلمة شكرًا، التي ينطقها بنبرة عالية نوعًا ما، بأن يُضفي شيئًا من الإثارة على مشهد إخراجه لعُلبة الـ"أوريو" من الكيس.

يمكن بالطبع أن تكون الحقيقة هي أن "ميكي" يداعب "بيرتون"، وليس العكس، أو أن كلًّا منهما يُداعب الآخر بالدرجة نفسها. كان "ميكي" أطول، وأضخم جسدًا من والده. يخلو وجهه العريض من أي تعبيرات. يفتقر إلى التعبير، وربما الذكاء، كما أنه لا يعرف الدهاء والخُبث أو القسوة. فهو صبي قوي تحول إلى رجل صلب. وكان "بيرتون" بدوره قويًّا دائمًا؛ حيث إنه أفضل مَن يقوم بتدريبات الضغط عندما كان في قوات مُشاة بحرية الولايات المتحدة، أو "المارينز". يحب الأكل الصحي، أو على أي حال ما يعتقد أنه أكل صحي، وهو ما قد يبدو للآخرين في بعض الأحيان أكلًا غريبًا، ويُحافظ على لياقته ورشاقته.

يحب "بيرتون" أن يعتبر نفسه صاحب أصغر بطن بين جميع عمَّال المصنع؛ الذين في مثل عُمره على الأقل. عُمره اثنان وخمسون عامًا، كانت لحيته البيضاء الرفيعة مثل راية يميز بها نفسه بين الجميع.

وضعوا الـ"أوريو" جانبًا، ولكنه لن يكون طبق الحلو لهذا العشاء. قدَّمت "بيف" قطع الدجاج المتبقية مع الصلصة وبعض الخضراوات المُجمَّدة. هناك بالطبع نساء يكرهن الجمع بين العمل وطهي الطعام، لكنها لم تكُن واحدة منهن. فهي تجد في طهي الطعام فرصة للنسيان. أن تطهو، ومن ثم تتريَّض بعد العشاء، في ليلة صيفية وخلال ليالي الشتاء في بعض الأحيان، وقت أن تكون النجوم أوضح ما يكون في السماء.

عاشوا خارج المدينة، على بُعد أربعة أميال على الطريق المؤدي إلى "بانجور"، على مساحة خمسة أفدنة من مزرعة والد "بيرتون" القديمة. بالطبع تم بيع المزرعة منذ زمن طويل، ولكن بقيت هناك خمسة أفدنة. في الخارج غابة جميلة، تختلط فيها أشجار الصنوبر، "اللاركس"، و"التامول"، والقيقب، على الرغم من انتشار شجيرات "جار الماء" هنا وهناك.

تقدر "بيف" حرص زوجها على تخصيص كثير من الوقت في توجيه "ميكي"، لكن هذا لا يعني أنها توافق على جميع أشكال التوجيه. فهي لا توافق على جلبه الـ"أوريو" على وجه الخصوص. تشعر بأن ذلك يمثل ميزة غير عادلة. سيقول لها "بيرتون" إنه شيء مثل كل شيء آخر، حيث يحتاج "ميكي" إلى قليل من المُساعدة، ومن ثم يتجاوز المرحلة. تفهمه نوعًا ما، وتُدرك نيَّاته الطيبة، لكن الـ"أوريو" ما زال يجعلها أشد حزنًا مقارنة بمعظم التعديلات والاعتبارات الأخرى التي أحاطت بحياة ابنها. فقد علَّم "بيرتون" "ميكي" كيف يُطلق النار. لم تستطع أن تعترض على هذا، فمن النادر أن تجد في هذه المُقاطعة مَن لا يُجيد إطلاق النار، وكان من المهم أن يصبح "ميكي" رجلًا. ثم علَّمه "بيرتون" كيف يصطاد أيضًا. علَّمه كل المهارات والأسرار بحقٍّ. وعلى الرغم من أن مجرد التفكير في ذلك صعب، لكن "بيف" فكَّرت فيه أكثر من مرَّة، فكَّرت في حقيقة أنه إذا كان لديك كلب كبير، ولكنك تدربه جيِّدًا، فلن تكون خائفًا منه أبدًا.

انتهى وقت العشاء سريعًا، ولم يكُن ضوء النهار قد غاب تمامًا بعد، ربما أمامه نصف الساعة إلى ثلاثة أرباع الساعة. استيقظ مبكرًا، وتناول الطعام في وقت مبكر، وذهب إلى الفراش باكرًا، هكذا كانت عادة الأجداد حيث لا عمل إلا في ساعات النهار. غسلت "بيف" الأطباق حتى تتمكن من الخروج للتريُّض. سأل "بيرتون" ابنه:

- هل تريد مني أن آتي معك؟

- أنا بخير.

أعاد الـ"أوريو" في كيس "هانافورد". وقالت له أمه:

- خذ الكشَّاف معك، احتياطًا.

أحضر "بيرتون" الكشَّاف ووضعه في يد "ميكي" قبل أن يخرج. وخرجت "بيف" تمشي على الطريق. راقب "بيرتون" ابنه وهو يتجه نحو الغابة، حتى دخل وسط الأشجار، وكان آخر ما رآه "بيرتون" يقينًا هو كيس البلاستيك الرمادي الذي أحضره من السوبر ماركت.

لم تكُن مساحة الأرض الفضاء بعيدة في الغابة. كل ما كان على "ميكي" القيام به هو اتِّباع المسار الذي كان رطبًا، ولكنه نظيف كفاية. سيكون هناك خلال خمس دقائق. يهشُّ عنه كثيرًا من الهاموش. علَّمه والده شيئًا آخرَ، وهو أن الشيء الوحيد الذي يجب فعله مع الهاموش هو أن يهشه ولا يهتم له. هناك ألف شيء يعجز "ميكي" عن إخبارك إياه، ولكنه يستطيع أن يخبرك إنه أحب هذه الغابة. يسعد برائحتها، ويخوض فيها مغامرة آمنة. إنها الرائحة التي وُلد فيها. وتلك حقيقة من بين الحقائق التي يعجز عن التحدث عنها، لكنه كان يعرف أكثر مما يقول، على الأقل. أسرع الخطى قليلًا. قبض على الكشاف. بحث عن الحيوانات، وتسمَّر في مكانه عندما رأى طائرًا على غصن، وحرص على ألا يصدر عنه أي صوت.

يحفظ "ميكي" كثيرًا من التعليمات. إنه لا ينسى تقريبًا أي شيء قيل له. رائحة العالم أفضل من مجرد ليلة عادية جيدة؛ كانت رائحة الغابة، والطائر، وفرصته. زاد توتُّر أعصابه مع اقترابه من المساحة الخالية من الأشجار. يعرف مكانها من الأشجار وانعطاف الدرب وضوء الكشَّاف الخافت الذي يمتدُّ أمامه. عصبيته وترقُّبه بسبب أنه يعرف ما كان يفعله بالضبط. إنه يضع طُعمًا ليصطاد به دُبًّا. ظل يترك عُلَب الـ"أوريو" في تلك الأرض على مدار شهر، وأحيانًا كان يأتي الدُّبُّ، وأحيانًا لا يفعل. ولو أنه أتى مرَّات كافية ولمدة طويلة بما فيه الكفاية، فعندئذٍ، وعندما يحين الخريف، سيتسنَّى لـ"ميكي" أن يُطلق النار عليه ببندقيَّته.

وصل "ميكي" إلى الأرض الفضاء، ووجد أن طعم الـ"أوريو" السابق قد اختفى.

اختفت قطع البسكويت تمامًا. فتَّش "ميكي" الأرض ولم يجد حتى الفُتات. هذا هو ما علَّمه "بيرتون" إيَّاه، وهذا هو الاختبار، إذا اختفى الفُتات تمامًا، فإن الاحتمال القوي أن يكون دُبًّا. حدث ذلك أكثر من مرَّة، واختفى الفُتات تمامًا.

انتاب "ميكي" شعور بالثقة في داخله، أو أمل. نظر بعناية حوله، ليتأكد من أن الدُّبَّ ليس هنا الآن، في مكان قريب، يُراقبه. أخرج الـ"أوريو" من

الكيس عُلبة في كل مرَّة، ووضعه كومة واحدة في البقعة نفسها. تبدو من بعيد مثل كومة حطب تتجهَّز لتضرم النار فيها. نبه عليه والده ألا يترك وراءه قمامة، لذا أعاد العبوات الفارغة إلى الكيس. نظر حوله مرَّة أخرى، ليتأكد من أن الدُّبَّ لا يقترب. وعندما تيقَّن من ذلك، بدأ رحلة العودة عبر المسار نفسه. حلَّ الظلام تمامًا، فكان يمشي على هدى نور الكشَّاف وحده.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الصَّفقة

أراد "مات فرانزورث" أن يعرف رأي "بيلي" في فرصة لكسب بضع مئات من الدولارات. كانا يجلسان في ركن معزول داخل بار "درفي". يمتلك "مات" حصة من الأعمال التي تجري في الجزيرة، من قبيل حراسة المنازل والصيانة، وما إلى ذلك، وقد أثبت نفسه في هذا المجال وأدهش مَن ظنوا أنه لن يحقق أي نجاح يُذكر. وهو الآن لا يعيش في "بيلبورت"، لينأى بنفسه عن أعيُن الناس الذين يعرفونه. يعمل لديه في الصيف ستة عمال أحيانًا، ويرغب في أن يعمل "بيلي" معه؛ لأنهما كانا زميلين في الثانوية، وإن لم تكُن الصداقة وثيقة لذاك الحد، علاوة على أنه عرف أن "بيلي" لن يتمكن من العودة إلى عمله في المصنع.

يشربان بيرة رخيصة، ويرمقان مباراة بيسبول على الشاشة من دون اهتمام. كان فريق "ريد سوكس" على وشك أن ينال خسارة جديدة. ومن الطبيعي أن يسأل "بيلي" عن الكيفية التي سيكسب بها تلك المئات المنشودة. أخبره "مات" أن كل ما عليه هو أن ينقل بضاعة من "برونزويك"، وهكذا بدأ الحوار.

أخذ يتحدث "بيلي" بحذر، بنبرة مَن كان ينتظر من "مات" أمرًا مثل هذا منذ أن التقاه، ثم نسي ذلك، قبل أن يعود ليتذكره الآن: - لا أعرف إن كانت حالة سيارتي تسمح أم لا.

- خذ إحدى الشاحنتين.

- لا أُحبِّذ ذلك. شكرًا يا "مات".

- ظننت أنك بحاجة إلى المال.

- ما نوع البضاعة؟

- أنت مهتم إذًا.

- لم أقل هذا.

- لا تكُن غبيًّا. سأعطيك مبلغًا من المال، وتأتي لي ببضاعتي. تحضرها فأمنحك ثلاثمائة دولار.

- مخدرات؟

- بدأت تتحدث في الجد.

- لكن تخميني لم يبتعد كثيرًا.

- زبوني سيلجأ لاستخدام حقه في التعديل الخامس من الدستور، وهو أنه لن يقبض على أحد من دون توجيه اتهام.

- "مات".. لا أريد أن أتورَّط في أي مشكلات. ظننت أنك تعرف ذلك.

- لن تكون هناك أي مشكلات على الإطلاق.

قال "بيلي" بنبرة نصف مقتنعة، أو ثلاثة أرباع مقتنعة: - أنتظر حصولي على وظيفة في المصنع، ألا تعرف هذا؟ وربما لا تصدقني، ولكن لديَّ مهارات أخرى خلاف أن أكون مجرد مرسال لك.

- ألهذا تفضل أن تبيع المخدرات بنفسك؟

- تبًّا لك.

- كما تحب.

وبالفعل، كان "بيلي" على راحته. يمكننا أن نستغرق في تحليل عملية اتخاذ القرار لديه؛ شكه في نفسه، وقدرته على التحمل، وتقلبات نياته الطيبة، ولكنك في النهاية تحتاج فقط إلى تكرار عبارة "ثلاثمائة دولار"، والتي كانت مثل كلمات سحرية تعد بالكثير مقابل ما هو قليل لتستعصي على أي قُوَّة ممانعة أخرى. كما أن "مات" سيدفع ثمن البنزين. وكان ذلك لإظهار حريته، حتى يستسلم "بيلي".

وهكذا، وفي يوم السبت، توجه "بيلي" إلى "برونزويك" في ثاني أفضل شاحنة لدى "مات"، والتي كانت آثار فصل الشتاء عليها أقل مما هي عليه في ثالث أفضل شاحناته. توقف في قلب "هانافورد" إلى أن اقترب منه الرجل الذي أتاه في سيَّارة أجرة. ناوله "بيلي" مبلغ ألف وستمائة دولار، ومن ثم وضع الرجل في أرضية المقعد في شاحنة "بيلي" حقيبة بداخلها ثلاثمائة كيس صغير. مهمة بسيطة بما فيه الكفاية. ملامح الرجل لاتينية، وبشرته داكنة. لم يتحدث كثيرًا قبل أن يعود إلى سيَّارة تحمل لوحات "نيويورك"، الأمر الذي توترت له أعصاب "بيلي"، لأن هذه البشرة، وتلك اللوحات، كفيلتان بلفت الانتباه. ألهذا السبب رأى "مات" أن يذهب هو، تحسبًا لأن يلفت هذا "البورتوريكي النيويوركي" الانتباه؟

لم يلمس "بيلي" تلك الحقيبة. إنها شاحنة "مات" في الأول والآخر، وما عليه سوى أن يترك الحقيبة مكانها إلى أن يسلم الشاحنة إلى "مات". دفع له "مات" المبلغ على الفور. التقيا في ساحة انتظار السَّيَّارات في بار

“درفي”، حيث ترجَّل “بيلي” من الشاحنة ليناوله “مات” أتعابه أوراقًا نقدية جديدة. تلك إحدى خصال “مات”؛ يدفع ما عليه طالما وعد بذلك. ويحق له أن يفتخر بذلك. جلسا في ذلك الركن من البار مجددًا، ليستمتعا بمشروب على سبيل الاحتفال، أو كما ظن “بيلي” في البداية، ولكنه وجد “مات” يطلب منه مصلحة أخرى.

- أيمكنك أن توصل لي شيئًا في طريقك إلى العمل غدًا؟

- كانت هذه المرَّة فقط يا “مات”. أتعتقد أنني سأفعل ذلك مُجدَّدًا؟

- أنت حتى لا تعرف ما هو الشيء الذي أتحدث عنه.

- معذرة، لا بد أنني أسأت الظن.

- لم تُسئ الظن، ولكن هذا هو أسلوبك. أطلب منك ذلك لأن المكان قريب منك.

سكت “بيلي”، وبدا للحظة منشغلًا بمحاولة نزع الملصق عن زجاجة البيرة. هناك كثير من الأمور التي لا يعلم عنها شيئًا، ولا بد له أن يعلم. ثم، مَن من سكان الجزيرة يشتري هذه المخدرات، ومَن هذا الذي، أو هذه التي، يشتريها من “مات”؟

- لا أعتقد أنني سأفعل ذلك يا “مات”. لم نتفق على ذلك. وقلت لك إن...

- أعرف.. إنك لا تحب الدخول في هذه التجارة.

- لا أفرض عليك أن تصدقني.

- الأمر بسيط إذًا. منزل “كيسنجر” من بين المنازل التي تعمل في صيانتها. ولن يكون عليك أن تبذل أي جهد.

- “كيسنجر”؟

- هلَّا خفضت صوتك؟

- مجنون أنت. زبونك في بيت “كيسنجر”؟

- لا تذهب إلى هناك إذًا. قُم بتوصيل طلب آخر إلى منزل “براوننج” بدلًا من ذلك.

- لا أحب هذه الطريقة. عليك أن تُعرِّفني مَن هو الزبون. مَن هو؟

- وما الفارق بالنسبة لك؟ أنت تريد ألا تتعاون معي. ليس عليك أن تقلق بشأن ذلك إذًا.

- لن أخبر أحدًا.

- ولا أنا.

- هل هو الرجل الكبير؟ صاحب المصنع؟

- أنت طيب للغاية. هل تريد أن تتعاون معي أم لا؟ إنها مرَّة، والأمر هيِّن، سيعود التلاميذ إلى المدارس خلال أسبوع، أي أنهم سيغادرون جميعًا. افعلها وحسب. وإلا لن يكون من الممكن لك أن تعود إلى هناك مرَّة ثانيةً. لن تكون محل ثقة.

ربما يتفق "بيلي" أو لا يتفق مع تلك الجزئية الأخيرة من تحليل الشخصية، فهو لم يكُن متيقنًا في كثير من الأوقات مما إذا كان يثق في نفسه من الأساس. على أنه يثق في أمر واحد؛ أنه يريد العودة إلى منزل "كيسنجر"، حتى يشعر أنه جزء من ذلك العالم الذي كلما استحضره في خياله يُدرك أنه مثل مملكة ساحرة. مهلًا، أليس هو "ديزني لاند"؟ بالطبع هو "ديزني لاند". هذا هو التفسير. ولو كان "ديزني لاند"، فلا بد أن أحد هؤلاء الصغار كان يرغب في المخدرات والتقى أحدهم فأخبره ووصل الخبر إلى "مات"، الذي لا يقدم في المعتاد على مثل تلك المخاطرة.

أم أن الحقيقة هي العكس، وأن الأوراق كلها في يد "مات"؟ تمتم "بيلي" مهزومًا: - عليك اللعنة "مات".

- آن لي أن أنصرف. أتركك لتتحدث مع نفسك.

- سأفعلها مرَّةً واحدةً.

- هذا هو كل ما طلبته.

على "بيلي" الاستمرار في تشذيب العُشب في منزل "كيسنجر"، وتوصيل ثلاثة أظرُف من مخدر "الجلاسين" إلى ابن "روجر كيسنجر"، التلميذ البالغ من العمر سبعة عشر عامًا، الذي تمتزج بداخله مشاعر الخوف برغبات أن يجرب كل شيء، بدايةً من دردشة ودية مع أحد أبناء البلدة عند بار "هاربر"، وصولًا إلى أن تصل طلباته إليه بسهولة. ففي "تشوتي"، سيكون "هام كيسنجر" قادرًا على التحدث بثقة في موضوع لا يزال يشوبه الخطر. لن يقلق بشأن ذلك كثيرًا. كل ما يهمه هو أن يتسنَّى له الالتحاق بكلية "دارتماوث".

وما الذي سيفعله "هام" بهذه الطلبية؟ هذا سؤال لم ينشغل له بال "بيلي هتشينز" كثيرًا. الحقيقة هي أنه لم يكُن مهتمًّا في السابق بخبايا الهيروين والمخدرات عمومًا؛ فهو يفضل الخمر عليها. لم يحب مُدمني المخدرات، ولا أن يكون تحت تأثير مخدر. كما أن المخدرات لا تتماشى مع مبادئه، كونه رجلًا يسعى لصنع مستقبله. يمكنك القول إن تحاشي المخدرات يعزز من قيمة خصاله القليلة التي تميزه عن غيره، ويتفوَّق بها على المُدمنين.

والآن، يجد صبي الإعدادية هذا - الذي يملك كل شيء، وأخو الفتاة أو الفتيات اللاتي يودُّ "بيلي" لو يفعل أي شيء حتى يبقى بصحبتهن، ويحادثهن - ضمن زُمرة المُدمنين الفاشلين. هو شأنه إذًا، تبًّا له. وجد "بيلي" نفسه سعيدًا بأن يرى عالمًا اعتبره مثاليًّا وهو ينهار أنقاضًا. هذه عبرة لمن يعتبر. لا تنساق وراء خيالاتك، ولا تصدق كل ما تراه عيناك. هو محض وهم وسراب في أغلب الأوقات.

عند وصوله إلى منزل "كيسنجر" في اليوم التالي، مُستقلًّا ثالث أفضل شاحنة لدى "مات"، شرع "بيلي" في القيام بعمله في مرج المنزل. تبلغ المساحة نحو نصف فدان أمام المنزل ونصف فدان آخر، وصولًا إلى الشاطئ. نحن في أغسطس، والعُشب ينمو ببُطءٍ شديد، لدرجة أن تشذيبه في هذه الظروف مضيعة للمال. ضحك "بيلي" من نفسه لما وجدها قلقة على أموال "كيسنجر". لا يبدو أن الفتاة ذات ثوب السباحة الأسود، ولا أي من الأخريات في الجوار. كن أول مَن بحثت عنهن عيناه. بدا المكان كله شبه مهجور، كما لو أننا في سبتمبر بالفعل. هناك سيَّارة وحيدة أمام الجراج.

كان من المفترض أن يأتيه الصبي. وكانت تعليمات "مات" هي أن يستمر في جَزِّ العُشب حتى يحدث ذلك. وسرعان ما أدرك "بيلي" عيب هذه التعليمات، فهي تعني أنه إذا لم يظهر الصبي، فسيضطر للاستمرار في العمل لما بعد الظهر، مرارًا وتكرارًا، إلى حدٍّ قد يلفت النظر إليه. لذلك، عندما انتهى من المساحة الأمامية وأنجز نصف المساحة الأخرى عند الظهر، قرر "بيلي" الترجُّل عن ماكينة التشذيب والتظاهر بأن عُطلًا ما أصابها، وأخذ يتفحَّص الشفرات، ويعبث في أجزاء البطارية. وفي غمرة هذا المشهد التمثيلي، لمح "هام كيسنجر" وهو يتجه إلى الجانب الآخر من المنزل.

كان صبيًّا طوله ستة أقدام، نحيفًا، أشقر الشعر. يرتدي "شورت"، ويمشي حافي القدمين، مما يعرضه للإصابة بداء "لايم". لم يسبق لـ"بيلي" أن التقى "هاميلتون كيسنجر"، لكن الصبي اتجه نحوه، من دون أي خجل، كما لو كان سيد المكان وعلى وشك أن يلقي بتعليماته.

دار بينهما حوار قصير.. "مرحبًا".. "مرحبًا".. "أهناك عُطل في المحرك؟".. "ليس تمامًا". وفي النهاية، سأله الصبي عما إذا كان معه شيء لأجله. صوت الصبي أكثر عصبية الآن، لكنها لم تكُن عصبية مُبالغًا فيها. كأنه يريد أن يمثل دور المتوتر العصبي فحسب. أخرج "بيلي" أكياس "الجلاسين" من جيب البنطال. وسارع الصبي بدسِّها في جيب الشورت. فكَّر "بيلي" في أن يقول له شيئًا من قبيل "احذر وأنت تتعاطاها"، أو "كُن حذرًا"، أو "لا تستهن بهذه الأشياء"، ولكنه أدرك أنه إن تفوَّه بأي من تلك النصائح فإنه يُخاطِر بالكشف عن حقيقة أنه يعرف محتوى الأكياس، وهو أمر ظن "بيلي" أنه ليس من مصلحته من الناحية القانونية، لذا صمت. وعلى أي حال، فهو في الحقيقة لا يهتم بإذا ما كان الصبي يعرف ما يفعله أم لا. و"بيلي" مثل معظم البشر؛ لا يكذب إلا حينما يكون مُضطرًّا لذلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لقاء في الحديقة

عاد "بيلي" في الأسبوع التالي ليقُصَّ العُشب من جديد. على الرغم من أن العُشب لم يكُن يحتاج لقصٍّ، تمامًا كما لم يكُن يحتاج في الأسبوع الماضي. فكَّر "بيلي" في جهده الضائع وهو يتأمَّل المياه التي تتسرَّب من الخرطوم المُتهالك. سيظل يتسرَّب إلى الأبد، ولن يلاحظ "كيسنجر" ذلك. ليس هو بالرجل الذي يهدر وقته في أمر كهذا. الأوفر لرجل مثل "كيسنجر" أن يترك الماء ينساب، بدلًا من أن ينتبه لذلك، ومن ثم يلاحظ المشكلة، ويتوصل إلى حل، ويلتقط سمَّاعة التليفون لكي يتَّصل بمَن يأتي لينفذ له الحل. حاول "بيلي" تقدير قيمة وقت "روجر كيسنجر"، ولكنه عجز عن ذلك.

أحب "بيلي" فكرة أن يعتبر الوقت الذي يُمضيه فوق ماكينة تشذيب العُشب وقت التفكير الخاص به. ولا يعني هذا أن أغلب أقسام حياته الأخرى لا تعتبر أوقات تفكير، فقد بدا أن هناك دومًا مجالًا يسرح فيه عقل "بيلي"، في هذا الأمر، أو ذاك. ولكن جلوسه فوق الماكينة أشبه بجلوسه على عرش، ليكون ملكًا لتلك المساحة التي يعتني بها. ويغرق في أحلام مجده المتواضع. ومَن ذلك الذي يفكر فيه، شوقه لرؤية هؤلاء الفتيات مجددًا، وتساؤله حول ما يمكن أن يقوله أخوهم لهن. أهو سرُّ أم سرُّهُنَّ، وما إذا ظهرت الآن ذات الثوب الأسود من جانب المنزل كما فعل أخوها في الأسبوع الماضي، هل ستنظر إلى "بيلي" فترى في عينيه ما تهابه بسبب تلك الهالة الخطيرة التي تحيط به، أم ترى فيه ما يجعلها تنقاد له وتخضع؛ أم أنها لن تنتبه له من الأساس؟

ولكنها لم تظهر من جانب المنزل، وبدا أن جيل "كيسنجر" الجديد غير موجود في المنزل. يبدو أن "مات" على حق، وأنهن عُدن إلى المدرسة. شعر "بيلي" بالاكتئاب للفكرة، تمامًا كما هو شعوره عندما يستقبله البرد في وقت مبكر من الصباح، وعندما تقسو الأرض قبل "الهالوين". حتى إن "بيلي" فكَّر في أنه قد يكون أخطأ لما قرَّر العودة من "كاليفورنيا"، حتى ولو كانت الحقيقة أنه كان مُجبرًا على ذلك، حتى ولو كانت الحقيقة أنه جرَّب كل حظوظه هناك وفشل. لحظتها، وجد "كورتني كيسنجر" تُسارع الخُطى نحوه.

نظر حوله فرأى سيدة في الحديقة تُلوِّح بقُبَّعتها بطريقة مَن هو في ورطة ويلوح بمنشفة أو راية لغريب بعيد عابر. الحديقة جنوب المنزل، بعد المرج، ولها بوَّابة وسور يحميها من المخلوقات الهائمة. خصَّصتها "كورتني" لنفسها، لها وحدها، وقلما كانت الفتيات تدخلها، ويرتادها زوجها نادرًا، بين حين وآخر،

لكي يتأمل جمال تفاصيلها، ويثني على زوجته التي صنعتها. هي امرأة لم تبلغ الخمسين بعد، تفاصيلها إسكندنافية، جسدها قوي، وكتفاها عريضتان، أكسبتها مكانة الزوجة الثرية وسامة على جمالها. ستنال الشيخوخة من وجهها إن لم تبادر بإجراء عمليات التجميل المناسبة. كانت ملابسها مُنَّسخة بتراب الحديقة، وقد تعرقت تحت شمس ظهيرة أغسطس، الأمر الذي أضفى حيويةً على تقاسيم وجهها؛ لمعة حياة جعلته يشفق عليها من هذا الجهد. نبرة صوتها صبيانية خفيضة لا تكاد تسمعها وسط نسيم الساحل، حتى إنها بدت لـ"بيلي" أبعد مسافةً مما هي عليه بالفعل. ولما رآها تُلوِّح له، تحوَّل بالماكينة نحوها.

خرجت عبر البوَّابة وهو يقترب نحوها. تقبض على قبعتها، وعلى الرغم تعبها والقُبَّعة التي كانت ترتديها، فإن خصلات شعرها لم تفقد البهاء والرونق، فبدت مثل متنافسة على تاج ملكة جمال، أو أم لملكة جمال على الأقل.

- مرحبًا.. معذرة. هل يمكنك أن تساعدني؟

- بالتأكيد.

- أعرف أنك مشغول. دقيقتان فحسب.

- لا مشكلة.

- عجزتُ عن القيام بذلك وحدي.

تقدَّمت "بيلي" عبر البوَّابة إلى داخل الحديقة، حيث تقبع عربة الحديقة اليدوية وفوقها كثير من الصخور وكومة من قطع النجيل. كانت إحدى العجلتين خارج محورها، وبالتالي كان من المستحيل أن تحرك هي العربة بنفسها. تذكَّر "بيلي" وهو يتأمَّل تلك الكومة فوق العربة نكتة قديمة لا تحتمل أن يقولها لها، خاصةً أنها قد تحمل إساءة، وهو ليس على معرفة وثيقة بعد بتلك السيدة التي تقف جواره. الحديقة نفسها عبارة عن قسم أو بقعة صغيرة مستقلة بذاتها، ولها ممرَّات صُنعت بكل حرص وعناية وذوق، حتى إن بمقدورك أن تضعها لها لافتات كتلك التي في الشوارع؛ "شارع فاوانيا"؛ "طريق الطماطم"، وهناك بستان في الطرف الجنوبي منها، قريب من صف الأشجار الذي يفصل بينهم وبين الجيران.

لم يكُن ممكنًا أن تقوم بذلك بنفسها، ولكن من نظرة إلى عدد الصخور في العربة يتضح له أنها لا تخشى العمل الشاق. تأمل "بيلي" الموقف من دون أن يفصح عما يدور في عقله بشأن الطريقة التي تعاملت بها مع عربة حدائق مثالية للغاية. على أن "كورتني" كانت بالفعل تخشى أن يتصورها

امرأة غير مُكترثة، ولكنه لم يكُن يراها كذلك. فما منفعة "بيلي" من أن يعتبر أن زوجة الرجل الذي يعمل لديه عديمة الخبرة؟

- أعتقد أنني وضعت في العربة ما يفوق طاقتها.

- علينا أن نفرغها.

- هل يمكنك إصلاحها؟ أعني أنه ليس عليك أن تجهد نفسك.

رفع "بيلي" العربة وأفرغ محتوياتها ثم قلبها فوق الأرض. بدت العجلة المتعطلة، مثل ساق مكسورة متدلية. طلب منها إحضار جاروف. وأخذ يضرب بالجاروف على محور العجلة، ثم ضغط بكل قُوَّة على العجلة، ولكنه لم يصل إلى النتيجة المنشودة.

عاد إلى ماكينة التشذيب ليجلب مطرقة. أخذ يطرق على المحور بكل قُوَّة وحماس. آل "هتشينز" يعتبرون أن المطرقة كفيلة بحل أي مشكلة. وفي النهاية، تحول المحور إلى كتلة بلا ملامح، وكأنها خرجت للتَّوّ من معركة طاحنة.

وقفت "كورتني" تراقب ما يجري في توتر، كأنها في ورشة إصلاح سيَّارات لجأت إليها مضطرة، بينما يعيد "بيلي" العربة إلى وضعيتها الصحيحة، ويبدأ في تحريك العربة للأمام والخلف على عجلتيها. أخذ يجذبها ويدفعها حتى يتأكد من سلامة حركتها. لم تكُن في حالة مثالية، ولكنها ستؤدي الغرض.

- أشكرك.. شكرًا جزيلًا.

- لا أقول إنها عادت إلى حالتها الأولى.

لكن "كورتني" أكدت له أنها الآن ممتازة. أخبرها "بيلي" أنه سيجلب معه زيت تشحيم المرَّة القادمة، على الرغم من أنه يُدرك في المرَّة القادمة عندما سيأتي سيجد عربة جديدة تمامًا محل هذه المسكينة، وبالتالي لن يكون للزيت نفع أو حاجة. استمتع بامتنانها له للحظات. لها ابتسامة جميلة متناسقة، وأسنان بيضاء ناصعة، حتى إنها أكسبت استحسانها صبغة رسمية غريبة.

وضع الصخور وقطع النجيل في العربة، على الرغم من أنها طلبت منه ألا يفعل ذلك، ولكنها مع هذا لم تمنعه. حرك العربة عبر البوَّابة الخلفية للحديقة، ومنها إلى الأشجار، ليفرغها عند كومة مماثلة هناك.

عاد "بيلي" من عند الأشجار، ليجد رجلًا بصُحبة "كورتني". لم يسبق له أن التقى "روجر كيسنجر" شخصيًّا، ولكن هل هناك من أحد غيره هنا؟ كانا يقفان عند أشجار الفاكهة، أمام شجرة تفاح صغيرة. أشارت "كورتني" له أن يقترب. يتحدثان عن حالة الأشجار. أوراقها تصفر وتتساقط. وهناك بقع في لحاء الشجر. كانت "كورتني" قد غرستها في الربيع الماضي. بادرته "كورتني" وهي تشير إلى "كيسنجر": - أعرفك على زوجي، هذا "الجنتلمان" ساعدني بالفعل. آسفة، لم أعرف اسمك.

- "بيلي"؛ "بيلي هتشينز".

- وأنا "روجر كيسنجر". وهذه "كورتني" زوجتي. أنت من آل "هتشينز" في "نورومبيجا"؟ لدينا عاملان منهم في المصنع هناك. أو هم ثلاثة في الحقيقة.

ابتسم "بيلي" قائلًا:

- أخي وأبي.

- وكذلك زوجة أخيك. جيد إذًا. نشكرك على مساعدتك هنا.

- لا مشكلة. على الرَّحب.

- الناس تتحدَّث عن سُمعة عائلتكم الطيبة. تحدَّثت إلى "جاري". شاب قوي.

- شكرًا، سيدي.

- الشكر لك.

همَّ "بيلي" بالابتعاد. فهو على الرغم من عدم معرفته بقواعد الإتيكيت، فإنه يعرف بذكائه الفطري متى ينسحب من المشهد في التوقيت المناسب، ولكن فكَّر في أن يجرب حظه. لن يكون من المُستحسن أن يعرفا أنه كان يسمع حوارهما قبل أن يقترب منهما، ولكن ماذا لو أمكنه أن يساعدهما؟

- هل لي بكلمة؟ لقد سمعتكما تتحدثان عن هذه الشجرة. أعتقد أن مشكلتها هي شجرة الأرز التي هناك.

أشار إلى صف الأشجار وأكمل: - تلك الأشجار الخضراء؛ هي التي تحتوي على آفة صدأ التفاح، وانتقلت العدوى إلى شجرتكما منها عن طريق الرياح. الآفة تنجذب إلى أشجار التفاح. تقتلها. لو أردتما إنقاذ أشجار التفاح فعليكما بالتخلص من أشجار الأرز.

- لم أسمع بذلك من قبل. آفة صدأ التفاح. شكرًا.

- عليكما بإحضار متخصص في قطع الأشجار.

- هذا ما كنا نتحدَّث عنه منذ قليل.

- احرصا على أن تتخلَّصا من أشجار الأرز. وإلا لن تنتهي المشكلة.

- نُقدِّر لك ذلك.

- هذا رأيي فحسب.

تركهما "بيلي" وعاد إلى عمله على العُشب والذي لم يكُن ضروريًّا في الحقيقة. وبينما يطوف مرج "كيسنجر" الكبير، يحوم مثل صقر جارح، كما يحب أن يصف عمله، اجتر تفاصيل الحوار معهما، مرددًا كلماته بالنبرة نفسها، متذكرًا ابتساماتهما الشاكرة. يتساءل عما إذا كان أفرط في الكلام أم أنه بخل فيه، وعما إذا كان قدره معهما سيتغير أم أنه ضيع للتَّوِّ فرصة كانت سانحة.

لن يعرف هذا الآن، ولكنهما كانا لطيفين معه. وصفه "روجر كيسنجر" بالشاب القوي. وأخبرته "كورتني" أنه شخص محترم وعامل مجتهد، وأنها تبحث عمن يساعدها في أعمال الحديقة منذ أن تقاعد "فرانسيس".

طلبت نصيحة زوجها، الذي لم يمانع أبدًا، لماذا لا نجربه؟ هناك كثير من العمل في نهاية الموسم، ومن ثم في الصيف القادم. وعندما سألته "كورتني" عن قُدرته على العودة إليها في عُطلة نهاية الأسبوع للقيام ببعض الأعمال، سعد "بيلي" بطلبها إلى حد كبير، لدرجة أنه لم يفكر في أي شيء لحظتها سوى جرعات الهيروين التي أوصلها لابنهما.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

النُّزهة

اعتاد أهالي "بيلبورت" التَّنزُّه في جزيرة "بيرش" يوم عيد العُمَّال الأمريكي الذي يأتي أول إثنين في سبتمبر من كل عام. يصطحبون معهم ما لذَّ وطاب من الطعام والشراب؛ بيض، ودجاج محمَّر، وسلطة "كول سلو"، والجمبري الفيتنامي من المزارع السمكية في "هانافورد"، والمحار، وبلح البحر، والبيرة، والكولا، والبُرجر المُعَد على شوَّايات محمولة، وفطائر دسمة للغاية، وبطاطس محمرة، ومخللات، وسلطات بالمايونيز، وكيك بالجزر، وكيك بالشوكولاتة، وكيك من كل لون وصنف.

لا يميلون في هذا اليوم إلى الابتكار في الأطباق، على الرغم من أن "بيف مايلز" بدأت في السنوات الأخيرة تجلب الكرنب. وهناك مَن يخرج من دار رعاية المُسنِّين جالسًا على كراسي بعجلات، لتنقلهم القوارب إلى الجزيرة.

وكان لفكرة النزهة بالطبع معارضين علاوة على مَن ملَّ الذهاب إلى المكان نفسه لسنوات وسنوات، ومنهم الصبية المُراهقين، ولكن الجزيرة تستقبل في كل عام ما متوسطه مئتي شخص يستقلون ثلاثين قاربًا أو أكثر، تتنوع بين قوارب الصيد والفسحة، والقوارب الكبيرة وقوارب ذات مُجدافين وطرَّادات وعبارات، جديدة وقديمة، وقارب شراعي، يشقون طريقهم جنوب "ماجوت" إلى الخليج المفتوح لمسافة خمسة أميال بحرية إلى "بيرش"، والتي تحافظ عليها الحكومة للترفيه عن عموم المواطنين، على عكس عديد من الجُزُر الأخرى جوارها، والتي صارت ملكيات خاصة، تنتشر على تخومها لافتات تحذر من التعدي على "ممتلكات الغير".

يرى البعض من أهل "بيلبورت"، ولا سيما القس "جون كيجلي" - الذي لم يكُن من "بيلبورت" من حيث الأصل، وبالتالي ربما لا ينبغي أن نحتسب لرأيه مئة في المئة - أن اقتصار خيارات النزهة على جزيرة "بيرش" التي تحيط بها "ممتلكات الغير" من كل جانب أمر يجعلهم أقرب إلى مجموعة من السكان الأصليين الهنود الحمر الذين يعيشون ذاك اليوم في محميات منعزلة، لكنك لن تسمع تلك الآراء يوم عيد العمال، فالناس يريدون تمضية أوقات طيبة مرتاحة، ومشمسة، إن حالفهم الحظ أكثر فأكثر.

كانت فرصة للراحة والتفكير فيما هو قادم. لا يزال المصنع قائمًا يعمل، وهذا أمر طيب، بل أكثر من طيب في الحقيقة، فهو أهم شيء في هذه البلدة.

كان من الممكن أن يتوقَّف المصنع وتتوقَّف معه الحياة، لولا الخطوة التي قام بها ذلك الرجل الذي كان يوصف منذ عام فحسب بأنه "غريب من

بعيد"، أو "أحد أصحاب المنتجعات الصيفية"، ولكنه اكتسب اليوم فيما بينهم لقب السيد.. "السيد كيسنجر". عيَّن السيد "كيسنجر" مدير عمليات للمصنع، كان يعمل في السابق بأحد مصانع البسكويت، اسمه "تيم فالوني". لم يكوِّن العمال حوله انطباعًا واضحًا حتى الآن، فلم يمضِ على تعيينه سوى ثلاثة أسابيع، ولا يزال "كيسنجر" في نظرهم السيد المسؤول عن كل شيء.

لقد وعد بجلب واحد أو أكثر من شركائه التجاريين من ولاية "كونيكتيكت"، وهذا لم يحدث بعد، ولكنه وعد باستثمار أموال، ويمكنك أن ترى ذلك بالفعل في الطلاء الجديد لجدران المصنع وتشغيل ماكينتين جديدتين في قسم التقطيع، وخطط إنشاء متجر بيع بالتجزئة لجذب السياح.

ارتاح الجميع للزيادة في رواتبهم. ووصلت إلى ساحة المصنع سيَّارات نقل جديدة. ولم يشهد شارع "ماين" افتتاح أي أعمال تجارية جديدة. بينما تجرَّأ "رالف دامون" أخيرًا ورفع سعر البيتزا خمسين سنتًا، الأمر الذي أثار غضب "بيرتون مايلز" على وجه الخصوص، وأخذ يشتكي من بدايات تضخم في "بيلبورت"، ولكن الناس عمومًا امتصوا صدمة الزيادة واستمروا في شراء البيتزا. وفي نزهة عيد العمال في جزيرة "بيرش"، خاصة عندما هيمنت الشمس على الظهيرة، كان الكل مرتاح البال.

أو عليك أن تنظر للأمور بعيني "مارثا هتشينز". فهي تعتبر يوم نزهة عيد العمال يومها الخاص. فهو من أيامها المفضلة، بل هو أفضل لديها من الكريسماس بمراحل، وأفضل من يوم عيد الشكر بمرحلتين أو ثلاث. ولو سألتها عن السبب، لأخبرتك أنه اليوم الذي يخرج فيه جميع أهل البلدة معًا. وبالطبع لا تقصد المعنى الحرفي لعبارة "جميع أهل القرية"، "بيلي هتشينز" لا يخرج معهم مثلًا، ولكنها لا تزال تشعر بأن الأمر كذلك.

وترى أن مَن لا يشارك يكون - ولو ليوم واحد - بعيدًا عن الإجماع. كما أن "مارثا" تعتبر نفسها واحدة من "شركاء التنظيم"، على حد وصفها. هي و"جينج ريتشاردز" و"دوتي باودن" و"بيف مايلز" بالطبع. هن مَن يحرصن على توفير ما يكفي من القوارب والزوارق، ويرتبن إحضار كبار السن من دار المُسنِّين، ويحصلن على التصاريح من مجلس تنظيم الملاحة ويوزعن الملصقات واللافتات حتى لا يأتي أحد من البلدات الأخرى إلى الجزيرة ويفسد على الكل مُتعة اليوم.

"مارثا" كريمة بطبيعتها. يصفها الناس بذلك دائمًا، ولهذا لا تجد سوى قلَّة لا تحبها. لا تقول لا لأي محتاج، وتحرص على الإنصات لشكاوى الناس بكل صبر الدنيا، وتساهم في أي جهد تطوعي. تدلل ابنها وتعمل على راحة زوجها

لكي يباشر عمله بمزاج رائق قدر الإمكان، وفي أي مناسبة مرتبطة بطعام، تجدها أول مَن يبادر بتقديم كثير منه.

وبالطبع، لم تكُن وحدها المهتمة بنزهة جزيرة "بيرش" وإعداد طعام النزهة. فدائمًا ما يتبقى طعام فائض، ويشتكي الناس من ذلك. فعندما يكون الجمبري كثيرًا، فإن السبب هو أن الجمبري الذي تحضره "بيو ليستيجر" وحدها يشبع الجميع. ومع ذلك، فهناك وقت في كل سبتمبر، تمكث خلاله "مارثا" في مطبخها لتحضير الدجاج المحمر، وتخشى من ألا ترضي كل الأذواق. هناك مَن يحب الدجاج وهناك مَن يحب الجمبري. وربما لا تكفي الكمية التي تجهزها. وهكذا، تهرع إلى متجر "هانافورد" لتأتي بكميات مضاعفة من كل شيء.

والآن، يجلسون على منشفة كبيرة تحمل دعاية لبيرة "كورونا" الشهيرة. بعد تناول الغداء ورفع ما تبقَّى منه، وشمس ما بعد الظهر حاضرة، أصبح أمامها الوقت كافيًا للتأمل فيما جرى هذا اليوم، واجترار اللحظات السعيدة فيه. تشبه جزيرة "بيرش" خيطًا ممدودًا من اللآلئ، يمتد بطوله شاطئ يكسوه الحصى والأحجار وتستقر الطحالب عند حوافه، وتنتشر كتل الرمل الجاف هنا وهناك في أنحائه.

في السابق، كان عدد أشجار الـ"بيرش" في أنحاء الجزيرة أكثر مما هو عليه الآن، ولكن ما عوض ذلك هو انتشار أشجار الـ"راتنج" التي منحت الجزيرة ظلالًا ورونقًا خاصًّا يراه أي شخص يأتي إليها من الشمال.

يحتمل أن يكون أهل "بيلبورت" هم وحدهم الذين غامروا بالذهاب إلى حيث أشجار الـ"راتنج" في ذلك اليوم بحثًا عن مكان صالح للتبول. يميل هؤلاء المتنزهون، مثلهم مثل بقية العالم، للتجمع بالقرب من المياه.

سقطت عينا "مارثا" على الشاطئ، والذي بدا وكأن قطيع مهاجر قد غزاه. بطانية مفروشة تلو الأخرى، وأناس من جميع الأشكال والأحجام، حتى لو كانت الغلبة لأصحاب الأحجام الكبيرة، وهم مُستلقون على ظهورهم، وعلى جنوبهم، وبطونهم، ومن حولهم القُبَّعات والتليفونات وأجهزة الراديو، في أيديهم أو إلى جانبهم، وكومات من الأطباق البلاستيكية مكدسة، بينما يتجول الأطفال، يلهون أو يركضون.

يرتدي كثير من الرجال ملابسهم العادية؛ قمصانًا بأكمام طويلة، وبناطيل معتادة، لكن عينك لا تُخطئ مَن يشذُّ عن هذه الأغلبية؛ ها هو "سكيب باودن" من دون قميصه، ليظهر له كرش، لم تتصور "مارثا" أن يكون لدى نحيف مثل "سكيب". وها هي "دون سميث" تكشف عن صدرها. يبدو أن

تلك المرأة تتفاخر به في كل مكان، أليس كذلك؟ بينما كان "بيرتون مايلز" بعيدًا عن مجال سمع "مارثا"، فلم تسمع ما كان يتحدث به إلى "فوكس هيرمان" و"إيرل هتشينز"، ولكن بوسعها أن تخمن موضوع تلك الثرثرة، فهو لن يختلف عما سمعته بالأمس، أو أول أمس، أن بحثه عبر الإنترنت أوصله إلى أن مؤسسة "مادريجال" اشترت شركة في أوهايو، وأخرى في أوكلاهوما، ولكن وقتًا قصيرًا مرَّ قبل أن تقرر إغلاقهما.

هناك بالطبع أكثر من معنى لهذه المعلومة، وهو ما لفت إليه "جاري" في كلامه، ومن ذلك أن تقارن بين هاتين الحالتين وبقيَّة الحالات التي كانت "مادريجال" طرفًا فيها، وهو أمر لم يفعله "بيرتون". وعلى أي حال، فليس اليوم هو المناسب لمثل هذه النقاشات، إلا إذا كان لك عقل "بيرتون". خلع القس "كيجلي" قميصه بدوره. الآن هناك مفاجأة لطيفة. ظهر أنه وسيم بالفعل، بل يمكن القول إنه من بين الأكثر وسامة في البلدة، فلماذا لا توجد امرأة في حياته؟ ليس من الممكن الإجابة عن سؤال "مارثا" بأنه قد يكون مثليًا، كما هو الحال مع إجابات عن أسئلة كهذه.

لم يكُن القس "كيجلي" مثليًّا بالتأكيد، هذا هو رأي سيدة تُقرُّ بضآلة خبراتها في هذه المواضيع، لكنها تشعر أن من حقها أن تصدق حدسها ونظرتها في الناس. وهناك، قرب الشاطئ، نجح "تيمي طومسون" أخيرًا في تطيير طائرته الورقية، التي أضحت تحلق وتناور نسائم الهواء.

بدا لها أن "ميكي" هناك. يحاول "ميكي" المسكين الاستمتاع بكل ما هو حوله، ويحاول أن يكون جزءًا من كل ما يجري. تساءلت "مارثا" عما إذا كان ميكي قد سأل نفسه يومًا، أو إن كان يسأل نفسه الآن، عن إحساس الإنسان عندما يُحلِّق في السماء.

قفز "جاري" في الماء، أمام "مارثا" ومنشفتها. كانت قفزة قوية. غاص، ثم ظهر، ثم غاص، غير عابئ ببرودة المياه، لأنه يفعلها مرَّة واحدة في العام، وبوسع الإنسان أن يفعل أي شيء مرَّةً واحدة في العام.

تذكَّرت "مارثا" فيلة البحر التي كانت قد شاهدتها في قناة "ناشيونال جيوجرافيك"، والطريقة التي تجتمع بها كي تتزاوج أو تتقاتل. كائنات قوية؛ إن لم تستطع أن تهزمها فعليك أن تكون في صفِّها.

نزل "جيروم" في الماء بعد أبيه، ولكنه ظهر في البداية حريصًا على ألا يبتل كثيرًا. بحلول عيد العمال، تزداد برودة المياه البعيدة عن تيار الخليج. رشه "جاري" بالماء، ورد عليه "جيروم" بالماء. كلهم يلعبون في يوم كسول، تمنَّت "مارثا" أن يدوم طويلًا.

غاب جانب عن عينيَّ "مارثا"؛ "شون بيريك" ومنظاره المكبر، حيث كان يجلس هناك يبحث به عن كل يخت فخم في الخليج، بينما يسجل في عقله، بالتأكيد، القيمة التقديرية لكل يخت يراه.

على سبيل المثال، يخت "روجر كيسنجر" طراز "هينكلي تي تو ناين آر"، والذي يبحر وكأنه سيَّارة "فيراري" تمخر المياه. كيان مختال، بلونه الأزرق، مثل سماء مُرصَّعة بالنجوم. إنه حتى ليس اليخت الرئيسي لدى "كيسنجر"، بل مجرد يخت متواضع - في نظره - يتسلَّى به، ليأخذ فيه الأولاد للتزلُّج على الماء أو للذهاب إلى "كامدن"، ولكنه يعرف أنه ثمنه يناهز رُبع أو نصف مليون. لكن آل "بيريك"، سواء "شون" أم "كريستين"، غير راضين عن حياتهم، ولا يملأ أعينهما سوى التراب.

بدأت المراكب والقوارب تعود مع ارتفاع المد. عادت لتشكل أسطولًا صغيرًا مميزًا، فوق صفحة الخليج الهادئ. وبينما تدقُّ الساعة السادسة، كانت "مارثا" تقف محتارة في المطبخ، وهي تحاول أن تجد مكانًا في الثلاجة لكل ما تبقَّى من طعام لم يمسسه أحد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الصَّيد

عندما دخل "بيرتون" المساحة الشاسعة وسط الغابة، وقف يتأمَّل الأشياء من حوله؛ فعلى بعد مسافة قريبة منه يقبع هيكل الشاحنة الـ"شيفروليه 3100" طراز 1948، في مكانه منذ زمن يسبق حتى نمو تلك الأشجار.

كان هذا المكان بمثابة المقبرة لسيارات وماكينات المزرعة، ويبدو أن جدَّ كان يظن أن بوسعه الاستفادة من قطع غيارها، على الرغم من أن هذا لم يحدث أبدًا. وفي الجوار، يقبع هيكل سيَّارة "بليموث" الضخم من أيام ما قبل الحرب، ولكنه هيكل عتيق وصدئ للغاية. الـ"شيفروليه" مختلفة. فكما يقال دائمًا، كانوا في تلك الأيام يعرفون كيف يصنعونها.

لا يميل "بيرتون" إلى الإكليشيهات، ولكنه يصدق الحقائق؛ فهي التي يعول عليها في الأيام ذات الحظ السيئ. وقد مرَّ وقت طويل على آخر مرَّة فتح فيها أبواب الـ"شيفروليه" لينظف داخلها ويخلصها من بقايا وأعشاش الحيوانات، ويجدد حشو المقاعد، قبل أن يزين الهيكل من الخارج بالأغصان، حتى يأتي اليوم الذي يلهو فيه ابنه بداخلها.

وتمرُّ الأيام، ولا يجد "ميكي" الوقت الكافي بعد العمل ليأتي إلى هنا. وكان يعوض ذلك في نهاية الأسبوع، حينما يقضي العطلة بصُحبة مجلات الكومكس ووجبة خفيفة لا رائحة لها، وهو أفضل ما يمكن لـ"بيف" أن تعده، وسلاح الصيد الخاص بأبيه على الرف أعلى المقعد الذي ثبته أبوه هناك لذاك الغرض.

وتمُرُّ الأسابيع، ومعها كثير من بسكويت "أوريو". ومرَّ الموسم الرسمي لصيد الدِّببة، ولكن "ميكي" لا يمتلك رخصة على أي حال. إنها أرضهم ولا شأن لأحد بها، كما كان "بيرتون" يقول كلما سأله في الموضوع سائل. في تقدير "بيرتون"، إن حراس الغابات لن يتعقبوا متهورًا يحاول صيد دُبٍّ داخل أراضيه.

ولكن، أين هو الدُّب بالأساس؟ كان "بيرتون" يعمد إلى وضع شحم الخنزير فوق بسكويت "الأوريو" حتى يزيد من غوايته للدِّببة. وذات مرَّة طلب من "ميكي" أن يضع أحشاء السمك، ومعها قشر الجمبري، في حال توافر ذلك. لا شك في أن الدِّببة تحب هذه البقايا، وذلك لأنهما كانا لا يجدانها في كل مرَّة، فيتوجَّب عليهما وضع طعم جديد، ولكن الدُّب لم يظهر لـ"ميكي" أبدًا.

وكان "بيرتون" و"بيف" يغسلان ملابس "ميكي" بمنظفات لا رائحة عطرية لها. يوقِظ ابنه في ساعة مبكرة، ويبقى معه ليلًا لأطول وقت.

هطل أول ثلج قبيل يوم "كولومبوس" الموافق ثاني إثنين في أكتوبر. وكما هو عهد موجة الثلوج الأولى دائمًا، فقد غلفت الغابة بالغموض والآمال. ارتدى "ميكي" حذاءً مطّاطي النَّعل، وكان حذرًا وهو يمشي حتى لا يصدر صوتًا. لم يكُن يائسًا، ولكنه لم يُمنِّ نفسه بكثير من الآمال أيضًا.

كان يفعل ما يُطلب منه ويترك الباقي للقدر. داخل السَّيَّارة الـ"شيفروليه" أبرد بكثير من داخل الغابة. أزاح "ميكي" الثلوج عن المقاعد المُبتلَّة. بين السَّيَّارة وموضع الطعم مجموعة أشجار. سيصوب "ميكي" بندقيته، وهذا إن قُدِّر له أن يفعل ذلك، من خلال إطار الزجاج الخلفي للسيارة، والذي لم يعد موجودًا بطبيعة الحال. شغل وقته بقراءة الكومكس، وهو يقلب صفحاتها بأطراف أصابعه الظاهرة من القفاز الذي قصَّت له أمه أطرافه. يحب قراءة الكومكس لأنها سهلة، وتعطيه فكرة عن أصحاب القُدرات الخارقة. وكان أحيانًا ما يتخيَّل نفسه في ملابسهم يقوم بما يقومون به ضد الأشرار.

يتخيَّل العالم منقسمًا نصفين بين الأخيار والأشرار. صفحات المجلات اللامعة تماثل عقله الناصع. وبينما يقرأ "ميكي" على قدر ما تعلم، يتوه عقله وسط شبكة المفردات، ويميز المتشابه منها فيحيك عشرات الأفكار حولها. وتمر أوقات على "ميكي" يظن فيها أنه أحاط بأسرار لم يحط بها أحد قبله أبدًا.

أصابه الملل من الكومكس، التي كان قد لاذ إليها بالأساس هربًا من الملل. يتوق إلى أن يطلق النار على أي شيء. كان يقرأ حتى لا يضايقه هذا الشوق، والذي يعجز عن إشباعه لأن أباه طلب منه ألا يطلق النار إلا على الدُّب. فلو أنه فعلها قبل ذلك فهذا يعني أن الدب لن يظهر أبدًا. يحب "ميكي" الامتثال للمبادئ، والعديد منها مبادئ أبيه. مثلها مثل البندقية؛ ملك لوالده.

مدَّ يده وجذب البندقية ليضعها على حجره. ارتاح لثقلها على جسده. نزع قفَّازًا ليتحسَّس بيده العارية ماسورة البندقية الباردة. قلب البندقية فوق حجره، فصارت مثل كلب صغير يعتدل على ظهره. نزع قفَّازه الآخر ليتسنَّى ليده الأخرى أن تتلمَّس أجزاء البندقية. تذكَّر أن عليه أن يتوخَّى الحذر، لأن والده أمره أن يتعامل بحذر مع البندقية، وهكذا لمس بخفة شديدة الزناد والحلقة من حوله. وصلت يده إلى فُوَّهة الماسورة، وتلمسها بإصبعه، فشعر بإثارة وفضول وشغف. دام حلم اليقظة هذا حتى ظهر الدُّب. ومن الصعب تحديد كم مضى من وقت حتى ظهر.

توتَّرت أعصاب "ميكي"، فهذه هي اللحظة المنتظرة. بعد تسعة وعشرين نهارًا، وتسعة وعشرين مساءً، ومائة ساعة، تنقص أو تزيد، انتظرها "ميكي"، ها هو الدُّب يظهر في البراح.

كان الظلام حالكًا، والصمت حاضرًا بقوة. أسند "ميكي" البندقية إلى كتفه. نهش الدب الطعام ومد مخالبه في الدهن. راقب "ميكي" ما يجري في صمت ودهشة، ولكنه كان يرغب في رؤية عيني الدُّب.

استدار الدب بما يكفي ليرى "ميكي" ساقه الأمامية، ولكنه لا يرى عينيه. حدَّق "ميكي" في مؤخرة الساق، كما علَّمه أبوه أن يفعل. ركَّز تصويبه على نقطة بعينها في ساقه، ولكن الدُّب تحرَّك، فعاود "ميكي" التركيز من جديد. يصفه كثير من الناس بأنه صبور، لذلك لم يجد بُدًّا من الانتظار. في هدوء بالغ. كان والده ليفخر به لو رآه الآن. لطالما عرف أن الدُّب سيأتي لا محالة.

تحرَّك الدُّب من جديد. تبيَّن لـ"ميكي" أن ما تبقَّى من الطعم على الأرض قليل. فتَّش فيه الدُّب مرَّة ثانية قبل أن يهزَّ رأسه، كما لو أن الطعم من سمك حي.

فكَّر "ميكي" قبل أن يُطلق النار في إحساسه عندما يرى الدُّب وهو يخرُّ ساقطًا على الأرض. سيكون أعمق إحساس بالقوة عايشه في حياته، بل هو الإحساس الوحيد بالقوة. كيف أمكن لساذج مثله، و"ميكي" يُدرك ما يقوله الناس عنه، أن يوقع بالدُّب؟ عاد ليُصوِّب على مؤخرة ساق الدُّب. لقد تعلَّم أن يُركِّز التصويب مرَّتين ويحدده مرَّة. والده علَّمه تلك التفاصيل. كما علَّمه أن يُطلق رصاصتين على الدُّب، ثم رصاصتين.

من الصعب أن يُخطئ الهدف، لأنه تدرَّب كثيرًا، ولأنه هادئ، ولأن الدُّب لا يبعد عنه سوى خمس عشرة ياردة فحسب. أطلق النار، وترنَّح الدُّب مصدومًا، وبقايا الطعم تتساقط من فمه. لا أثر لدماء بعد على فرائه الناصع. يبدو أنه كان يهم بالعودة إلى داخل الغابة عندما تلقَّى الرصاصات. لم يرَ "ميكي" عينيَّ الدُّب حتى الآن، عدا لمحة من الجانب، ولكنه أنجز المهمة.

كان الدُّب الذي صاده "ميكي" ضخمًا، لا يقل وزنه عن مائتي رطل بأي حال. مرَّت دقيقة. أراح "ميكي" البندقية على حجره. كانت دافئة هذه المرَّة. فكَّر، ولكنه يعجز عن التعبير عما فكَّر فيه. أفكار أقرب إلى مشاعر مُريحة. عليه أن يذهب لإحضار "بيرتون" الآن، لأنه طلب منه ذلك.

وضع "ميكي" البندقية في مكانها في ذلك الرَّفِّ عند المقعد الخلفي للسيارة. سيعرفه والده بما عليه القيام به بعد ذلك. كان يفتح باب السَّيَّارة الصدئ عندما لمح صغير الدُّب! كانت أنثى وهذا هو صغيرها أتى بحثًا عنها. توقَّف الصغير عندما سمع صرير الباب، ولكنه لم يَفِرّ.

راح إلى أمِّه الرَّاقدة صريعة، وأخذ يمسح رأسه الصغير في بطنها. في تلك اللحظة، اعترت "ميكي" مشاعر غريبة إزاء ما يراه. تعاطف مع الصغير حتى تمنَّى لو أنه صرعه بدوره في تلك اللحظة، حتى لا يعاني، ولكن لا وقت لديه للتعاطف، عليه أن يذهب ليخبر أباه.

أسرع الخُطى مبتعدًا، وهذه المرَّة سمعه الصغير ورآه فهرب. بدأ الدم يسيل من جسد الأنثى ليخضب الثلج أسفلها. هذا ما كان "ميكي" يتوقعه، وإن كان سيتساءل عن سبب مرور كل هذا الوقت قبل أن يبدأ النزيف.

بعد نصف الساعة، عاد "بيرتون" مع ابنه، حاملًا الأدوات اللازمة للتعامل مع أنثى الدُّب؛ سيسلخ فراءها عن لحمها. لقد وقعا على كم وافر من اللحم الطيب بالفعل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عربات في الغابة

نقلوا بالشاحنة سبع زلَّاجات من "بانجور" إلى البُقعة التي يلتقي فيها الطريق بمسار خط سكة حديدية لم يعد يُستخدم. كانت الولاية قد رفعت القضبان قبل بضع سنوات، بعد أن انتفت الحاجة إلى وجود سكة حديدية في هذه المنطقة، واليوم صار المسار مناسبًا للسائقين من ذوي الخبرة أمثال "جاري هتشينز" كي يقودوا الزلَّاجات كما يحلو لهم.

نحن في منتصف ديسمبر، في بدايات الموسم، وقد غطَّت الثلوج الأرض بارتفاع عشر بوصات، مع توقُّعات بهطول مزيد منها لاحقًا. حضر الطاقم المعتاد.. "جاري"، و"بيرتون"، و"إيرل"، و"فوكس هيرمان"، و"كون بودين"، و"فرانك ماجليا"؛ جميعهم يعملون في المصنع، ما عدا "فرانك"، المدرب الرياضي في المدرسة الثانوية طيلة أربعة عشر عامًا.

كان "جيروم" حاضرًا أيضًا. اعتاد ركوب الزلَّاجة منذ أن كان في السابعة، ولكنه بعد أن صار أكبر سنًّا وله خبرة في الموضوع وجد أن رغبته في المشاركة لم تعد كما كانت في السابق، فكان يحضر في بعض الأحيان ولا يحضر في أكثرها.

كان يجلس خلف "جاري" في زلَّاجته، لتُحيط ذراعاه النحيلتان بجانبي أبيه قدر ما يمكنهما ذلك، وكأنه يمسك بتلابيب الحياة ذاتها. وكما كان يفعل "ميكي مايلز" وهو صغير مع "بيرتون"، حلَّ "جاري" المشكلة بهدية عيد ميلاد عبارة عن عربة جليد مستعملة بعد أن أخبره "فريد"، صاحب المتجر، أنها كافية لإشباع رغبة "جيروم" في القيادة.

كان "جاري" راضيًا بها، لأنه شعر أنها وسيلة لحماية "جيروم" من "جاري" ذاته، الذي يعجز عن منع نفسه من الانطلاق بأقصى سرعة، مستمتعًا بالهواء المثلج الذي يصفر في أذنيه. كما كانت وسيلة لتهدئة "مارثا"، التي اعتادت أن تقول، بتلك الطريقة المريحة وغير المباشرة لأصدقائها، وهم بدورهم يخبرون "جاري" أنها تعني ما تقوله، إن زواجها من مجنون لا يعني أن عليها تربية مجنون آخر.

وكانت حقيقة أن "جاري" اشترى لابنه هدية عيد ميلاد بأربعمائة دولار، وعلى الرغم من ذلك لم يهتم "جيروم" باستخدامها مصدر توتُّر في الأسرة، مقارنة بما فعله "بيرتون مايلز" عندما قرر عدم شراء عربة مماثلة لـ"ميكي"، وخاصَّةً أنه لم يكُن يمتلك ثمنها.

أحب "جيروم" سباقات عربات الثلج. أحب أن يكون مع هؤلاء الكبار طوال يوم كامل من عُطلة نهاية الأسبوع، كما لو أن حياته أضحت حياتين، وأنه لا يلقي لها بالًا. أن يتحكم صبي يبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا في مثل هذه الآلة القوية، حتى ولو كانت من فئة أقل بكثير، فهذا أمر رائع، وإحساس يستشعره "جيروم" بقوة، ويعرف من مشاهدته التليفزيون وخبراته القليلة أن أولاد البلدة سيغيرون من نظرتهم إليه بسبب ذلك.

أحب انصياع المقود ليديه وامتثال الآلة للطريق الذي يختاره، وكذلك الانخفاضات والصدمات التي ترتفع به في الهواء. كان الوصول إلى سرعة خمسين أو ستين ميلًا في الساعة إنجازًا بالنسبة له. أحب أن يراه "جاري" سائقًا جيدًا. كان يفضل أن يستقلها بمفرده، أو أن تكون فتاة بصُحبته، في حدود ما يسمح به خيال صبي في الثالثة عشرة. لم تكُن حياة "جيروم" متعلقة كثيرًا بالإنترنت، ولكن هذا لا يعني أنه لا يقضي ساعات في تصفُّح مواقعه.

كان الطقس أبرد من عادته في منتصف ديسمبر، وكأننا في يناير، والثلج الخفيف الجاف يتجمَّع في السحب بالأعلى، بينما طابور الزلَّاجات ينطلق سريعًا نحو الشمال، وهديرها يطغى على كل شيء إلا بهجة سائقيها. ولو أنك كنت على متن زلَّاجة منها، لشعرت برغبة عارمة في الزئير.

يتقدمهم "فوكس هيرمان"، الذي يقود زلَّاجة كبيرة من طراز "ياماها"، والذي عندما ابتعد عن الباقين مسافة كافية، أخذ يتقافز بها في التفافات صغيرة فوق الثلج، وكأنه يكتب على صفحته، في انتظار أن يلحقوا به.

تعمَّد "جاري" أن يتأخَّر، حتى لا يكون "جيروم" في المركز الأخير. هناك جوانب كثيرة في الحياة لم يعد يسيطر عليها الرجال، ولكن الغابات تبقى تحت سيطرتهم حتى الآن. ربما شعر "جيروم" بذلك، وربما خاف من ابتعادهم عنه كل هذه المسافة، على الرغم من أن من الصعب علينا تحديد ما شعر به، وإن كان قد شعر به من الأصل أم لا. ولما وجد خدرًا في أصابعه، بدأ يدس كل إصبع على حدة داخل القُفَّاز حتى يستدفئ قليلًا، وتعمد أن يفعل ذلك تدريجيًّا حتى لا يفقد السيطرة على العربة.

توقفوا لتناول طعام الغداء داخل مطعم أقيم عند خط السكة الحديد القديم. في المطعم مضخَّة وقود، فبادر الرجال بملء خزَّانات العربات. كان المطعم من النوعية التي تدفعك إلى الشك في صلاحية الأطعمة التي يقدمها.

جلس "جاري" و"جيروم" إلى المائدة نفسها لـ"بيرتون" و"فرانك ماجليا". كان هذا ترتيبًا يفضله "جاري"، حتى إنه تحدَّث إلى "ماجليا" بشأنه قبل

خروج الرجال إلى الغابة اليوم. لا يعتقد "جاري" أنه يحاول خداع "مارثا". كان لديها كل الوقت حتى تُروِّج لوجهة نظرها؛ في كل يوم من أيام الأسبوع.

أراد ببساطة أن يتم عرض جميع وجهات النظر، حول مسألة المدرسة الثانوية الأنسب لـ"جيروم". ولم يتحدث أحد في الأمر حتى تم تقديم أطباق الحلو. كان "ماجليا" هو مَن تطوَّع بطرح السؤال:

- إذًا، "جيري"، هل فكَّرت في العام القادم؟

فوجئ "جيروم" بالسؤال، وهو يتناول فطيرة التفاح:

- لا أدري، سيدي. هل تقصد المدرسة الثانوية؟

تأمَّل "ماجليا" تردد الصبي، وكذلك قوامه القوي الطويل العريض، الذي يؤهله جدًّا لأن يكون لاعب كرة قدم أمريكية في المدرسة الثانوية.

- ما أريد أن أقوله هو أننا سنسعد للغاية لو أنك اخترت مدرسة "بيلبورت".

- أشكرك.

شعر "جيروم" بالحرج لكونه تحوَّل إلى موضوع الدردشة هنا، ويبدو أن "ماجليا" كان يتوقَّع ذلك:

- هذا رأيي الشخصي أيضًا. ومَن يدري؟ صعب أن يتوقَّع أحد ما قد تأتي به الأمور، ولكنني لا أراك إلا لاعب كرة قدم أمريكية. ومُستعدٌّ لأن أمنحك الفرصة.

- أشكرك.

- يقول أبوك إنك تُلقي بالكُرة مسافة تصل إلى أربعين ياردة.

مال "جيروم" على والده في خجل:

- ما هذا يا أبي؟

عندئذٍ، بادره "جاري":

- حسنًا، حاول أن تُنكر ذلك. حاول أن تُنكر ما رآه والدك بأُمِّ عينيه.

- ربما خمس وعشرون ياردة فحسب.. أو حتى خمس وثلاثون.

- أيًّا كان. المسألة ليست مسألة مسافات. المهم أن تكون راغبًا في ذلك. ما أقوله هو أن...

- قل للمدرب إنك تفكر في الالتحاق بمدرسة "هانكوك".

- لا أدري. هو مجرد تفكير. لم أحسم أمري بعد.

- لا بأس، لا بأس؛ خذ وقتك. ولكن عليك أن تفكر في جانب بعينه يا بني. فكَّر في هذا. مَن برأيك الأقرب للحصول على منح الدراسة الجامعية؟ يمكنك أن تدرس ما تشاء هناك في "هانكوك"، ولكن في النهاية، مَن سيكون أقرب إلى المنح الجامعية؟ إنهم الرياضيون. أتدري ما هو أكبر برنامج عملي في البلاد اليوم؟ ليس ذلك الذي يشجع الأمريكيين الأفارقة، بل هو الذي يرعى الرياضيين. هذا هو مقصدي.

وتابع:

- أقول؛ فكر. تخيل أنك التحقت بمدرسة "بيلبورت" وأنك لم تُوفَّق في المجال الذي أتخيَّل أنه الأنسب لك، لأي سبب كان. عندئذٍ، يكون بمقدورك أن تسحب أوراقك وتلتحق بـ"هانكوك" من دون مشكلات. ولكن، في المقابل، ماذا لو حققت النجاح؟ أنت تفهم أن في هذا النجاح مزايا اجتماعية أيضًا، لو صرت نجمًا في اللعبة.

تعلم "ماجليا" ألا يبالغ في عرض بضاعته، وخاصة أمام زبون متردد، وهو يعرف "جيروم" منذ فترة. اكتفى بكلماته، وهو يرمقه بتشجيع.

عندئذٍ، ذكر "بيرتون مايلز" تلك الدراسة الغريبة التي طالعها عبر الإنترنت، والتي يبدو أنه لا أحد غيره في العالم طالعها حتى ديسمبر 2005. وربما انتبه "بيرتون" إليها فقط لأنه كان يبحث دائمًا عن أي معلومات تفيده في فهم تصرفات "ميكي"، الذي يتصرف وكأنه وقع على رأسه وهو رضيع. اهتم "بيرتون" بتلك الدراسات التي تذكر أسبابًا بيئية للمشكلات العقلية، وفضلها على تلك التي ترجعها إلى مشكلة وراثية، فلو كانت البيئة هي الجاني فمن المنطقي ألا يكون هناك لوم عليه.

- هل قرأت ذلك الموضوع يا "فرانك" عن إصابات الرأس؟

- كلَّا. ما مضمونه؟

- يقولون إنك لو أصبت بعديد من حالات ارتجاج المخ وأنت صغير فإن لذلك عواقب كبيرة عندما تكبر.

- أتقصد كما هو الحال في كرة القدم؟

- وغيرها، ولكنهم ذكروا كرة القدم كمثال على الألعاب التي يحدث فيها كثير من إصابات الرأس. هناك مليون دراسة مثل هذه بالطبع. يبدو أن الحكومة لا تجد ما هو أفضل من الدراسات والأبحاث لصرف أموالنا عليها.

يحب "بيرتون" أن يضفي على كلامه مثل هذه التلميحات، ولكنه هذه المرَّة شعر أنه كان من الأحرى به ألا يتدخل في مسار كلام "ماجليا". لذلك بادر قائلًا:

- أتعرفون ما المتوقع أكثر؟ أنهم بعد عشر سنوات من الآن سيخرجون بدراسة مناقضة تمامًا. حتى أنهم قد يقولون بأن كثرة ارتجاج المخ فائدة له.

كان لإضافته هذه أثر كوميدي هدأ الأجواء، حتى إن موضوع الدردشة تغير نوعًا ما. فقال "جاري":

- هذه حقيقة.

وقال "ماجليا":

- قريبًا سيقولون إن السبب في اللحوم.

وأضاف "بيرتون":

- أو الكاتشاب.

وعلَّق "جاري":

- أو مادة الـ"أسبيستوس"، التي تضعها على كورن فليكس "ويتيس".

أخذ كل واحد منهم يقترح منتجًا ليضعه في خانة الجاني المحتمل، وسرحوا بخيالاتهم أكثر وأكثر. أما "جيروم" فسكت، بعد أن وجد أن أول ما فكَّر فيه هو الحشيش، ورأى أن من الأفضل ألا يتفوَّه أمامهم بذلك، ولكنه ابتسم، لأول مرَّة منذ ساعة. شعر أخيرًا أنه على راحته، بعد أن تجاوزته الدردشة، ولم يعد موضوعًا لها.

وفي النهاية، نهض الجميع ودفعوا الحساب قبل التوجه إلى زلَّاجاتهم. خيَّمت على الأجواء موجة دفء عابرة، ولكن سرعان ما أظلمت ثانيةً وهطل الثلج. استمروا يقودون زلَّاجاتهم في سرعة لساعتين وسط الثلوج الغزيرة.

مرَّت عليهم أوقات كانت الرؤية ضبابية أمامهم، حتى بعد أن أضاؤوا مصابيح الزلاجات، ولكنهم كانوا مستغرقين في استكشاف ما بدا لهم وكأنه عالم جديد. عند الساعة الرابعة فجرًا، كانوا في شاحناتهم في طريق العودة إلى

منازلهم التي بلغوها عند السادسة صباحًا؛ موعد بداية بث التليفزيون للتصفيات النهائية لبطولة كرة السلة.

التَّرانيم الجديدة

كانت "ماريلو" قد انتهت وعلى وشك أن يتطارحا الغرام من جديد، لحظة أن توقَّفت شاحنة "فيدرال إكسبريس" بالخارج. هي عادة لا تأتي إلى منزل القس "كيجلي" خشية أن يكتشف أمرهما أحد، وكذلك لأنها تعمل أغلب الأوقات ما بعد الظهر، ولكن اليوم يوم إجازة وقد فاجأته.

عاش فترة طويلة خارج البلدة، عند طريق الوادي، فهو يبدو أنه لا يذهب إلى أي مكان، ولا أحد يعرف سيارتها على أي حال، فرأت أن المحاولة تستحق. كما أن اليوم يوم عيد ميلاده الحادي والثلاثين. وعندما طرق ممثل "فيديكس" الباب، سارع القس بارتداء بنطاله، وذهب إلى الباب وكأنه استيقظ للتَّوِّ من قيلولته.

أخبره "هارولد"، ممثل "فيديكس"، أنه مر على الكنيسة ووجدها مغلقة ولم يرغب في أن يترك الطرد خارجها، خشية أن تمطر السماء عليه. لم يكُن "كيجلي" ينتظر أي طرد. عاد "هارولد" إلى الشاحنة، بينما ظن "كيجلي" أن في الأمر خطأ. لا يتوقَّع أي هدايا في عيد ميلاده. أخته التي تعيش في "توليدو" أرسلت له بطاقة تهنئة.

أخرج "هارولد" من مؤخرة الشاحنة كرتونة، ثم الثانية، الثالثة؛ ست كراتين متوسطة الحجم. وضعها فوق بعضها أمام باب منزل القس، الذي وقف متأهبًا لتوضيح الخطأ ما إن يرى أوراق التسليم. ولكن كل كرتونة كانت تحمل العنوان الصحيح واسم القس، علاوة على ختم يحمل عبارة "أرلينجتون للتكنولوجيا". لم تغادر "ماريلو" الفراش خلال كل ذلك.

لم ينتبه "هارولد" لسيارتها الـ"سوبارو" طراز 1998، التي لا تقارن أبدًا بسيارة القس الـ"هيونداي" 2001. عادا إلى بعضهما في الفراش ثانيةً. أتته بأداة استثارة جنسية هديةً له في يوم ميلاده، يندر أن تجد مثله في هذه المناطق. لم يفتح القس الطرد إلا بعد أن شبعا من بعضهما. فتح أول كرتونة، فوجدها ممتلئة بنسخ حمراء الغلاف من كتاب "ترتيلة الحاج"؛ وصلت إليه طازجة مباشرة من المطبعة.

حدَّق "كيجلي" و"ماريلو" في الكراتين، وكأنهما ربحا للتَّوِّ أغرب يانصيب. ولأنها من النوع الذي يحب التأكد من كل شيء، فتحت "ماريلو" الكراتين الست. كان مجموع نسخ الترانيم الجديدة مائة نسخة. في أحد الكراتين خطاب إلى القس المبجل "جون كيجلي" وكنيسته من صديقيه "بيت"

و"جيم" في "أرلينجتون للتكنولوجيا": "مع أطيب الأمنيات بقبول عربون الصداقة المتواضع هذا هدية للكنيسة".

وداخل الغلاف الخلفي من كل نسخة ملصق صغير يحمل عبارة "هدية من أرلينجتون للتكنولوجيا".

أعجب "كيجلي" بفكرة صديقيه وحرصهما على أن يكون الملصق صغيرًا للغاية، وداخل الغلاف الخلفي، وليس على الغلاف نفسه. لو أنهما فعلا ذلك، فلن يكون أي من رعايا الكنيسة سعيدًا وهو يفتح كتاب ترانيمه الذي تتباهى شركة اتصالات بكرمها في إهدائه إلى الكنيسة، ولكن القس أدرك الهدف من وراء هذه الهدية.

كانت "ماريلو" ترتاد الكنيسة من قبل، ولكنها توقَّفت عن ذلك. تتذكَّر الآن اللون الأحمر الباهت لغلاف كتاب الترانيم الذي كانت تقرأ منه وهي صغيرة. أعجبت بأغلفة النسخ الجديدة، ذات اللون الأحمر الفاقع. أبهرتها فكرة أن محتوى قديم للغاية يمكن أن يقدم في مثل هذا الثوب العصري الجذاب. ذلك الأحمر جذاب بالفعل. لو أن المذهب "البيوريتاني البروتستانتي" موجودًا بيننا الآن، ماذا كان سيقول؟ هل كانت لديه هذه الدرجة من الأحمر منذ ثلاثمائة عام مضت؟

- عيد ميلاد سعيد.

- رشوة لطيفة.

- هل ستعيدها إليهما؟

- في ذلك كثير من التفاصيل البريدية المقيتة.

تركا الكراتين لحالها. وجدا أنها بدأت تستحوذ على اهتمام مبالغ فيه. هيَّا، لنذهب لإعداد العشاء معًا، طالما تركنا الفراش.

وخلال العشاء، عرجا إلى ذكر كتب الترانيم من جديد.

- إنها لا تنتمي على الأقل إلى نصوص القرن الجديد.

- ماذا قلت؟

- عليَّ أن أثني عليهما لأجل ذلك. لا بد أنهما حرصا على أن يكون اختيار النص الذي سيطبعونه هو الأنسب لنا.

- وأنا لم أفهم من كلامك أي شيء.

- معذرة.. كان عليَّ أن أشرح لكِ أولًا. لقد قررت أبرشيتنا الموقرة منذ بضع سنوات عدم قبول كتاب الترانيم الجديد الذي أصدرته الكنيسة الأم. كان عامي الأول وعرضت عليهم عينات منه فاستشاطوا غضبًا. كان أول توبيخ أتعرَّض له بصفتي الواعظ الجديد. أين الكلمات العتيقة؟ ومنذ متى والرَّب امرأة؟ وأين عبارة كل جنود المسيح؟ حاولت أن أشرح لهم، ولكنه كان عامي الأول، لذلك أعدت النسخ إليهم. ووجدت صعوبة في إقناع الناس بحضور القُدَّاس ثانيةً. من العدل أن نمنحهم على الأقل كتاب الترانيم الذي يرتاحون إليه.

- هل تعتقد أن الرَّب رجل؟

- أرجوكِ.. لا أوَدُّ الدخول في هذه النقاشات.

- ما المشكلة؟

- إنه عيد ميلادي؟

- اعتبر هذا النقاش هديتي إذًا. لا بد أن تكون لك رفيقة تتساءل عما إذا كان الرَّب رجلًا أم لا.

- ظننت أن تلك الأداة المثيرة هديتكِ لي.

يجد "كيجلي" تسلية في نقاشات النِّد للنِّد هذه. يشعر خلالها، ولو مؤقتًا، أن العالم قد عاد لاتِّزانه نوعًا ما. النكات هنا مثل الهضاب والأودية في ذلك العالم. وماذا عن الجنس؟ إن الحياة تجارب. أرغب الرَّب حقًّا في أن تكون خلاف ذلك؟ لو أن مشيئته كانت كذلك ألم يكُن قادرًا على تنفيذها؟ نادرًا ما تبيت "ماريلو". هذه هي المرَّة الثانية أو الثالثة فحسب.

شعر أن من الوقاحة أن يعود إلى كتابه، ولكنها أصرَّت على أن تلك هي رغبتها؛ أن يقوم بما يقوم به كل ليلة من دون تغيير، فهي تحب ذلك. وهكذا، تناول كتاب رأس المال لـ"كارل ماركس"، في نسخته ذات الصفحات التسعمائة، والذي يقرؤه للمرَّة الثانية، بمُعدَّل عشر صفحات تقريبًا كل ليلة، لأنه يجد صعوبة في فهمه. هو بمثابة مشروع آخر، يضاف إلى قراءات الكتاب المقدس، بالمعدل اليومي نفسه تقريبًا، أو أبطأ.

يبحث القس "كيجلي" في قراءاته عن منظور بوسعه تفسير حقيقة ما يجري لرعايا أبرشيته. أليس للراعي واجب تجاه رعيته؟ لا يتعلق الأمر بمنظور واحد بعينه، تفسير يشرح كل شيء، بل هي وجهات نظر، يكفي عددها لاحتواء الأبعاد الثلاثة، أو حتى بعد رابع، في حياة البشر.

هل يعتبر "روجر كيسنجر" منقذهم؟ كان القس "كيجلي" يستعد لاحتمال ألا يكون كذلك. إنه لا يكُن أي ضغينة تجاه "كيسنجر"؛ فهو رجل ودود محب للخير. وما أسعد "كيجلي" هو أنه وجد أن لدى "كارل ماركس" حِس دعابة في "رأس المال". إنه يقص نكات عما يسميه "السيد جوال النقود".

لم تعتبر "ماريلو" نفسها راقصة تَعَرِّ، ولكنها ترى نفسها مغنية جاز بحاجة إلى عمل في هذه البقعة التي يقل فيها الطلب على مغني الجاز. وهكذا حملت كلمة "طموح" بالنسبة لها تعريفات جديدة. تعتريها أحيانًا أفكار سوداء، وكأنها مخلوقات تظهر لها من مستنقع بلا قرار. أحيانًا ما يكون هناك طلب عليها في حفلات زفاف أو فقرات في الأندية الصيفية. وسواء اعتبرناها راقصة تَعَرِّ أو مغنية جاز، تبقى حقيقة أن لها صوتًا عذبًا.

تربَّت على الذهاب إلى الكنيسة، حيث انتبهت إلى جمال صوتها لأول مرَّة. كانت أغلفة الكتب حمراء باهتة آنذاك. ولكنها انتبهت كذلك إلى حضورها الجنسي الطاغي مقارنة بحضور تلك الكتب الباهتة. ألذلك تجد غرابة في مُضاجعة قس الآن؟ العلاقة نفسها بدأت بشكل غريب.

بدأت بدردشات بسيطة في نادي "ذا شيدي ليدي"، الذي دخله بقدميه قاصدًا، تمامًا كما فعلت هي. من أين أنت؟ "بيلبورت". لم يكُن عليه أن يخبرها بذلك. هذه علاقات تقوم على الكذب في الأصل، بل لا تكتمل العلاقة إلا بذلك الكذب. وجدته لطيفًا، ومهذبًا، وبوجه واحد فقط، يبحث صادقًا عن الحقيقة، هادئًا بطبعه، وخجولًا، وربما يكون بلا تأثير حقيقي في حياتها، ولكنها ستتأكد من ذلك لاحقًا. هل فكَّرت في كل ذلك؟ بالفعل. تمامًا كما فكَّرت فيما إذا كان الرَّب رجلًا أم لا؟ ليس لديها كثير من الأسباب، ولكنها تحب أن تغني وفي ذهنها تلك الذكريات القديمة.

تركت "ماريلو" القس في غرفة النوم بالأعلى مع كتابه، وعادت إلى كراتين كتب الترانيم بالأسفل. هو بالأعلى مع كتابه، وهي بالأسفل مع كتبها. تناولت كتابًا، وفتحته، وأخذت تتصفَّحه. وقعت عيناها على ترنيمة اختلج لها قلبها بالذكريات والحب، فأنشدتها بصوتٍ عالٍ: أرشدني أيها الرب العظيم

كيف السبيل للحج من خلال هذه الأرض القاحلة؛

أنا ضعيف، لكنك جبار،

أمسك بي بيدك القوية.

خبز الجنة، خبز الجنة،

أطعمني منه حتى لا أريد المزيد؛

أطعمني منه حتى لا أريد المزيد.
افتح الآن نافورة الكريستال الخاصة بك،
من أين يتدفق تيار الشفاء الخاص بك؛
دع النار والنصب الغائم
الذي قادني طوال رحلتي.
مرسال قوي، مرسال قوي،
كن أنت قوتي ودرعي؛
كن أنت قوتي ودرعي.
إلهي، أثق بقدرتك الجبارة،
يا لعجب أعمالك القديمة؛
أنت خير من الأذلة،
الذين باعوا أنفسهم بأنفسهم:
لقد غزت، لقد غزت
الخطيئة والشيطان والموت،
الخطيئة والشيطان والموت.
عندما أخطو حدود الأردن،
قم بتهدئة مخاوفي وقلقي؛
هلاك الموت ودمار الجحيم،
اجعلني أهبط بأمان إلى جانب كنعان.
أغاني المديح، أغاني المديح،
سأنشدك إياها دائمًا؛
سأنشدك إياها دائمًا.

على الرغم من أنها مغنية جاز، فإنها تمتلك صوتًا محافظًا يحترم الكلمات. تتعامل مع الكلمات وكأنها تفرض على سامعها الإيمان بها. صوتها قريب الشبه من صوت "إديث بياف"؛ صوت عصفور صغير، فيه نقاء الأمل. لم تستسلم، حتى وإن بدا أنها ستفعل ذلك، وحتى حينما شعرت أنها ستنهار.

استمرَّت تنشد، وهي تصعد الدَّرَج إلى الأعلى، حيث القس "كيجلي" في الفراش مع كتابه. وبدلًا من أن يُشتِّت صوتها انتباهه، زاد من تركيزه، بل صار يفكر بإيقاع أسرع، وكأن صوتها يرشده إلى الطريق الواضح، على الرغم من أنه يقول له ألا يصدق كل ما يقرؤه. عليك فقط أن تشعر بمعاناة الفقير. وقبل أن يحل يوم الأحد، كانت كتب الترانيم الجديدة في داخل الكنيسة. سرعان ما لاحظها رعايا الكنيسة، بأغلفتها الحمراء فاقعة اللون، ورائحتها الطازجة، وعلى الرغم من أنهم في أغلبهم من غير الميالين إلى التغيير من أي نوع كان، وعلى الرغم من أن أغلبهم لاحظ تلك الملصقات الصغيرة داخل الأغلفة، فإن أيًّا منهم لم يشتكِ هذه المرَّة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ساعة الإفطار في "ماكدونالدز"

توجَّه "روجر كيسنجر" إلى "ماكدونالدز"، على الرغم من أنه يحمل في جيبه ورقة تحتوي على أرقام لن يسعد لسماعها عماله في المصنع. وربما ذهب إلى المطعم خصيصًا لأن تلك الأرقام كانت في جيبه. كانت ساعة مبكرة من صباح أحد أيام يناير، ودرجة الحرارة أقل من الصفر.

وصل من "كونيتيكت" بطائرة خاصة، ومن ثم أتى من "بانجور" في ليموزين. توقَّفت الليموزين في موقف المطعم، ولكن سائقها لم يوقف محركها. بدت السَّيَّارة عنصرًا غريبًا في المشهد، تمامًا كما كانت سيَّارة "كيسنجر" الـ"رينج روفر" في الصيف الماضي عند متجر "بيج جيم". ستوصله الليموزين إلى المصنع. وكان بوسعه أن يطلب من السائق أن يتجول بالسيارة لبضع دقائق، ولكنه لم يكُن متأكدًا من المدة التي سيقضيها بالداخل. كما أنه يتوق إلى فنجان قهوة وهو الذي لم ينم منذ أن استيقظ في الرابعة فجرًا، علاوة على رغبته في مراقبة عماله في أوقاتهم العادية بعيدًا عن ماكينات الأحذية.

يريد أن يعرفهم بدرجة أفضل. على أنه وجده سببًا عبثيًا سخيفًا لحضوره إلى هنا. لطالما كان يرغب في أن يعرف أكثر عن العمال. من الأيام التي أمضاها هناك، عرف بعض الأمور عن موظفي الإدارة، مثل "شون" و"كريستين"، باعتبارهما من شباب "بيلبورت"، ولكن الصورة لم تكتمل بعد في عقله. يريد أن يتحول إلى رجل عادي لبعض الوقت، ويأكل مما يأكلون. وجبة "ماك مافن" بالبيض؟ لمَ لا؟ والأفضل منها وجبة الإفطار الكبيرة.

ربما يريد أن يوضح لنفسه وكذلك للآخرين أنه إنسان طبيعي، وليس نصف إله. اعتاد أن يتوقف في "كونيتيكت"، وفي "بوست رود"، عند عربات الطعام الشعبي، حتى أن "كورتني" تثرثر حول الأمر دائمًا خلال توبيخها له على ارتفاع مستوى الكوليسترول. تلك الكلمة التي تنطقها بطريقة تذكره دائمًا بطريقة كلام "بوش".

كان يرتدي سُترة "كاچوال" ثقيلة فخمة ذات غطاء رأس من الفراء، بنطلون كاكي، وحذاء "نورومبيجا"، الذي حرص على ارتدائه على الرغم من أنه لم يكُن ملائمًا للأرضية الزلقة التي تغطيها طبقة من الجليد.

انتبه الجميع إلى وجود الليموزين السوداء، حتى من قبل أن يعرفوا مَن بداخلها. أول ما خطر في بال "فوكس هيرمان" هو أنها سيَّارة تابعة للمباحث الفيدرالية. وما إن لمَّح إلى ذلك حتى سخر منه الجميع، فلا شيء

هنا يستدعي أن تهرع إليه المباحث. هل حضروا لوجود عمال مكسيكيين يعملون في المطعم بشكل غير قانوني؟ لا أحد يتخيل ذلك.

وعندئذٍ، قال "تيمي طومسون" إنها سيَّارة الحاكم أو أحد مَن يتبعونه، الأمر الذي شجع "بيرت ماليز" لإلقاء واحدة من عباراته الساخرة من الحكومة، في اللحظة التي كان "كيسنجر" يترجَّل فيها من السيارة، والسائق يمسك بالباب من أجله. ما الذي أتى به إلى هنا؟

دخل "كيسنجر" إلى المطعم، ووقف في الطابور مثل الباقين. إنه في الحقيقة مُجبر على ذلك؛ فلا توجد معاملة خاصة لأصحاب الذوات في "ماكدونالدز". أو قد يكون الحال أن "ماكدونالدز" لم يكُن يتوقَّع حضور مثل هذا الزائر. كان ذلك هو الانطباع الذي تولَّد لدى بعض مُرتادي المكان. وفكَّر البعض، ومنهم "تشارلي راسل" و"دون سميث"، بالنهوض والترحيب به، وتقديم مقعد له، والطلب لأجله، ولكنهما تراجعا خشية أن يتهمهما الباقون بأنهم يتملقون الرجل. وفي حالة "دون"، كانت الاتهامات لتتطور إلى إيحاءات لا لزوم لها. هكذا، اكتفى عمال "نورومبيجا" بمراقبة رئيسهم بكل اهتمام.

لم يكونوا مثل هؤلاء السكان الأصليين الذين تعرضهم قناة "ناشيونال جيوجرافيك" في تلك البلاد البعيدة، واقفين يحدقون في أجانب يتجولون بينهم في حذر، ولكن ساد الهدوء الطاولات الست أو السبع التي جلس إليها رواد المطعم في ذلك الصباح. كان بوسعك أن تسمع وسط هذا الهدوء أصوات القلايات وحديث عمال المطعم بتفاصيل الطلبات. طلب "كيسنجر" وجبة الإفطار الكبيرة ومعها قهوة حجم كبير. كان صوته قويًّا مسموعًا في أرجاء المطعم. أتاه طلبه في التَّوِّ، بفضل الإدارة الكفء لمدير الفرع "ستمب واتكينز".

كان من الطبيعي أن يتلفت "كيسنجر" حوله ليختار مكانًا يجلس فيه. وقعت عيناه على العمال الذين كانوا حريصين على أن يظهر عليهم ذلك القدر من الاهتمام المبالغ فيه. نظر إلى البعض منهم نظرات ترحيب. كان على دراية بما يدور في عقولهم الآن، وهو يعلم أنه قد باغتهم في عقر دارهم على حين غرَّة، ولكنه يعتقد أن مشاعرهم لن تكون على هذا النحو الذي يراه لو أنهم عرفوا الأرقام التي يحتفظ بها في ورقة داخل جيبه.

- هل يمكن أن أجلس معكم؟

ذاب الجليد. سارع الكل بإفساح مكان له، وتنظيف طاولة لأجل وجبته. جلس "كيسنجر"، ومدَّ ساقيه الطويلتين حتى أسفل طاولة ثانية مجاورة

أخليت له.

- أتذكَّر البعض منكم؛ أنا "روجر كيسنجر".

تشبه نبرة صوته صوت ابنته المراهقة. عقب ذلك، ولأنه كان أسهل من التحدث، أو لأنه أعطاه بعض الوقت للتفكير فيما يقوله، بدأ يتناول وجبته المُكوَّنة من البيض وكعك الـ"بان كيك" والسجق. تعامل مع أدوات المائدة البلاستيكية بصعوبة، ولكن دون حرج، وربما رغب بذلك كسب بعض النقاط في هذا الموقف أمامهم.

في تلك الأثناء، بادروا واحد تلو الآخر، مثل قطرات تتساقط من صنبور، بتقديم أنفسهم.. "بيت هاموند".. "فوكس هيرمان".. "تيمي طومسون".. "بيرتون مايلز".. "مارج ديشامب".. وكالعادة، كانت الفتيات أكثر ترددًا في البداية، قبل أن يتشجعن بدورهن. رد "كيسنجر" على كل واحد بإيماءة من رأسه وهو يأكل، وكان لديه عذره لعدم التحدث، بينما كان فمه ممتلئًا. أنهى وجبته سريعًا؛ بدا أنه رجل ذو شهية كبيرة، وهو ما أسعد مَن حوله. ثم سألهم بشكل عام عن فصل الشتاء. جاءت الردود متوالية ومتوقعة. شتاء فظيع، وطويل، ومظلم، وانهمر كثير من الثلج.

لم يكُن كمُّ الثلج كثيرًا. هذا الفصل لا بأس به. علَّق "كيسنجر" بأن الشتاء هنا قريب الشبه مما كان عليه في "كونيتيكت"، على الرغم من أنه ربما يكون أكثر اعتدالًا هناك نظرًا لوجود الخليج.

شملت المحادثة موضوعات مُتنوِّعة ومتفرعة. رمق البعض الساعة، التي كانت تشير إلى السابعة وخمس وعشرين دقيقة، وكان من الواضح أنه لا داعي على الإطلاق لعدم إظهار حرصهم على مواعيد العمل أمام رئيسهم. سألوه كيف كانت رحلته. وسألهم كيف كان موسم صيد الغزلان. سألوه ما إذا كان ينزلق وهو يمشي بسبب الحذاء الذي يرتديه. وسألهم عن أداء فريق الـ"بريجاديرز" في موسم كُرة السلَّة.

لم يكُن هناك اهتمام حقيقي بسماع أي من الإجابات عن تلك الأسئلة. مجرد ثرثرة فحسب. هل هم على قلب رجل واحد؟ ربما. فكَّر "كيسنجر" الآن في الورقة التي في جيبه. لم يسأله أحد عن حال الشركة، وهو سؤال لا يملك إجابة عنه بأي حال، ولكن كلما طالت جلسته هنا، زادت غرابة موقفه وأنه لم يفكر فيما قد يقوله لو أن أحدهم سأله هذا السؤال. تلك الإجابة هي واحدة من تلك الأشياء التي يمكنه تخيُّلها، فإذا فكَّر في الأمر، سيجد أن الإجابة المناسبة تطرح نفسها تلقائيًّا.

كان "كيسنجر" مؤمنًا بقوة العفوية، وانتظار اللحظة المثالية. ولكنه الآن يشعر بأن تلك اللحظة في المتناول. فهل يبادر هو بطرح الموضوع؟ أقنع نفسه بأن اللحظة مراوغة وليست كما يتصور، لكنه في الحقيقة لم يكُن راغبًا في العثور عليها. هل يمكنه أن يخاطر بخفض الروح المعنوية لهؤلاء الذين من حوله، الآن وفي هذا المكان، وبنفسه، ومن ثم يخاطر بتلقي مزيد من الأسئلة؟ كلَّا، شكرًا. أليس هو مَن دخل بنفسه إلى "ماكدونالدز" "بيلبورت" بغية التأكيد على أن الكل واحد؟ رمق الساعة، مثله مثل عماله، وهو يتمنى أن يكون الوقت قد مرَّ. همَّ بالاستئذان للانصراف، متعللًا باجتماع موعده في الحقيقة لن يحل قبل ساعة، لحظة أن سأله "بيرت مايلز" بنبرة عادية سؤالًا لا صلة له بأي موضوع دار بينهم:

- كيف هو حالنا، إذًا؟

- حالكم؟ حالكم عظيم.

- أقصد المصنع ككل، كيف حاله؟

كان "بيرتون" يمدد ساقيه ويداه في حجره وقد تشابكت أصابعهما، حريصًا على أن يظهر بمظهر غير المُبالي على الإطلاق، وكأن سؤاله مجرد استمرار للثرثرة حول الرحلة والحذاء الذي يرتديه الرجل الكبير.

وفجأة، هبط الوحي على "كيسنجر"، تصديقًا لحدسه.

- إنها مسألة لا بد أن أتناقش فيها مع الإدارة أولًا.

شجَّعه هذا المنطق الذي خرج من شفتيه سليمًا على أن يردف قائلًا:

- نحن على الدرب الصحيح.

خرجت العبارة في المرَّة الأولى متعثرة مترددة، لذلك لحق نفسه وكررها بنبرة أشد تأكيدًا وثقة.

نهض وحمل بقايا وجبته إلى حيث سلَّة المهملات. هذا أقل ما يمكنه القيام به. كانت حركة ذكية منه لاقت استحسانهم. وكأنه رئيس الولايات المتحدة يتكرم ويعتني بمهملاته بنفسه، وليس مجرد رئيس مصنع. قام بذلك بطريقة تظهره أمامهم خبيرًا بكل شيء. هذا الرجل الواقف أمامهم رجل نزيه.

مدَّ "كيسنجر" يده وصافح عددًا منهم، ثم استأذن وغادر المطعم. كانت الليموزين السوداء تنتظره. ترجَّل السائق لتوِّ إلى البرد القارس حتى يفتح

الباب الخلفي له، لكن "كيسنجر" سبقه هذه المرَّة وجلس في المقعد الأمامي. ربما فعل هذا وهو يدري أنهم بالداخل ينظرون إليه ويراقبونه.

غادر الرجل وبقيت كلماته تخيم في الأجواء فوقهم. كانت كلمات شجعتهم وأقنعتهم، وخاصة "مارثا"، و"فوكس هيرمان"، و"كون بودن"، و"تيمي"، و"تشارلي"، و"دون"، و"بيف"، وغيرهم، وكذلك "بيرتون مايلز".

الآن، دقَّت ساعة العمل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حوار في قاعة الاجتماعات

هذه القاعة ليست قاعة اجتماعات بالمعنى المُتعارف عليه، بها طاولة طويلة بما يكفي للاجتماع من حولها، ولكن الطاولة من الأبلكاش. المقاعد مُرتَّبة من حولها. أنت أمام نموذج مُجسَّد لما عرف به أهل "نيو إنجلاند" من حرص وتوفير، أو ربما هو يعكس حقيقة أن مصنع "نورومبيجا" للأحذية نادرًا ما شهد مجلس إدارة بعدد يعتد به، فما الحاجة إلى قاعة اجتماعات من الأساس؟ هذه غرفة كبيرة نسبيًّا تستخدم في تخزين متعلقات قُرب الجدران مع ترك المساحة في المنتصف لهذه الطاولة التي يجلس إليها أفراد الإدارة لتناول الغداء.

الآن، أحضروا الكراسي على كل شكل ونوع من المكاتب الأخرى، ووضعوا فوق منتصف الطاولة زجاجات مياه "بولاند سبرينج"، فكان منظر الزجاجات غريبًا في المكان، وبدت مثل قمَّة جبل جليدي ظهرت بغتة في القطب الشمالي.

حضر كل من "كيسنجر"، و"تيم فالون"، مدير التشغيل، و"مارك براين"، المدير المالي، و"كاثرين ويلسون"، محاسبة مستقلة تأتي للمصنع من "بانجور"، و"ديف هيرشهورن"، مدير التسويق، و"شون بيريك"، مدير الأفراد والعمليات العامة، و"كريستين بيريك"، مديرة المشتريات.

أتى الجميع حاملين أجهزة الـ"لاب توب"، عدا الرئيس. لا يهتم "كيسنجر" به. أو بالأحرى هو يعتقد أنه مهم لكل مَن هم حوله، ولكن ليس بالنسبة له. وهو يعتبر ذلك من باب الحيطة والحذر لا أكثر. "دع الآخرين يقومون بالأعمال الرقمية المُعقَّدة لصالحي، أما أنا فيبقى القلم والورقة أصدق رفيقين لي".

طلب تحضير عدَّة نسخ من الورقة ذات الأرقام، وتسلم كل واحد نسخته. هكذا حمل سطح الطاولة الأبلكاش أكثر من نسخة من تلك الأخبار السيئة. زاد الإنتاج بنسبة عشرين في المائة، بينما انخفضت المبيعات بنسبة ثلاثين في المائة. كان "كيسنجر" يؤكد معلومة خطيرة، ولكنها ليست فادحة. الوقت وقت إيجاد الحلول.

- "شون"، هل حضرت تلك القائمة؟

ضغط على أزرار جهاز الـ"لاب توب"، وقال: - أجل، سيدي.

- حسنًا. والآن. لو أن لدى أحد منكم فكرة أفضل، فيسرُّني سماعها؛ "ديف"؟

قال "هيرشهورن" مترددًا:

- هذه صناعة أمريكية. يجب أن نشدد ونؤكد على هذه المعلومة. صناعة أمريكية. وما إن تنتشر هذه الرسالة فـ...

- هل هناك من أفكار أخرى؟

قال "براين":

- يمكننا مناقشة إلغاء العلاوة.

- وتُثير غضب الجميع؟

- معك حق. أنا لم أقل إنه خيار جيد، ولكنه يبقى خيارًا.

- هل من أحد آخر؟

قالت "كريستين":

- لقد تواصلت مع موردين في "ساسكاتشيوان". وما زلنا ندرس الأرقام لنحدد مدى التوفير الذي سنحققه، خاصة في ظل مصاريف الشحن.

قال "فالون":

- نحن فريق عمل جديد. وأنا هنا لا أقدم أعذارًا، ولكن هذه هي الحقيقة. نحن جدد هنا. على كل واحد إدراك ما أخطأ فيه، ومن ثم نمضي قُدُمًا لتحقيق الأفضل.

أجابه "كيسنجر" بنبرة ذكية غطى بها على الضيق الذي أصابه من سماع ما قاله الرجل: - هذا ما أحاول أن أقوم به الآن يا "تيم"؛ أن نمضي قُدُمًا.

بدا أنه ليس هناك حلول، من النوع الذي يصمد أمام نظرات "كيسنجر" المتشككة، عدا ذلك الحل الذي ينظر إليه "شون" الآن على شاشته.

- اسمعوني، لا أريد من أحد أن يفهمني خطأ. أنا مؤمن بقدرات هذه الشركة. ونتائج سيئة في ربع مالي واحد لا تعني أن نهدم المعبد، ولن تقتل حماسي، أو أي شيء من هذا القبيل. ولكن.. ولكن.. هذا عمل تجاري يهدف للربح، ولديَّ شركاء. عليَّ أن أعود إلى "كونيتيكت" لأقنع أولئك القابعين هناك.. "شون"، اقرأ قائمتك. ومَن لديه اعتراض يصرح به.

يقرأ "شون" من الشاشة:

- "جوديث هارفي"، و"دوروثي ويلر"، و"فرانك بين"، و"تشارلز راسل"، و"باميلا هاريلتون"، و"جون مكبريدج"، و"كارل إسبوسيتو"، و"مايكل مايلز"، و"ماري فرانسيس دونيلسون"، و"إدوارد بارسونز"، و"توماس لاكيس"، و"هنري دينزمور"، و"إيرل هتشينز".

بدا المشهد وكأن أحدهم يقرأ قائمة تأبين في ذكرى سنوية. خيَّم الوجوم على الجميع وهم يسمعون أسماء أشخاص يعرفونهم تتلى بنبرة رسمية للغاية. لم يعترض أحد، لا على اسم بعينه في القائمة، أو على الفكرة من الأساس. بل على العكس، فقد رؤوا أن تعمُّد "كيسنجر" أن تُتلى الأسماء علنًا أمامهم نقطة في صالحه.

لم يمر "فالون" بمثل هذه التجربة من قبل، على الرغم من تاريخه الطويل في العمل بإحدى الشركات الكبيرة. وجد أنها بادرة لطيفة من الرجل. إنه يحترم هذه البلدة وأهلها. كما أن فيها حزنًا صادقًا. هذه الطريقة تطمئن "فالون" وتجعله يشعر أنه لم يرتكب خطأ بترك عمله السابق والحضور إلى هذه البقعة الفقيرة في كل شيء.

وراودت "كيسنجر" المشاعر ذاتها، إلا أن الفارق هو أنه لم يكُن يفكر إلا في مصلحته ومصلحة التجارة، مقتنعًا بأنه يقوم بأفضل ما يمكنه القيام به. والأرقام تؤلم؛ هذا هو عهدها دائمًا. فما الذي بيده أن يفعله ولم يفعله؟ طلب أن تقرأ الأسماء علانيةً ليؤكد لهم أنه يأخذ الأمر على محمل شخصي وإنساني، ولأجل أن يقنع نفسه قبل الآخرين بأنه في الحقيقة يهتم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الجزيرة.. يناير

بحلول يوم "كولومبوس"، كان "بيلي" قد قام ببعض من الأعمال لأجل "كورتني كيسنجر" بما يكفي لأن تعهد إليه ببعض أعمال الطلاء خلال الشتاء. وتلك واحدة من المهارات التي تعلم أن عليه اكتسابها لأجل لُقمة العيش. وهو الآن في الطابق العلوي من المنزل شبه المغلق، يجدد طلاء غُرفتي نوم الضيوف عند نهاية الرِّدهة، في ذلك اليوم من يناير الذي حضر فيه "كيسنجر".

حرص "بيلي" طيلة ما يزيد على أسبوعين على ألا يُفتِّش في الأرجاء أو يتلصَّص أو يلقي نظرة على ألبومات الصور، أو أن يحتفظ بأي فكَّة يجدها في طريقه في أي مكان داخل المنزل، ولا حتى أن يشرب زجاجة بيرة من الثلاجة. إنه لا يريد أن يجرب حظه، أو بالأحرى أن يضغط على حظه أكثر من ذلك. فلو أن عائلة "كيسنجر" ارتاحوا إليه، فلن يكون مضطرًّا للعمل لصالح "مات فارنزورث" مرَّة أخرى، وسيكون ذلك هو التوقيت المثالي بالفعل في حياته.

توارى طيف ذلك الشاب ومخدراته في ركن بعيد من ذاكرته، كما هو العهد دائمًا بالجرائم والأكاذيب، على الرغم من أنه يعلم أن كل ذلك جزء لا يتجزَّأ من مسار حياته وتجاربه وخبراته. درجة الحرارة داخل المنزل مريحة.. "بيلي" ليس على ذلك القدر العالي من المهارة في هذه الصنعة، ولكنه إن أخذ وقته الكافي ينتج عملًا مُرضيًا.

تفاجأ لما رأى السَّيَّارة السوداء التي تقل "كيسنجر" تتوقف عند المنزل تلك الظهيرة. بادر "بيلي" برفع درجة حرارة التكييف، ولكن "كيسنجر" طلب منه ألا يفعل، فهو يحب المنزل باردًا.

يبدو أن هناك كيمياء بين الرجلين. كما أن "كيسنجر" يسمع من "كورتني" كلامًا جميلًا عن "بيلي"؛ أدبه وحماسه. ربما كان لها أن تضيف أنه يذكرها بـ"جيمس دين"، ولكنها رأت ألا تفعل، لأسبابها الخاصة.

ابتاع "كيسنجر" ساندويتش كبيرًا من "صب واي" لغدائه. لا ينعم بأطيب المأكولات ما دامت زوجته غائبة، ولا توجد سكرتيرته حوله لتحجز له مائدة في مطعم راقٍ. أجرى بعض المكالمات لـ"جرينتش" ومكالمة دولية واحدة للندن، ثم جلس مع السندويتش وعلبة "الكوكاكولا". صاح ينادي "بيلي": - هل تناولت غداءك؟

- شكرًا، سيدي. لست جائعًا.

- دعك من هذه الرسميات، وتعالَ إلى هنا.

اعتبر "بيلي" هذا الأمر فرصة، ونزل إلى المطبخ.

- خذ قطعة من هذا الساندويتش.

كان "كيسنجر" جالسًا على مقعد إلى "كاونتر" المطبخ. بدأ يقطع الساندويتش إلى نصفين بالسكين.

- هذا كثير جدًّا عليَّ وحدي.

- كلَّا، سيدي، لا داعي لهذا.

- أنا لا أدري لماذا طلبته من الأساس.

لم يكُن "بيلي" يريد أن يبدو وقحًا. ليس هناك بالنسبة إليه أي مشكلة في أن يكون وقحًا، ولكن ما الداعي إلى أن يُبدي ذلك لصاحب العمل؟ هكذا، أخذ نصيبه كما طلب منه. تناول "كيسنجر" أحد مناديل "صب واي" الورقية من الكيس، ووضع فوقه نصف ساندويتش الـ"سبايسي إيطاليان"، ومن ثم مد يده به إلى "بيلي"، الجالس في توتر فوق مقعد آخر إلى "الكاونتر". إنه غير معتاد على تناول الطعام في أجواء كهذه.

هذا المطبخ الحديث بديكوراته الجرانيتية الغريبة عليه. "كيسنجر" ودود، ويبدو أنه كان يبحث عن أي صُحبة بعيدًا عن تلك التي كانت معه في الصباح، وخصوصًا "تيم فالون". يمكنه ألا يتناول طعامه وحده على الأقل.

- كيف هو العمل؟

-يتبقى بضعة أيام أخرى.

قضم "بيلي" من الساندويتش. امتزج طعمه بتوتره، ولكنه عندما بلع اللقمة، ووجد ما يمكنه قوله، شعر ببعض الطمأنينة.

- تطلَّب الأمر طبقة دهان إضافية، ولكنني أعتقد أن النتيجة النهائية ستعجبكم.

- أيًّا كان. إن هذا من اختصاص زوجتي.

- هل هي من هذه المنطقة؟

- أبدًا. إنها من "مينيسوتا". وعلى الرغم من أنها من ذلك الشمال، فإنها تمقت البرد.

- أتفهم هذا.

هزَّ "كيسنجر" كتفيه في لا مُبالاة، وكأنه يقصد بحركة جسده تنويعًا لغويًّا في الحوار.

عندما يتناول رجلان الطعام معًا، حتى ولو كان ذلك في صمت، بل وخاصة إن كان ذلك في صمت، ينشأ بينهما تعاطف أو حتى تعايش، ولا يكون ذلك بالضرورة بسبب أن كلًّا منهما يجهل ما يفكر فيه الآخر. إنهما يقتسمان اللقمة معًا، بكل ما ينطوي عليه هذا من سحر الصحبة والرفقة والعشرة. شعر "بيلي" بتوتره يتبدد وهو جالس مع رئيسه، إلى حد أنه وجد نفسه يسأله: - هل يمكنني أن أسألك عما أتى بك إلى هنا؟ إلى هذه البلدة؟

سمع "كيسنجر" سؤاله، فتذكَّر ما مرَّ به هذا الصباح، على أنه لم يجد حجة منطقية تمنعه من الإجابة.

- آه.. أتعلم؟ إننا نحاول إنعاش مصنع الأحذية في البلدة.

- سمعت بذلك، لديَّ أخي وأبي هناك، وزوجة أخي أيضًا.

لحظتها تذكر "بيلي" أن "كيسنجر" قد ذكر بالفعل آل "هتشينز" الثلاثة في أول لقاء جمعهما. ظن "بيلي" أن "كيسنجر" سيتضايق من نسيانه ما سبق أن أخبره به، ولكن الرجل لم يكُن ليتذكَّر موقفًا مثل هذا.

- هل التقيت والدي هناك؟ اسمه "إيرل هتشينز".. وهو شخصية في حد ذاته. لو تصادف والتقيته.

- "إيرل هتشينز".

نطق "كيسنجر" الاسم ببُطء وفي تأمُّل، وكأنه يحرص على إبقاء الاسم في صدر ذاكرته، أو أنه يحاول أن يتذكَّر ما إذا كان "إيرل" من بين الأسماء التي وردت في قائمة الصباح أم لا.

شعر "بيلي" أن عليه أن يُبدِّد الصمت قبل أن يُخيِّم عليهما، فقال: - وقت أن كان آل "بيرمان" أصحاب المصنع، كان "إيرل" هو أهم فرد، حتى بالنسبة لاختيار تصميمات الأحذية، وكذلك مشكلات الصيانة والأعطال. قام بكل شيء. يمكنك أن تقول إن اختصاص آل "هتشينز" هو الأحذية؛ لذلك كنا في غاية السعادة والامتنان عندما ظهرت أنت.

تلك مجاملة واضحة، ولكن "بيلي" مقتنع بكلامه إلى حد يجعلها مجاملة صادقة.

- وكذلك أخي "جاري". هو رئيس قسم التشطيب.

- أجل.

في تلك اللحظة، كان "كيسنجر" قد تيقَّن من أن "إيرل" من بين الذين تم الاستغناء عنهم؛ فهو قد لاحظ الصلة بين الاسمين عندما عرضت عليه القائمة لأول مرَّة. قرر ألا يخبر "بيلي" الآن.

- إذًا فعائلة "هتشينز" لها تاريخ طويل في هذه البلدة.

- بالفعل، سيدي.. المعذرة!

- أعتقد أن هناك خمس عائلات في "بيلبورت".. أليس كذلك؟

- خمس أو ست عائلات. ربما أكثر. لا أعرف حقًّا، ولكن الكل أقرباء تقريبًا.

- يعجبني ذلك.

- هذا أمر تسبَّب لنا في وجود عديد من الأفراد غير العاديين.. أقصد المُعاقين.

- كلامك استرعى انتباهي إلى شيء لم أكن أعرفه.

- تعلم.. تخلف عقلي، ومتلازمة "داون"، وغيره. بالمناسبة، لقد عملت في المصنع لأربع سنوات، هل كنت تعرف هذا؟

- كلَّا، بكل تأكيد.

- ثلاث سنوات ونصف السنة بالضبط. ثم سافرت غربًا. رغبت في التَّعرُّف إلى دنيا جديدة.

- لا ضير في ذلك.

- عرفت أن هناك أماكن يمر فيها الشتاء وكأنه ليس شتاءً.

- أنت مثل زوجتي.

- لو كان لي أن أسأل، سيد "كيسنجر"، كيف هو حال المصنع؟ هل يمكن للمشروع أن ينجح فعلًا؟

تمهَّل "كيسنجر" قبل أن يجيبه. كان يقصد ذلك، بالنظر إلى أن "بيلي" من عائلة "هتشينز"، وهي تعمل في المصنع، فهو لا يرغب في أن تتناقل الألسنة

أي كلام ينطق به الآن، وخاصة أولئك الحريصين على تعريف الباقين بمستجدات ما سمعوا به هذا الصباح.

- "كوكاكولا"؟

- كلَّا، أشكرك.

رغب "كيسنجر" في زجاجة "كوكاكولا" ثانيةً، فنهض نحو الثلاجة.

- متأكد أنك لا تريد؟

- نصف زجاجة إذًا، إذا تكرَّمت.

وجد "كيسنجر" وقتًا لترتيب أفكاره.

- أسألك يا "بيلي"، لو أنني أخبرتك بشيء، فهل ستخبر به الجميع أم ستحتفظ به لنفسك؟

- أحتفظ به لنفسي بكل تأكيد يا سيد "كيسنجر".

- متأكد؟

- طبعًا.

- هذا لأنني أشعر أن بوسعي الثقة بك.

- أكيد.

- إذًا أقولها لك في كلمتين؛ أنا قلق.

حدَّق "كيسنجر" فيه بعد أن ألقى هذه العبارة، بحاجبين مُنعقدين، وفم مزموم، وكأنه يوشك أن يطلق منه رصاصة.

- تجاه ماذا تحديدًا يا سيد "كيسنجر"؟

عجز "بيلي" عن أن يتخلَّص من تكرار كلمة سيد في كلامه مع الرجل.

- نحن لا نقدم القدر الكافي من الأحذية للمتاجر. هذا طبيعي ومعقول، ويمكنني أن أتقبله، ولكن ما يقلقني هو أنني لا أشعر بوجود حماس. كان هناك اجتماع هذا الصباح. سأخبرك بأمر تعلمته من حياتي العملية. يمكن أن تسوء الأمور. يمكن أن تصادف دورات خسارة حتى ولو كانت سنوات، ولكنك لا يمكن أن تستغني عن ذلك الحماس، أن تقول لنفسك يجب أن أفعل ذلك، يجب أن ننجز هذا الأمر مهما كان الثمن.

- أرى أن الافتقار إلى ذلك أمر سيئ بالفعل.

- أنا لا أقول بأنه غائب تمامًا، ولكنني لم أشعر به اليوم، وهذا ما يقلقني.

دسَّ في فمه ما تبقَّى من الساندويتش، على الرغم من أنها كانت قطعة كبيرة، وكان من الممكن أن يتناولها على مرَّتين.

ما شعورك لو أنك صادفت فجأة، ومن دون أي توقع منك، غريبًا ليعرض عليك تلك الفرصة التي ظللت طيلة حياتك تحلم بانتهازها، لدرجة أنك يئست من مجرد التفكير فيها؟ وجد "بيلي" أنه في موقف لن يخسر فيه أي شيء. هو بالفعل ليس لديه ما يخسره.

تناول جرعة من زجاجة "الكوكاكولا"، قبل أن يقول:

- عليك إجراء بعض التغييرات. أنت رجل الأعمال، وتعرف أفضل منِّي بمائة مرَّة، ولكن هل لي أن أنصحك يا سيد "كيسنجر"؟ لي بعض الدراية بصناعة الأحذية. ليس من مجرد الاستماع لوالدي عبر ثلاثين عامًا فحسب، بل من أوقات عملي هناك، ومن أيام امتلاك آل "بيرمان" للمصنع. إنهم أناس طيبون، ولكنهم تركوا الإدارة في أيدي مَن لا يستحقها؛ أتفهم مقصدي؟

يبدو أن "كيسنجر" اندهش من منطق العامل، ومن أن لديه ما يقوله بالفعل. حتى تلك اللحظة كان يظنه من النوع الهادئ الذي يفضل الصمت.

- مقصدي سيد "كيسنجر"؟ مقصدي هو المصنع نفسه. لقد قلصوا صلاحيات "إيرل"، ولا بأس في ذلك، وبوسعي أن أتقبله، ولا أنكر أنه يعاني من مشكلات بسبب الإفراط في الخمر، ولكن عائلة "بيرمان" باعت المكان، ولم يحل أحد محل الرجل! لم يقوموا بتعيين مدير لتطوير المنتجات. فمن أين يمكنهم الإتيان بمنتجات جديدة إذًا؟ أيام "بيرمان" كان لدينا خط إنتاج كامل. وكنا نقدم مختلف أنواع الأحذية. كان لدينا عاملون مهرة ولديهم خبرة، ولكننا وجدنا أن الزبائن لم يعودوا يفضلون تلك الأنماط الكلاسيكية. وما دام هذا هو الحال، فلماذا نستمر في إنتاج تلك الأحذية؟ هذه مسألة مختلفة. وكيف ذلك؟

وتابع:

- هناك نوع بعينه لا يزال الزبائن يحبون أن يكون أمريكي الصنع، الـ"بيني لوفر"، ولكن ماذا عن بقية الأنواع؟ الـ"بروجز"؟ الـ"كوردوفان"؟ لما كنت في المصنع، كنا ننتج أفضل "كوردوفان" في البلاد، وبالتالي في العالم. والسبب؟ السبب أن آل "بيرمان" كانوا ينتقون أجود الخامات من "شيكاغو" مباشرة، وأجود خامات الدباغة، من "هورفاث"؛ أتعرف "هورفاث"؟

أومأ "كيسنجر" برأسه في أسف؛ فهو لا يعرف.

- أفضل مصبغة لجلود الأحذية. لقد توقفوا عن استخدام "هورفاث". لماذا؟ أنت لن تكون بحاجة إلى أفضل نوعية "كوردوفان" طالما أنك لن تصنع أفضل الأحذية منها. وهذا مجرد مثال واحد. يبدو الأمر وكأنهم لم يكونوا يعرفون بأي تغييرات تحدث حولهم في هذا العالم. أنا أتحدث عن شركة "أوهايو". كنت في "كاليفورنيا". وحتى وأنا هناك كنت أعرف بما سيحدث. وعلى الرغم من انتشار الأحذية الرياضية في كل مكان، وارتداء الجميع لأحذية "نايكي" و"بوما"، فإنه هناك الفئة الأهم، رجال المال والأعمال في جميع الشركات الكبيرة. معهم الأموال ويرغبون في ارتداء أحذية حقيقية. يريدون الأفضل. وهذا الأفضل هو نفسه ما توقفنا عن تصنيعه. أتدري ما يقوم به ذلك المصنع في "ويسكونسن" والذي ينتج أحذية الـ"بروجز"؟ يبيعون الحذاء بثلاثمائة وأربعمائة دولار.

وأضاف:

- إذًا علينا أن نصنع الحذاء بقيمة خمسمائة دولار. وكنا نصنع هذا الطراز فعلًا، ولكننا توقفنا الآن. لذلك استعدوا للعودة، وأول خطوة هي العودة للاعتماد على "هورفاث". اصنعوا ما تجيدون صنعه واطلبوا فيه الثمن الذي تريدونه، فنحن نعيش في عالم الأغنياء. هذا رأيي، وليس رأي غيري.

- حسنًا.

لكن "بيلي" لم يكُن قد انتهى من كلامه. ربما شعر أيضًا أن "كيسنجر" يريده أن يتكلم، وأنه مستمتع بسماعه، وكأنه يتسلَّى به.

- أنا حتى لم أعد أعرف بما إذا كانت الماكينة التي تصنع الثقوب في الأحذية لا تزال موجودة أم لا. ربما هي الآن صدئة في ركن ما في المصنع، ولكن هذا غير مهم، فالماكينات الجديدة تُباع في كل مكان. الذي أعرفه هو أنه في المصنع عديد من الماكينات المركونة من دون استعمال، ولا بد من إصلاحها وصيانتها وإعادتها إلى خطوط الإنتاج. وهي مسألة غير مكلفة إلى ذلك الحد. علينا أن نحدد نقاط الضعف لدينا. وأن نحدد مَن يعمل ومَن لا يعمل. قليل من الذكاء ونعود إلى حلبة المنافسة.. آسف إن كنت قد بالغت في كلامي.

- كلَّا.. لم تبالغ.. ليس بعد.

- أتمنى ألا يظهر من كلامي أنني أبحث عن دور ما في المصنع؟

- الحقيقة أن كلامك واضح.

كان "كيسنجر" يبتسم وهو يستمع إلى كل هذه العيوب ونقاط الضعف؛ يبتسم كثيرًا في داخله، ولكنه لا يُبدي من ذلك إلا بادرة، كعادة رجال الأعمال الذين لا يظهرون إلا ما يقصدون إظهاره، ولكنه أمام شخص متحمس بلا جدال. ولطالما آمن "كيسنجر" بأن الأخير سيكون الأول. أحيانًا ما يكون أولئك القريبون أبعد ما يكونون عنك، بينما عليك أن تقرب البعيدين منك. هذا منطق له وجاهته حينما تفكر فيه. هذه من طبائع الدنيا، ولكن "بيلي" أدرك في تلك اللحظات أنه قد ذهب بعيدًا أكثر من اللازم.

- دعني أسألك يا "بيلي".. إن كان لي أن أعرض عليك منصبًا هناك في "نورومبيجا"، على أن تختار أنت المنصب الذي ترغبه، ولكن شرطي الوحيد هو أن يكون ما تختاره هو المنصب الذي تشعر أن بمقدورك أن تحدث من خلاله أكبر فارق في المكان، فأي منصب يكون؟

كانت الفرصة أكبر من أن يضيعها "بيلي"، الذي تجاوز الثلاثين من عُمره ولم يقم بأي إنجاز حقيقي في حياته.

- أهذا سؤال افتراضي فحسب؟

- افتراضي فحسب.

- أعتقد أنه سيكون منصبًا في إدارة تطوير المنتجات.

- مدير الإدارة؟

- أيًّا كان.

- مدير إدارة تطوير المنتجات.

- أعتقد أنني أقترح هذا يا سيد "كيسنجر". وما لم يكُن قد جرى تغيير لست على دراية به، فإن هذا المنصب شاغر. هو غير موجود من الأساس؛ فلا توجد إدارة تطوير.

- الآن إلى ثاني أمر افتراضي. إذا كنت.. إذا كنت مدير إدارة تطوير المنتجات وقلت لك، أيًّا كان ما قمت به، أن تتبعني أنا فقط، وأنك ستكون عينيَّ وأذنيَّ، وأنا سأكون مسانِدًا لك، والعكس صحيح، وأنك ستتعامل مع الجميع بطريقة تطفئ بها المشكلات وهي بعد مجرد شرارة. ستكون رجلي، ولكن يجب أن تكون حريصًا إزاء ذلك؛ فهل تعتقد أنك قادر على القيام بهذا الدور؟ فرضًا.

- الأمر يحتاج إلى الممارسة الفعلية، ولكن أنا متأكد من ذلك. طبعًا، يمكنني القيام بأي شيء تريده.

شعر "كيسنجر" برضا، بعد أن وجد أنه أحسن اختيار اللحظة المناسبة.

- ماذا عن افتراض ثالث؟ أن أخبرك بأن علينا تسريح البعض. وأن أخبرك أن والدك من بين هؤلاء، "إيرل". فهل ستقوم بفصله؟

- أن أفصل "إيرل"؟ بالتأكيد سأفعل.

قالها "بيلي" من دون ثانية تردد، وأدرك "كيسنجر" أن "بيلي" قالها من دون ثانية تردد، وكأنه كان ينتظر هذا السؤال منذ البداية.

كان ذلك هو السؤال، وتلك كانت الإجابة، وكأن "بيلي" حل لغزًا مستعصيًا.

وهكذا، اقتنص "بيلي هتشينز" منصب مدير إدارة تطوير المنتجات في مصنع "نورومبيجا" للأحذية.

شعر "كيسنجر" أنه قد أوقع نفسه فيما يشبه المزحة وتبعاتها. هل ارتكب خطأ كبيرًا؟ إنه لم يبحث في ماضي "بيلي"، ربما لأنه لو فعل لوجد أمورًا سيصعب عليه تجاهلها. لقد أعجب بالشاب. أعجب بما هو عليه من رغبة وحماسة ونهم. وقال لنفسه إن لم ينجح الأمر فبوسعه فصل "بيلي" في غضون أسبوعين لا أكثر. هو فقط يريده أن يكون الشرارة التي تشعل الحريق في المكان.

بادر "بيلي" بقبول كل ما عرضه "كيسنجر" عليه، بل وجد أنه ليس بالعرض السخي إلى ذاك الحد.. "شون" و"كريستين" يقبضان أكثر منه. وكذلك "جاري". راتبه مثل راتب منصبه الجديد، ولكن الاسم نفسه جذَّاب؛ مدير إدارة تطوير المنتجات. يكفي أن تنطقه بصوتٍ عالٍ. كان أول ما فكَّر فيه "بيلي"، الذي لم يكُن قد عرف بعد أن راتبه يتجاوز راتب "جاري"، هو أنه سيكون قادرًا على شراء سيَّارة "بي إم دبليو" عما قريب. ربما لن تكون أحدث طراز، ولكنها ستكون قريبة الشبه بتلك التي كانت لديه في "كاليفورنيا".

كما أن "إيرل" لم يُفصل من العمل. شطبوا اسمه من القائمة، بعد أن أخبرهم "بيلي" أنه سيستفيد منه ومن خبراته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخبر

مُستجدَّات في كل اتجاه، حتى كان من الصعب عليهم الإحاطة بها. تسريح عاملين، وعودة "بيلي"، وإنهاء خدمات "ماري فرانسيس" بعد سبعة وعشرين عامًا. و"تشارلي راسل"، بعد تسع عشرة سنة خدمة. تلك كانت القائمة. لماذا هؤلاء دون غيرهم؟ حاولوا حل هذا اللغز.

بكى "بيرتون" حتى احمرَّت عيناه وهو يحاول التفكير في مصير "ميكي". هو لا يعترض على كونه في القائمة، ولكنه لم يفهم سبب الاهتمام بمنح علاوات طالما أنهم قرروا مصيرهم بالفعل. ستحصل على العلاوة، ولكننا سنطرد "ميكي". تحققت مخاوفه. كسب عشرة في المائة، وخسر مائة في المائة. لقد تنامت المخاوف منذ ذلك اللقاء في "ماكدونالدز".

انتهز البعض الفرصة للتباهي والتقريع.. "قلنا لكم إن هذا سيحدث". فقالت "دوت بودين"، من قسم التقطيع، إن "بامي هارلتون" لم تكُن تنجز الكم المطلوب منها يوميًّا، وكانت تتعمد ترك المهام الصعبة لغيرها.

لم تكُن "دوت" تبوح للكل بتلك الآراء، ولكنها الآن تؤكد حقيقة حدثت بالفعل. توالت الاعترافات النادمة وسط أجواء هادئة حزينة يخيم عليها عدم اليقين. ثم، مَن سيقوم بكل هذا العمل الإضافي، بعد تسريح عشرة في المائة من العاملين؟

قال "بيرت مايلز" إن المشكلة الحقيقية هي أنهم يتخبطون ولا يعرفون أي شيء. وهو بالطبع يقصد بكلامه المديرين، وكذلك شركة الاستثمار في "كونيتيكت". لم يرغب الباقون في الجدال مع "بيرتون" مباشرة، بسبب حزنه على "ميكي"، ولما حل به من تعب وأرق. واللافت هو ذلك القدر من المنطقية والتعاطف الذي أبداه عدد من العمال تجاه المشكلات التي تواجهها الإدارة. إنهم لا يتملقون أحدًا، فلا يوجد أحد جدير بهذا التملق.

فقال "بيج إيتون" إن مبيعات الأحذية صارت مهمة صعبة. وقال "فوكس هيرمان" إن أسعار المنتجات هي السبب، فالناس لم تعد تبحث هذه الأيام سوى عن البضاعة الأرخص، ولكن "مارج دوشامب" تساءلت عما إذا كانت هذه العوامل تشمل الكل بلا استثناء. وأراد "بيت هاموند" أن يعرف ما يُفترض بهم القيام به. وتذكَّرت "دون سميث" أن هذا التسريح حدث من قبل أكثر من مرَّة، وأنهم من الممكن أن يستعينوا بالعمال المُسرَّحين مرَّة أخرى في حال ازدهرت أعمال المصنع. هي نفسها تعرَّضت لهذا الموقف مرَّتين من قبل. ربما يرى الآخرون أن "دون" أفرطت في تفاؤلها. هي

معروفة بهذا التفاؤل نوعًا ما، ولذلك اعتادوا كلما تحدثت على معاودة تقييم آرائهم والتراجع بطموحاتهم على قدر تقدمها هي بطموحاتها.

الغريب أن اسم "بيلي هتشينز" لم يُطرح في ذلك النقاش إلا بعد حين. ولم يكُن أحد يعرف ما يمكن قوله بصدده، بل لم يكُن أحد يريد التفكير في ذلك. كان مثل ظل ساكن يخيم على القاعة، في انتظار مَن يحييه. في انتظار مَن يدفعه إلى القيام بما اعتاد "بيلي هتشينز" على القيام به.

إنها أشياء انطبعت في ذاكرة "بيلبورت" الجمعية؛ لديه موهبة يعتد بها وعقل لم يستغله أبدًا أفضل استغلال؛ توَّرط في علاقة مع "مارسيا جوين" وتركها وهي حامل في المرحلة الثانوية؛ حامت حوله الشكوك بشأن التورُّط في أعمال مشبوهة، ولكن لم توجه إليه أي تهمة رسميًّا؛ خلافاته مع أخيه الهادئ المسؤول الذي يعرف ما يفعله؛ لديه تلك الابتسامة، والطبع الودود الذي ورثه عن "ألما هتشينز"؛ ورحيله عن البلدة. ولكن، ما الذي ينوي أن يفعله الآن؟

الآن وقد عاد، بطريقة درامية، حولها كثير من الشكوك، جعلته في صدر المشهد، وكأن "كيسنجر" يرى فيه خلاص هذه البلدة! هنا يمكننا العودة إلى "دون سميث" لنرى من خلال عينيها الجانب المشرق: "بوسع الشركة الاستفادة من تقديم منتجات جديدة، سواءً تحقق ذلك مع بيلي أم توم ديك أم هاري". وكذلك يرى "تيمي طومسون" هذا الرأي. الواقع أن هذه الخطوة تنمُّ عن قدر الثقة التي تضعها "مادريجال" في مستقبل هذا المصنع.

أنت لا تقوم بتعيين مدير تطوير منتجات بينما تكون مقتنعًا بأن الشركة في طريقها للهاوية، ولكن "كون بودين" تساءل، لماذا "بيلي هتشينز"؟ ما مؤهلاته؟ لم يكُن "كون" يطيق "بيلي"، وهو أمر يعود إلى أيام الثانوية وبنات الثانوية. سمع "بيت هاموند" أنه كان يعمل في منزل "كيسنجر" في الجزيرة. وعلى الرغم من أن "بيرت مايلز" التزم الصمت ولم يعلق، فإنه شعر بوجود مؤامرة في الموضوع، ولكنه بعيد عن أن يوجه إصبع الاتهام بعد، حتى في ظل حقيقة عدم تسريح "إيرل هتشينز" الذي لم يفارقه السُّكْر طوال عام، على الرغم أن من الطبيعي والمنطقي أن يكون اسمه في صدارة أسماء الذين تم تسريحهم. ولا يعني هذا أن "بيرتون" يكره "إيرل"، بل على العكس، فهو يحب هذا العجوز. ولكنها أوقات عصيبة، وتستدعي من الكل الحكمة.

كان بال "بيرتون" منشغلًا بتلك الأزمة، حين ظهرت عربة "تشارلي راسل" الـ"بيك أب" وتوقَّفت في الساحة. أومأت "مارج دوشامب" تجاه الـ"دودج

رام" الزرقاء، فساد الهدوء، على الرغم من أن "تشارلي" لم يظهر إلا بعدها بلحظات.

وعندما وصل إليهم، كان الصمت هو المُسيطر على المكان، إلا بعض همهمات خلف "كاونتر" المطعم. لدى "تشارلي" أولاد، ولكنهم كبار. متزوج من "جانيت"، التي تعمل هناك في "بانجور". الأمر صعب عليهم، ولكنه غير مستحيل. ومثل "بيرتون مايلز"، سهر "تشارلي" الليل طوله يفكر: "لماذا هو وليس غيره؟"، ولكنه لم يصل إلى إجابة شافية. أنت لا تريد أن تفكر في أن العمل مهم للغاية، خاصة إن كان روتينيًّا لا يتغير، تريد أن تفكر في أن العائلة والخروج للصيد أشياء أهم في نظرك، ولكن يبقى أن ذلك الوقت الذي تستقطعه من حياتك يوميًّا هو الذي يجلب لك المال الذي به تعيش.

فماذا إذا تبدد ذلك العمل؟ دائرة من الأفكار تدور مُتسارعة في عقل "تشارلي"، بكل رتابة. الفكرة الملموسة الوحيدة التي بوسعه أن يقلبها في ذهنه هي أن من حقه الآن الحصول على مكافأة نهاية خدمة. كم أسبوعًا الآن؟ ستة وعشرون، أم تسعة وثلاثون، أم اثنان وخمسون؟ يا لها من طريقة ساخرة للتعامل مع عام مضى! أن تقسمه على هذا النحو بدلًا من تقسيمه إلى فصول! ولكن العقل في مثل هذه اللحظات يتجه أينما كانت النقود.

سيتَّصل بالمكتب الفيدرالي في "بانجور" ما إن يبدأ العمل فيه.

- سأنظف البحيرة يا "بيرت". لن تجدوا سمكة قاروص واحدة حينما تذهبون للصيد هناك أيها الحمقى.

ها هو "تشارلي" الذي يعرفونه؛ يحاول دائمًا السخرية من الأزمات. هو رجل ضخم الجُثَّة والكرش، كبير الأذنين المحمرتين دائمًا، حتى في ذروة الشتاء، ورأس كبيرة لم ينحسر الشعر عنها. أجرى عملية في الشريان التاجي، ويعاني من بعض مشكلات الرُّكبة التي جعلت حركته بطيئة، ولكنه خلاف ذلك يليق برجل في التاسعة والأربعين.

سارعوا بتطييب خاطره بالعبارات المعهودة، وكأنه لاعب محترف تقررت معاقبته بالتدريب مع الناشئين. على الرغم من أن عمال "نورومبيجا" اعتادوا هذه المواقف وخبروا تلك المشاهد، فإنهم هذه المرَّة افتقدوا القُدرة على إقناعه وإقناع أنفسهم.

جلس "تشارلي" على أحد المقاعد الثابتة في الأرض، ولم يطلب حتى ولو قهوة.

يبدو في مثل هذه المواقف أثقل وزنًا من الكل، وتشعر وكأن جاذبية الأرض كلها اجتمعت تحت قدميه. تركه البعض لحاله ورأى البعض الآخر أن يخفف عنه بالنكات. أخبر "تشارلي" "بيرت" بمدى حزنه لأجل "ميكي". شكره "بيرت" بكلمات مجاملة خرجت من فمه رسمية. تشعر وكأن ألوان ديكور "ماكدونالدز" المبهجة في احتفاء بالحياة تتوارى خجلًا، وكأن "رونالد ماكدونالد" مُتحرِّج من الوجود في حضرة تلك المُواساة بين الرجلين.

جلسوا مع "تشارلي" حتى الثامنة إلا عشر دقائق، قبل أن يُودِّعوه في أسى ويتوجَّهوا إلى المصنع. مضت عليه دقائق أخرى، لم يبارح فيها مكانه، ولم يطلب خلالها قهوته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حوار بين أخوين

دار الحوار التالي في منزل "جاري"، مساءً، داخل المرأب، حيث كان "جاري" يعكف على تصليح انبعاج في هيكل سيَّارته الـ"لينكولن"، وكانت هذه هي أول مرَّة يوجد فيها "بيلي" في منزله خلال خمسة أعوام.

يطلُّ عليه "بيلي" من فوقه:

- أعدتُ هذا الجزء إلى حالته الأولى.

لم يرفع "جاري" رأسه إليه كثيرًا من مكانه أسفل السيارة: - أعتقد ذلك.

- سأبدأ العمل يوم الإثنين.

- عظيم.. أتمنى لك حظًّا سعيدًا يا "بيلي".

- هل تصدق هذا؟ هل كنت لتصدق ذلك منذ بضع سنوات، أن يكون أخوك الصغير مديرًا لتطوير المنتجات؟

- مسؤولية كبيرة يا "بيلي". عليك ألا تضيع هذه الفرصة.

- أتقول إن من الممكن أن أفسد الأمر بسبب ما تظن أنه طبيعة شخصيتي؟

- أنا لا أقول أي شيء. بل أذكرك بالماضي وحسب.

- شكرًا لك إذًا يا أخي. أشكرك على كل هذه الثقة.

- هوِّن عليك، ولا تُسئ فهم كلامي.

- بل أفهم كلامك. أتعتقد أنني على غير علم بمسؤولياتي؟ ألا تعرف كم بذلت من جهد حتى أستبقي "إيرل" في مكانه؟

- كان في القائمة؟

- طبعًا كان في القائمة.

- لا بأس.

- أهذا كل ما لديك؟ لا بأس؟ لقد تعهَّدت لهم بأن أراقب أداءه.

- أعتقد أنني كنت أقوم بهذا الدور وكنت حريصًا عليه، ولكن من أين لك أن تعلم وأنت لم تكُن هنا من الأساس؟

- لا داعي لهذه النبرة الساخرة.

- أنا لا أسخر، تلك هي الحقيقة.

- شكرًا.. سأنصرف.

استدار لينصرف، فبادره "جاري":

- شكرًا على مرورك. طالما أنك درع حماية "إيرل" الآن، فعليك أن تذهب إلى بار "درفي"، وترى إن كان هناك أم لا. هذا ما كنت أفعله. وعليك أن تعيده إلى منزله إن وجدته هناك.

- أُقدِّر نصائحك دائمًا يا أخي.

تركه "بيلي"، فهوى "جاري" بمطرقته على المعدن بكل قوة. كانت قُوَّة امتزجت بالحنق. أدرك أنه لن يستطيع أن يقوِّم هيكل السَّيَّارة على النحو الذي يريده وهو على هذه الحال، فقرر ترك الأمر للصباح، ودخل إلى المنزل ليسترخي أمام التليفزيون.

ناولته "مارثا" الريموت. سألته عن "بيلي"، وعما إذا كان قد حكى له عن حقيقة ما يجري في المصنع. هزَّ "جاري" كتفيه، ولم يُعقِّب. إنه مُتيقِّن من أن "بيلي" لا يعرف أي شيء عن صناعة الأحذية، ليس بالمقارنة به على الأقل. ولأنه عبَّر عن أفكاره هذه لـ"مارثا" أكثر من ثلاث مرَّات في هذا الأسبوع وحده، رأى أن يسكت ويشاهد برنامجًا عن صيادي كنوز غارقة في بحار الفلبين. ها هي سفينة عتيقة غارقة، تتراقص من حولها أسراب السمك، وعلى البعد يظهر شبح سمكة قرش، أو سمكتين. دائمًا ما تعرض هذه البرامج سمكة قرش، أو سمكتين.

تمنى "جاري" أن يحلم بتلك السفينة؛ السفينة الشبح المتداعية الصدئة، بينما هو يسبح تجاهها، يصل إليها أو لا يصل. ربما لا يصل، وهذا أفضل. أن تسبح نحو حلمك للأبد. تمنى لو أنه لم يستيقظ في الفجر، وهو لا يفكر إلا في "بيلي".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفكرة

استيقظ، فوجد الساعة تشير إلى الرابعة وسبع عشرة دقيقة. عجز عن تذكُّر تفاصيل الحلم. بركة من العرق وراء رقبته على الوسادة. سكن، وأخذ نفسًا عميقًا، أملًا في أن يعود إلى نومه.

ترقد "مارثا" ساكنة تمامًا إلى جواره. فكَّر في تلك الورقة الرابحة التي لم يستخدمها قط. أكان هو، أم لم يكُن هو؟ حاول أن يفكر بتلك الطريقة. أليس هو واحد من بين ثلاثة من هذه العائلة؛ أليس الباقون هم آل "بيرمان"، الذين يعيشون الآن في "نابلز" في فلوريدا؟ وهم الذين يعرفون سبب ترك "بيلي" العمل في مصنع "نورومبيجا" أول مرَّة؟

عاد "جاري" يتلمَّس السؤال: "أكان هو، أم لم يكُن هو؟".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جنود الشِّتاء

انشغل بال "بيرتون" و"بيف" مجددًا بمصير "ميكي". الحقيقة أن هناك فترات مرَّت عليهما لم يكونا على ذاك القدر من الانشغال به، وقت أن كانت الحياة تمضي بخير، وكان ابنهما على ما كان عليه، والذي لأجله لا يمتلكان كلمات أكثر أو أفضل أو أصدق من اسمه؛ اسمه فحسب، ولكن صدمة التسريح كانت قاسية عليه.

وكانت المشكلة الأكبر أنه لم يعد يجد ما يفعله طوال اليوم. أو على الأقل هذا ما ظنه "بيرت" و"بيف"، اللذان لا يسعهما التَّعمُّق كثيرًا في تحليل أي مشكلة من دون أن يصيبهما وجع الدماغ. ومنطقهما في ذلك بسيط، ولكن ذلك لم يمنع "بيف" من أن تُعرِّج إلى مشكلة أخرى، ألا وهي نظام التأمين الصحي الذي تقدمه الشركة، والذي يفرض ضغوطًا مالية لا طاقة للموظفين بها، كما أنه لا يغطي الحالات العقلية.

كان "بيرت" هو مَن نبَّهها إلى هذا الموقف بعد تسريح "ميكي"، ولأن ولدهما قد تجاوز العمر الذي يتيح له الاستفادة من تغطيتهما التأمينية، وعلى الرغم من أنه لم يكُن هناك أي فارق حقيقي فيما إذا كان مصنع "نورومبيجا" يقدم تغطية صحية للحالات العقلية أم لا، ولكن الأمر زاد من حُرقتها على ولدها. إنهم يسرحون شابًّا مثل "ميكي"، ثم يحرمونه من أي قشة قد يتشبَّث بها.

وبينما كان والداه في الخارج، تسلَّى "ميكي" بالكمبيوتر في البدروم. يبدو أن العالم الرقمي سيبقى عالم "ميكي" الأثير الذي يُجيد التعامل معه. وربما لهذا السبب تحديدًا كان أبواه أكثر تساهلًا معه بشأن عدد الساعات التي يقضيها أمام شاشة الكمبيوتر. يقولون للناس إن ذلك يساعده في التعلم، وربما كان ذلك حقيقيًّا في جانب منه. كما أنه، في هذه الألفية الجديدة، حلقة الوصل بين "بيلبورت" والعالم من حولها.

كان الإنترنت بمثابة هبة الرَّب لهذه البلدة الصغيرة ومثيلاتها. يقضي "ميكي" أيامه الآن مستغرقًا في ألعاب الفيديو، وأغلبها ألعاب قنص وحركة. يجد في ذلك فرصة لصقل مهارته في استخدام الأسلحة الحقيقية. كما أنها من الأشياء القليلة التي تجعله يفتخر بنفسه، نوعًا ما.

وجد أنها المجال الوحيد الذي يعرف فيه أكثر من غيره. وهكذا، كان يقود طائرات حربية، ويوجه طائرات من دون طيار، وينطلق بسفن فضاء، ويستعين بآلات الزمن، ويسيطر على مدمرات، ويصارع متحولين بأسلحة

بيضاء ومخالب، ولكن المرارة والألم كما هما في نفسه. لا يزال غير مُصدِّق للكيفية التي سرحوا بها أفضل عامل رص صناديق في "بيلبورت".

هكذا كانوا يقولون له دائمًا؛ أنت أفضل مَن يرصُّ صناديق الأحذية في المصنع، حتى إن أباه قال له ذلك ذات مرَّة. والآن، مَن سيرصُّ لهم تلك الصناديق؟ سأل والده هذا السؤال، ولكنه لم يرد بإجابة مقنعة، أو لم يشأ أن يخبره أنه هو مَن يقوم بذلك الآن. وأن ذلك العمل البسيط كان بمثابة إحسان مُقنَّع استمر سنوات لأجل "ميكي"، وهذا لأن آل "بيرمان" كانوا رحماء ذوي أصل طيب، ومَن جاء بعدهم لم يتفهم كثيرًا مما حرص أسلافهم على القيام به لأجل أهل هذه البلدة.

تحول الألم إلى غضب في صدر "ميكي". مَن هؤلاء الذين أقدموا على ذلك؟ الكل يقول إنهم الأناس الجُدُد، ولكن مَن هم هؤلاء الجُدُد؟ لم يشعر إلا أن هناك مَن يكرهه الآن، وأن عليه أن يبادله الكراهية. هذا هو أقل العدل. كلَّا، عليه أن يبادلهم كراهية أكبر. هكذا علمته الألعاب؛ تقتل من عندي واحدًا، أقتل من عندك اثنين. هكذا يكسب اللعبة ويحقق نقاطًا أعلى.

فتحت "بيف" مع "بيرت" موضوع الذهاب بـ"ميكي" إلى طبيب نفسي. وعلى الرغم من تكلفة ذلك، فإنه السبيل الوحيد الآن، بعد انقطاع التأمين الصحي. لازم "ميكي" مُعالجًا نفسيًّا طوال سنوات المدرسة، بالتأمين الصحي، وكذلك كان الحال أيام المصنع، حتى تحسنت حالته العقلية نسبيًّا.

من الصعب أن تتحمَّل ميزانية "بيرتون" تكاليف طبيب نفسي خاص، وعندما فكَّر في الأمر، خطر له أن يستشير أصدقاء الإنترنت؛ "جنود الشتاء"، فلربما كان لدى أحدهم تجربة مماثلة يستفيد منها.

أخبره "Wsmuncie6" بأن الاختصاصيين النفسيين هراء من اختراع النظام العالمي الجديد. والحق أن "بيرتون" لم يندهش لهذا الرد، بل توقعه نوعًا ما. في حين قال له "Wsstormboy" إنه وبعد دراسة لميثاق اليونسكو، أدرك أن الأمم المتحدة هي المُروِّج الأكبر لفكرة العلاج النفسي في العالم أجمع، وإنه إن لم تقف شعوب العالم في وجه هذه المنظمة فسيكون هناك مليارات، ليس ملايين، بل مليارات، البشر تحت رحمة الرعاية النفسية.

ووجد "Wswesternmass19" أن هذه نتيجة لا بأس بها، وتتيح التخلص من كم لا نفع منه من البشر، ووجد في ذلك ميزة تنافسية للأمريكيين، الذين سيبقون في النهاية عنصر المقاومة الوحيد. وقال "Wsholton" إن الطريقة التي يمضي بها العالم تدفع أي عاقل إلى استغلال أي ميزة يحوزها، حتى وإن كانت تُفضي في الختام إلى انتحار جماعي.

وعلّق "Wswatchtower" بأن فكرة الانتحار هذه جيدة، وخاصة لو تمت بسُمٍّ من ابتكار أمريكي، فهو أفضل انتقام من كل ساخر من أمريكا. بادر "Wsgeorgewashingtonbridge" بتصحيح فهم "Wswatchtower" عن أصول ذلك العلاج، وقال إن "فرويد" مَن ابتكره، وإنه إسرائيلي بالمناسبة.

نبَّه "Wsfrankr" الباقين إلى أنهم ابتعدوا كثيرًا عن أساس الموضوع، وهو طلب "Wsbealport1" نصائح منهم بشأن ما ينبغي عليه القيام به لأجل ابنه. عندئذٍ، اعتذر "Wslancaster3" إلى "Wsbealport1" عن تشعُّب النقاش إلى مشكلات أخرى، واقترح عليه أن أفضل سبيل لمساعدة ابنه هو أن يعمل على أن يستعيد وظيفته ممن سلبوه إيَّاها، ولو أن هذا كان محالًا فإن الخيار الثاني هو أن ينقطع بدوره عن الشركة وينادي مَن حوله بمقاطعتها.

واقترح أن يبدأ أعضاء هذا المنتدى بمبادرة مقاطعة منتجات الشركة والإعلان عن ذلك في كل مكان، لأنه يرى أن أكثر ما يخشاه أصحاب الثروات هؤلاء هو تراجع أرباح استثماراتهم. كتب "Wsbealport1" يشكر "Wslancaster3" على اقتراحه، ولكنه أخبره بأنه يشك في جدوى مقاطعة على ذاك النحو. فبأي حال، كم عضوًا من أعضاء "جنود الشتاء" اشترى أو يفكر في شراء حذاء من أحذية "نورومبيجا" من الأساس؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الابنُ الضَّالّ

في أول مهمة رسمية، أو حتى غير رسمية له، توجَّه مدير تطوير المنتجات الجديد إلى "شيكاغو" ليتعاقد مع "هورفاث". شعر أن عليه القيام بذلك بنفسه حتى يبين للكل خبرته في الجلود.

وفي المساء، ذهب إلى بار قريب والتقى فتاة من "سيوكس سيتي"، واصطحبها معه إلى غرفته. أمضى معها ليلة ممتعة، وجد فيها خير تعويض عن اضطراره للسفر في الدرجة الاقتصادية على متن الطائرة.

وفي المصنع، كان حريصًا على أن يظهر في كل مكان. يمر على كل قسم مرَّة، وربما مرَّتين، في الساعة. على أن نجح في ألا يقع في فخِّ الإفراط فيما يقوم به. وطبعًا، كان ذلك بطلب من "كيسنجر"، و"بيلي" تلميذ نجيب. الحق أنه راح إلى مكتبة "بيلبورت"، تلك التي لم يسبق له أن دخلها سوى مرَّة في حياته، واستعار مجموعة أشرطة كاسيت وفيديو تتحدث عن فن الإدارة.

استمع إليها في السيارة، وشاهدها في المنزل، وذلك بعد أن صارت لديه سيَّارة ومنزل، فقد أخذ شقَّة في عمارة "رالفي" في "مين ستريت"، واستأجر سيَّارة "بي إم دبليو" من معرض في "بانجور". وعكس هذا التصرف، حرص "بيلي" على ألا يسرف في نفقاته. فما الذي جرى للفتى؟

لا يريد "بيلي" أن يهدر الفرصة، التي لا يعرف كم مرَّة يمكن أن تأتيه في حياته فرصة مثلها، هذا إن قُدِّر لها أن تأتي. وإن كانت هناك أحكام مُسبقة من الجميع ضده، فالظاهر أنه لم ينتبه لها أو لا يهتم بها. يدخل كل قسم، ويسأل عما إذا كان لديهم أي مقترحات بشأن خط الإنتاج الجديد، ويتعمد ألا يخبرهم أنه صاحب فكرة خط الإنتاج الجديد، ويقصد ألا يؤكد طبيعة منصبه ومهامه، كما أنه لم يلجأ إلى الإكليشيه الإداري المبتذل.. "نفذوها بطريقتي وإلا السكة تفوت الجمل". كله آذان صاغية. وفي هذا الوصف مفارقة ساخرة لأن "بيلي" يمتلك أذنين كبيرتين مقارنة بحجم رأسه، وهي حقيقة جعلته مميزًا بين أقرانه منذ أول يوم له في المدرسة. أما مع "جاري"، فكان أهدأ في تعامله، ويتحدث معه بأدب.

يريد أن يظهر له أنه لا يتميز عنه، وأنه لا يودُّ أن تطرأ بينهما أي مشكلة. وكان رد فعل "جاري" هادئًا بدوره، وصارا مثل حيوانين من نوعين مختلفين، ولكنهما يمتلكان القدرات ذاتها تقريبًا، ويحرصان على المسافة بينهما بكل حذر.

كانت طباع "بيلي" هذه تختلف تمامًا عند تعامله مع "إيرل". قرأ في كتاب استعاره من المكتبة، لأحد خبراء الإدارة من ذوي الخلفية البحرية، أن زرع الروح القتالية في نفوس العاملين أفضل من الحرص على التناغم فيما بينهم. وقرر "بيلي" أن يكون هذا هو أسلوبه مع والده، الذي أنقذه من التسريح، والذي أغدق في وصفه بحميد الصفات لدى صاحب المصنع.

ولطالما كان "بيلي" خائفًا من والده، ولكن طعم الخوف مختلف الآن؛ كان خائفًا من أن يكون والده سببًا في إحراجه وتشويه صورته. هل "إيرل" خبير حقًّا بصناعة الأحذية كما زعم "بيلي"؟ فمنذ أول يوم اضطر فيه أن يعتمد على أبيه، كان يمقت الأساطير التي سمعها منه. إنها الماضي، و"بيلي" هو المستقبل الآن.

يعرف أن "إيرل" يخبئ زجاجات الخمر في المُخيَّم، لذلك يحرص على أن يذهب ليخلي ذلك المكان منها أولًا بأول. وأرسل رسالة إلى "جيم تيري" في بار "درفي" حتى لا يقدم لأبيه إلا زجاجتي بيرة في اليوم.

ويتصل بـ"إيرل" ليوقظه في السابعة إلا الربع من كل صباح. ويمكن القول إنه قرر أن يعمل بنصائح "جاري" في هذا الصدد. أو إنه يريد أن يظهر لـ"جاري" كيف تكون الطريقة الصحيحة للتصرف مع والدهما. كما أنه يريد أن يستغل خبرة "إيرل" وما قد يكون قد تبقَّى لديه من حماس. فيجلس مع والده كل صباح قبل بداية يوم العمل ليتحدث معه ويسمع منه.

يشرح "بيلي" لـ"إيرل" فكرة جديدة خطرت له، فيخبره "إيرل" عن الطريقة السليمة لتنفيذها، ومن ثم يرد "بيلي" بأن هذه الطريقة لم تعد نافعة لأسباب يسردها له، وعندئذٍ يزمجر "إيرل" ويطلب منه ألا يجلس معه بعد الآن طالما أنه لا يسمع له، فيضطر "بيلي" للتظاهر بالحرص على سماع نصائح "إيرل" الثمينة.

"إيرل" خبير في التعامل مع جلود الـ"كوردوفان". ويشعر "إيرل" أنه يمتلك حس الفنان عند التعامل مع أفخم أنواع الجلود والخامات، حتى ولو كان واقع الحال لا يظهر منه كثير من الإنتاج الذي يعكس ذلك الشغف. يجلس إلى مقعده في حماس طالما وجد أمامه كومة من جلود الفرز الأول، وكأن رائحتها تبدد آثار الثمالة من عقله.

وخلال شهر، كان مصنع "نورومبيجا" ينتج أفخر مجموعة من الأحذية ذات الأبزيم؛ أنيقة، ومحكمة حول القدم، وتعكس قيمتها، وبوسعك أن تمشي بها مئات الأميال من دون أن تشعر بأنها تحمي قدميك. وكما وصفها "بيلي"، فجودة الحذاء ومميزاته أعلى بكثير من ثمنه.

هي شراكة بنَّاءة إذًا، الابن الضَّال والأب المُنغمس في ملذَّاته. لم يعد "إيرل" يفهم "بيلي". فهو بالتأكيد لا يثق في أن ما يراه أمامه نموذج ناجح. يشعر أن الولد يمتلك بالفعل قدرات، ولكنه لا يُجيد استغلالها، ويحبه ذلك الحب الذي يُكنُّه بعض الآباء لأبنائهم؛ حب مكتوم غير جيَّاش العاطفة. إنه حريص على ألا يظهر منه شيئًا لابنه، بل هو يتوقَّع له الفشل. وليس ذلك عن ضغينة مضمرة، ولكنه يعرف أنه أمر مكنون في جينات عائلة "هتشينز".

لا يستوعب "إيرل" فكرة أن بوسع تحقيق أي فرد من هذه العائلة نجاح لافت يذكر. أما عن الخمر، فهو يزعم أن بوسعه أن يعيش بها أو من دونها، وأنه غير سكير، ولكن الملل تملك منه فحسب، وأن على الإنسان أن يمتلك ما يمتعه في حياته. ويقول إنه الآن عثر على متعة جديدة. وهو يعترف بأن "بيلي" يضايقه كل يوم. الوغد المتحذلق الصغير يلاحقه بتوجيهاته الممزوجة بتلميحاته، وهو لا يعرف أن أبيه منتبه إلى تلك التلميحات.

ولكن ماذا بوسعه أن يفعل؟ وهو الذي ثرثر كثيرًا في فخر كاذب بابنه من قبل، في بار "درفي"، وفي "هانافورد"، وفي "ماكدونالدز"، حتى صارت "بيلبورت" كلها تعرف أن "بيلي" هو ابنه، وأن جلسات الولد مع أبيه هي لأجل الاستماع إلى نصائحه بشأن كيفية إدارة المصنع.

وهكذا، دار حوار بين "بيلي" و"إيرل"، على منوال ما جرى بينهما من حوارات.

ذات يوم، أتى "إيرل" إلى المصنع متأخرًا في الحادية عشرة صباحًا، وهو لم يفق من سُكره بعد. بادره "بيلي":

- هل تعرف أنك بذلك تدفعني إلى طردك؟ يمكنني أن أطردك بعيدًا من هنا إلى درجة ألا تعرف طريق عودتك إلى هذا المصنع. أنت لا تزال في فترة اختبار يا "إيرل".

- أي حديث أحمق هذا؟ أتهددني؟ أتهدد أباك؟ هيَّا، نفذ تهديدك إذًا. هذا مكان مليء بالأوغاد الجبناء. أتعتقد أنني ألقي له بالًا؟

- بل ستفعل. ستفعل.

كرَّر "إيرل" ساخرًا:

- سأفعل، سأفعل.

- أيها المدمن المسكين.

- أنا على الأقل غير مدمن على أشياء أخرى يمكنني ذكرها.

- بل اذكر ما تشاء يا "إيرل". لديَّ أعمال يتوجَّب عليَّ القيام بها.

- وأنا أيضًا.

- أنا سعيد أنك تذكَّرت ذلك.

- هل يمكن أن تترك لي المجال لأعمل في هدوء؟

- أتمنى لك التوفيق إذًا.

- ولك ذلك يا بني.

- حظ طيب يا "إيرل"، هل تريد عَلَكة؟

- لي الشرف.

- لا تنسَ أنك في فترة الاختبار.

الغضب مثل أمواج البحر.. قمم وقيعان متجاورة.. تعلو ولا تلبث أن تنخفض.. وبين هذا وذاك ما يشبه الفواصل الكوميدية، كأن البحر يسخر من نفسه. وبحلول أبريل، كان المصنع ينتج نوعين من الأحذية ذات الأبزيم؛ نوع من جلود الأبقار الفاخرة ونوع من جلود الـ"كوردوفان"، وينتج كذلك أحذية "بلوتشر" و"بالمورال" والـ"موكاسان"، إضافة إلى أحذية "اللوفر" التقليدية، وأضاف خط إنتاج جديدًا لأحذية بيضاء صيفية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مناخ أدفأ

لم تكُن الثلوج قد ذابت بعد على طرقات وجنبات "بيلبورت"، وقت أن وصل "كيسنجر" إلى مدينة "سانتا فيه" في ولاية "نيومكسيكو" الأمريكية لحضور مؤتمر من تنظيم معهد القيادات الأمريكي، والذي كان موضوعه "كل ما تريد أن تعرفه وتخشى السؤال عنه حول القرن القادم".

حضر كثير من الرؤساء التنفيذيين والمديرين الماليين ومديري العمليات والاستشاريين والخبراء والتنفيذيين الواعدين وسياسيين وبعض الأثرياء المهتمين فعاليات هذا المؤتمر بمقره خارج المدينة في أجواء مشمسة. كانت درجة الحرارة في العشرينيات. جهز "كيسنجر" ورقة بحثية بعنوان "متلازمة الحب أو التخلي". وهو يعني بهذا العنوان مناقشة ما إذا كانت العولمة جبرًا أم اختيارًا. مع أن المنطق يقول إن من المُحتَّم أن يكون هناك فائزون وأن يكون هناك خاسرون. تلك هي طبيعة الأشياء. هل يمكنك أن تذكر أي نشاط إنساني لا يكون فيه هذان الطرفان؟ وسواء أحببت ذلك أم كرهته، فالنصر والهزيمة جزء من لعبة الحياة، وهو الجزء الذي يكسبها إثارتها، حتى وإن رأى الخاسر خلاف ذلك.

ويتعامل "كيسنجر" مع هذه الحقيقة بروح رياضية. وهو يتظاهر بتأييد ما يسمونها "مُتلازمة ولمارت"، والتي تقول إن الموظفين والعمال لا يحصلون على الأجر العادل والضمان الاجتماعي اللازم، ولكنهم في المقابل محاطون بشتى أنواع السلع الرخيصة، وبصورة لم تتوفر لأي جيل من قبل. اليوم، يمكنك شراء شاشة تليفزيونية حديثة فائقة الوضوح بمائتي دولار فحسب، وغير ذلك من المُقتنيات المُدهشة. هناك وفرة كبيرة في كل شيء؛ الشبكة العنكبوتية، والعلاقات الاجتماعية، والتسوُّق، وحتى البورنو.

وخلال كلمته، تحدَّث عن تجربته في مصنع أحذية في "مين". لم يتوقف عندها كثيرًا، ولكنه ذكرها، ثم استطرد يعرض حجته، والتي كان المصنع مجرد برهان على ما استنتجه منها، ألا وهو أن البلاد لم تعد تعرف قيمة الأشياء التي لا تزال تمتلكها. فهي تحط من قدر العملية التعليمية، وفي الوقت نفسه تتوسَّل إلى الطلاب كي ينخرطوا فيها، بدلًا من أن تقدمها في قالب جذَّاب مرغوب ويصعب الوصول إليه. وقلَّلت من قيمة ثقافتها، بالإيحاء أنها تكاد ألا تكون موجودة إلا في بقاع بعينها، أو لدى هذه الجماعة أو تلك؛ حتى أنها أهدرت قيمة ارتباطها بالشعب، بأن جعلت مهمة الحصول على المواطنة والجنسية أصعب من الحصول على رخصة القيادة.

البلاد غارقة في شتَّى صور المُغالاة في الشعور الوطني، والانفعالية، ولافتات التباهي الرخيصة، ولكن أين ذهب التفاخر والتباهي الحق، وأين هي الصرامة في وضع السياسات التقشفية؟ لا بد أن يكون هناك مجال في هذا العالم يتيح لمليارات الفقراء تحسين حياتهم مع استمرار بلدانهم على منوالها الناجح أيضًا. وفي النهاية، صاغ كل أفكاره في مصطلح "حماية الروح". وكان قد سبق له استخدام المصطلح ذاته خلال كلمة ألقاها في إحدى القاعات الجامعية الصغيرة في "نيويورك".

اختتم "كيسنجر" كلمته وسط تصفيق لافت من الحضور، كانت قوته وطول مدته أمر غير معتاد في مؤتمرات من هذا النوع. ومعها تعالت هتافات تأييد. بعدها، أمضى ساعات في فندق إقامته في "كونيتيكت" يجتر فيها تفاصيل أدائه لهذه الكلمة، وكأنه مُؤدٍّ كوميدي يقيم عرضه بعد ليلة ناجحة؛ كان يتذكر الأجزاء التي لاقت أشد استحسان، وتلك التي مرَّت وحسب، وقرر أن يكافئ نفسه على ما أبداه من وعي وضمير حي، فهو مؤمن بكل كلمة قالها. ولا يلقي بالًا لوقع كلمته على مَن سمعها. تبًّا لهم جميعًا. فعلى الرغم من نجاحه في مساعٍ ومجالات عدَّة، فإن "كيسنجر" مُوقن بأنه من النوع الذي لا يُصدِّقه إلا قليلون في هذا العالم.

وخلال فترة تلقي الأسئلة خلال ذاك المؤتمر، سألته سيدة عما إذا كان ينتقد سياسات متجر "ولمارت". كانت سيدة في الأربعينيات من عمرها، ذات شعر داكن، وحاجبين يمنحانها ملامح متوسطية.

تحدث "كيسنجر" ليحاول أن يشرح أنه ليس مع أو ضد تلك السياسات. وبعد الجلسة، اقتربت منه السيدة بمزيد من الأسئلة، وطال بهما النقاش، وتجاوز حدود قاعة المؤتمر، إلا أن صار من المستحيل لمن تابعه أن يحدد إلى أي جانب ينتمي طرفا النقاش، أو ما إذا كان هناك جانبان من الأساس، ولكن النقاش بينهما كان يزداد تشويقًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الكنيسة

كان القس "جون كيجلي" على دراية بما يقوله أهل "بيلبورت" عنه وكيف أنه لا يبدي ذلك الاهتمام لأمر الرَّب. وهو لم يبذل كثيرًا لأجل نفي تلك الشائعات، وهذا إن صح أنها شائعات، فهو نفسه لا يعرف إن كانوا هم على صواب أم خطأ. اعتقاده هو أن هناك بعضًا من مبادئ "هايزنبرج" الفيزيائية ذات صلة فاعلة فيما يتعلق بالمعتقدات والإيمان، حيث إن محاولة السؤال عما إذا كانت تلك المعتقدات صحيحة أم لا تؤثر إلى حد بعيد في الإجابة ذاتها، وعندئذٍ تجد نفسك قريبًا من الإجابة، ولكنك غير متيقن منها.

يخشى أن يكون قد ربط نفسه بعالم الرَّب في سِنٍّ صغيرة أكثر من اللازم. تؤمن بالرَّب منذ أن تكون في السادسة لأنهم أمروك بذلك؛ وتؤمن بالرَّب وأنت في التاسعة لأن عقلك يجد ذلك منطقيًّا؛ وتؤمن بالرَّب وأنت في الخامسة عشرة لأنك لولا ذلك لما احتملت آلام الدنيا. ويكون لديك زمن طويل يتسلَّل منه الشك.

أليس من الأفضل أن يأتي الإيمان في سِنٍّ متأخرة؟ وقت ألا يكون هناك زمن كافٍ لفتح باب الشك، تمامًا كما هو حال بعض الفرق الرياضية التي لا تلعب بجد إلا مع اقتراب وقت المباراة من نهايته، أو فرقة عسكرية تشنُّ هجومها في توقيت تعرف أن التعب والإنهاك قد نالا فيه من العدو ما نالا؟ ثم أنه يرى أنه قد ظُلم في هذه الحسبة. لقد أفنى قرابة الاثني عشر عامًا في الصلوات. أليس من العدل أن يعقب تلك السنين ما يساويها من حياة دنيوية؟ لن ينسى الرَّب أنه قد صلى لأجله. والآن يريد الرَّب منه أن يفعل شيئًا. كان ذلك حدس "كيجلي"، ولكنه يرى أن كل شيء حدس. لا يزال شابًّا، يحمل الإنجيل في يد، وفي الأخرى يحمل "كارل ماركس".

هل تحوَّلت الريبة والشك لدى "كيجلي" إلى إحساس بالمتعة الحرام، مثل تلك التمثيليات في "ذا بشيدي ليدي"؟ وصلت إليه نسخة كتاب رأس المال في الكنيسة، داخل المُغلَّف البني الذي يميز طرود شركة "أمازون". أهذه محاولة محمومة أخرى لكي يكون في العالم، وليس على هامشه، ومن أين له أن يعرف ما يحتاجه العالم إلا من خلال هذه الطريقة؟ يمكنك أن تقول إنه توَّاق إلى كل ما هو غامض مُحيِّر، بينما يرقد في الفراش ليلًا و"ماريلو" تعمل بالخارج، ليكتب الأسئلة تلو الأخرى، إلا التي لم يبقَ مكان لها في هوامش الكتب، ليس لشيء سوى لأنه يريد أن يفهم تلك الحتمية العلمية التي تقضي بأن رعية كنيسته ما هم إلا حفنة من المُغيَّبين.

يشعر أن هذه هي حقيقة ما يجري. ألن يكون هناك مزيد من تسريح العاملين مع أول أزمة جديدة؟ يعتقد "كيجلي" أن المسألة مسألة وقت، ومن ثم عليه أن يعرف ما يفعله في ذلك الحين. لا يفهم رعيته ما إذا كان الحل في "ضارب الإنجيل"، أو رامي القنبلة. وكذلك حال "كيجلي" نفسه. إنه لا يريد سوى أن يتحقق شيء من العدل، أن يشهد فعل الرَّب وهو يتحقَّق في هؤلاء معدومي الحيلة الذي قُدِّر له أن يكون مسؤولًا عنهم على مدار عامين ونصف العام. هل يحبهم، كما أمره الرَّب أن يفعل؟ إنه لن يفكر في ذلك الآن.

عندما انتهى شهر أبريل ولم يُستدعَ العمال الذين تم تسريحهم، دعا القس "كيجلي" أهل البلدة إلى اجتماع.

حدَّد له مساء الأربعاء، أملًا في أن يلحق بالخمسين أو المائة الذين اعتادوا الحضور ثُلَّة من أولئك الأقل تقوى. كلَّا، لن يفكر فيهم بهذه الطريقة الساخرة. ربما لا يرتادون الكنيسة، ولكنهم قد يكونون مؤمنين بالرَّب بطريقة أو بأخرى. علَّق لافتات تُنوِّه إلى الاجتماع في أعمدة الإنارة، وداخل مطعم "بيتزا رالفي"، كما نشر إعلانًا في الصحيفة المحلية، وأطلق اسمًا على ذلك الاجتماع: "حتى نكون مُستعدِّين في المرَّة القادمة".

هكذا، وجد أمامه حشدًا كبيرًا للغاية، ضجَّ به المكان. لقد طرب قلبه للمشهد. الناس مهتمون لأمر المصنع حقًّا. وقد يقول قائل هنا لأنهم لا يمتلكون سواه.

كأننا عشية الكريسماس، ولكن من دون الترانيم والوجنات الباردة. ها هي "مارثا هتشينز" وبقيَّة العاملات في قسم الخياطة. وقسم التقطيع بالكامل موجود. وكذلك المُسرَّحون، عدا "ميكي مايلز"، الذي فضَّل "بيرتون" ألا يحضره، خشية أن يثير جلبة، أو أن يزداد اكتئابه. لا يزالون يحاولون إخراجه من تلك الحالة.

وكذلك لم يحضر "جاري هتشينز"، الذي يرى في هذا الاجتماع مضيعة للوقت، ويعتقد أن القس يحاول تكوين ما يشبه التنظيم النقابي. "جاري" لا يعترض على العمل النقابي من حيث المبدأ، ولكنه يعتبره غير مُلائم لظروف وأهل هذه البلدة، فهم ليسوا بحاجة إلى مافيا تُملي شروطها وما يتوجَّب عليهم القيام به، ناهيك عن الأعمال القذرة التي قد تقوم بها في الخفاء.

فكَّر "كيجلي" كثيرًا في خيار ارتداء ياقة القس البيضاء في تلك الليلة، مثل صبي يقف محتارًا أمام المرآة؛ هل يظهر بهيئة المسؤول أم يبدو مثل صديق

لهم؟ في النهاية اختار الأمرين، وارتدى الجينز والياقة البيضاء، ليُرضي الرَّب وعبيده.

يريد أن يؤكد لنفسه دوره في هذه الدنيا. هل يعجب الجالسون أمامه بخياره هذا؟ لا يريد أن يرتكب خطأ تفسير هدوئهم بكونه سلبية وخمولًا. هو بالأحرى لا يعرف معناه. وقف وبين يديه كتاب، وقبضتاه تمسكان بجانبي المنبر وكأنه يستعد لأن يستخدمه سلاحًا في مواجهة أي هجوم، وهو يفكر لحظتها بأن أهل "بيلبورت" الماثلين أمامه كيان من طاقة سلبية.

- صباح الخير.

كانت بداية خاطئة، ولكنها أذابت الجليد. كانت ابتسامته باهتة مُحرجة.

- معذرة، ظننت أننا صباح الأحد. مساء الخير.

تفاجأ بتمتمات وصيحات "مساء الخير" من الجميع. يبدو أن بعض الوجوه الجديدة قد سألت عن أصول وقواعد الحضور إلى هذا المكان من قبل أن تأتي. خطر له أنه ربما يكون الأمر مماثلًا لتلك الاجتماعات التي يحضرها مُدمنو الخمر، ولكنه سرعان ما بدد هذا الخاطر. كان أول ما يريد أن يؤكده أن هذا الاجتماع بعيد عن كونه نقابي الطابع، كما تبادر إليه من بعض أهل البلدة. ومن ثم انتقل إلى نقاط الاجتماع؛ التسريح، وتوقُّعات عودة العمال، والخطط لمواجهة موجة التسريح المقبلة. لم يستحوذ على اهتمام الكل فعليًّا إلا حينما وصل إلى السبب الأساسي وراء الدعوة لعقد هذا الاجتماع، الذي يعتقد أن الناس سيجدونه غير عادي، ولكننا نعيش أيامًا غير عادية. عدَّل من وضع نظارته القديمة فوق أنفه المتعرقة، وهو يقول:

- سمعت أن رئيس المصنع يحب مقولة "الكل في واحد، وواحد للكل". أتعلمون؟ أعتقد أنه على حق. ماذا عن موجة التسريح التالية، وبدلًا من أن نخسر الناس نتوجه إلى صاحبنا هذا ونقترح عليه أن يستوعب المصنع الجميع، بحيث يعمل كل واحد ما يقدر عليه، بضع ساعات، أو ساعتين، أو ثلاث؛ ما يراه ضروريًّا وعادلًا، بدلًا من التسريح؟

لما سمع "كيجلي" كلماته بصوت عالٍ لأول مرَّة، وجدها غارقة في اليأس وانعدام الحيل على الرغم من النيَّات الطيبة. شعر بالخجل منها، وودَّ لو أنه سكت. أشد ما أدهشه أنه استخدم كلمة "عادلًا". بدا الكلام مثل اعتراف وإقرار. مَن يهتم إن كانت تضحيتهم عادلة أم لا طالما أن أهله سيحصلون على شيء ولو مرَّة واحدة؟ كما تساءل عن عدم مُناداته "فالون" باسمه الأول.

كانت الوجوه المائة والخمسون أمامه تبدو بلا تعبيرات، خاصة عندما انتهى من كلمته. إلى أن وقف "بيرتون مايلز"، بعد ما قد يكون بسبب مداولات مع مَن هم بجواره أو رغبةً منه في لفت الأنظار، وقال إنه سمع شيئًا كهذا يحدث في ألمانيا، وإنهم بخير حال هناك. وسمع "كارل إسبوزيتو" بموقف مماثل في مصنع لتجميع أجهزة البوتاجاز، حيث يعمل ابن عمه في "ماساتشوستس". وأرادت "بيج إيتون" أن تعرف لماذا يتطلعون إلى المستقبل فقط، ولماذا لا يقدمون الترتيب نفسه في الوقت الراهن، وأن يحاولوا إعادة "ماري فرانسيس" و"كارل" نفسه و"تشارلي" و"دوت" وغيرهم إلى المصنع.

كانت المعجزة الصغيرة في نظر "جون كيجلي" هي أن أحدًا لم يعارض فكرته، ولا تعديل "بيج" الذي اقترحته عليها. هذه بلدة يمكنك أن تجد فيها أي شخص يُعارض أي شيء، وحيث يستمر اجتماعها السنوي المُعتاد حتى الثانية أو الثالثة فجرًا بسبب جدال حول ما إذا كان يجب قطع الشجيرات أمام مكتب البريد لمسافة قدم أو قدم ونصف القدم. ومع ذلك، لم يقل أحد لـ"كيجلي" إنه مقتنع تمامًا. فما الخطأ هنا؟ هل من الممكن أن تكون فكرته جيدة حقًّا، أم أنهم يشعرون باليأس لدرجة أنهم يستمعون إلى أي شيء وحسب؟

لذلك، ذكَّر الجميع بحذر بأنه في حالة تنفيذ مثل هذه الخطة فعليًّا، سيجد كل واحد منهم نفسه أمام قدر من التخفيض في أجره، على الأقل، على المدى القصير أو المتوسط حتى تتحسَّن الظروف الاقتصادية، وهو أمر لا بد لهم أن يحددوا معالمه حتى لا يتركوا فرصة للشركة كي تدَّعي الفقر إلى الأبد.

وتساءل "دوتي بودين" عن نسبة ذلك التخفيض في الأجور. فاعترف "كيجلي" بأنه لا يعرف، لكنه يتصور أن ذلك قد يكون في حدود عشرة في المائة، بما أن مَن تم تسريحهم يمثلون عشرة في المائة من العمال. كان "بيرتون مايلز" مؤيدًا على الفور للخطة، حيث تعد بمساعدة لـ"ميكي"، وقال إن من الممكن أن يكون خفض الأجور أقل من ذلك، إذا كان متوسط أجر مَن تم تسريحهم أقل إلى حد ما من إجمالي أجور العمال ككل.

ثم ألقى "كيجلي" كلمة متحمِّسة إلى حد ما حول قيم المجتمع، وأن يعتصم الجميع بحبل الرَّب ويشدوا من أزر بعضهم بعضًا. بدت الكلمة غير ضرورية حتى بالنسبة له، وأشبه بخطاب سياسي زائف، ولكنه عندما دعا إلى إجراء تصويت، حول مسألة ما إذا كان ينبغي تشكيل وفد من المجتمعين يتوجه إلى إدارة "نورومبيجا" بالاقتراحات، جاءت النسبة أربعة موافقين لكل رافض

واحد. وفي ظل قُوَّة وعُنفوان صيحات التأييد، أحس "كيجلي" أنه لم يسمع يأسًا هذه المرَّة.

عقب ذلك، بدؤوا يتناقشون حول مزيد من التفاصيل؛ الإستراتيجية، وأعضاء الوفد، وتوقيت الزيارة. وعندئذٍ عاد أهل البلدة إلى عادتهم القديمة، ودام النقاش ساعةً ونصف الساعة. تمحور قدر كبير من النقاش حول ما إذا كان ينبغي أن تكون "دوت ويلر" ضمن أعضاء الوفد، فالمشكلة هي أن "دوت" تطوَّعت بنفسها، وهي من بين المُسرَّحين، ولكن الكثيرين ينظرون إليها على أنها بلهاء، ولم يكونوا يبالون بأن يقولوا لها ذلك في وجهها.

وأخيرًا، ذكَّرت "مارج دوشامب" "دوت" بأنها، بقلبها اللطيف الكبير، تميل إلى الإفراط في الانفعال، ومن ثم تفجير فيضان الدموع، في مواقف لا تناسب ذلك تمامًا، وعددت لها "مارج" بعضًا منها، كما أن الوفد يضم بالفعل سبعة أعضاء. ولذلك، ولأسباب غير منطقية أو مقنعة أبدًا، أخبرتها أن وفدًا من ثمانية سيكون كثيرًا جدًّا.

وافق "تيم فالون" على عقد الاجتماع. وطرب قلب القس وبعض من أعضاء الوفد، كما لو أنهم فازوا بالجولة الأولى. وهكذا، تم إحضار مزيد من الكراسي إلى قاعة اجتماعات "نورومبيجا"، التي صارت تستخدم كثيرًا في الأشهر الأربعة الماضية لدرجة فاقت ما جرى فيها من اجتماعات على مدار سنوات طويلة.

يمثل الشركة "فالون" و"مارك برين" و"شون بيريك". بدأ "فالون" بأن رحَّب بهم وأخبرهم أنه كله آذان صاغية. تحدث كل من "كيجلي"، و"بيرت مايلز"، و"بيج إيتون"، حيث عرضوا خطة الحل الوسط، مع وضع شروط، منها أن الموافقة على تنفيذ الخطة تستدعي تصويت جميع العاملين، وموافقة ثمانين في المائة منهم على الأقل قبل الشروع في إجراء أي شيء. وعلى سبيل إضفاء الطابع الشخصي، استرسل "بيرتون" في رسم صورة مؤثرة ومثيرة لما يمكن أن يؤديه فقدان الوظيفة وتأثير ذلك على أي ابن. وكأننا أمام بطل مشهد تراجيدي في عرض يقدم في حفل لجمع تبرعات؛ كلما كنت أمام مأساة، زادت فرص أن تجمع أموالًا أكثر.

شكرهم "فالون" على ما طرحوه، وأعرب عن تقديره لإخلاصهم وجهدهم واهتمامهم. وقال إنه سيرجع إلى الإدارة القانونية للتأكد من سلامة الخطة، ولكنه واثق من وجود عديد من العقبات القانونية أمام ما تم اقتراحه. ثم أعرب المدير المالي، "برين"، بالمثل عن تقديره لمبادرة الوفد، ولكنه لسوء الحظ؛ وكم يخشى القس "كيجلي عبارة "لسوء الحظ" هذه، والتي في سياقات مثل هذه تمثل المكافئ اللفظي لـ"الموت"، يجد نفسه مضطرًا

لإخبارهم أن التوفير في الميزانية بموجب اقتراحهم لن يكون على النحو الذي يتصورونه، وأن تسريح العمال قد تم، مثله مثل كل الإجراءات المؤسفة، ولكنها ضرورية، لتحقيق أقصى تأثير تكتيكي، وأن المسألة أكبر من مجرد توفير دولار هنا وسنتات هناك، على الرغم من أن الدولارات والسنتات - وهنا ابتسم ابتسامة يصعب معها تحديد ما إذا كانت عريضة أو هي خجولة - كانت دائمًا عاملًا مهمًّا.

كان "شون بيريك" أكثر صراحة من زميليه. فهو من أبناء "بيلبورت" وعليه أن يتحدث مع أهله بوضوح، إنهم يريدون الحقائق. لقد توجَّب على مصنع "نورومبيجا" تنظيف البيت من الداخل. فمَن تم تسريحه كان من الضروري والحتمي تسريحه. ومن دون تسمية أسماء، لا يمكنك إدارة شركة على النحو الذي تدير به مكتب شئون اجتماعية، أو مركز تأهيل مُتحدِّي إعاقة. كان حريصًا على ألا يذكر أي أسماء بعينها، حتى لا يعطيهم فرصة ليخرجوا به عن سياق حديثه. ربما كانت تلك السياسة تصلح أيام زمان، على أساس من حُسن النية والود، ولكن ليس في هذا العصر.

عندما انتهى كل مَن في القاعة من طرح ما لديه، أدركوا جميعًا أنهم محلك سر، ونهض الوفد وغادر القاعة في صمت. يعرف "شون" أن المرارة في حلوقهم هي التي تمنعهم من ترديد عبارات الشكر المجاملة ولو على موافقتهم على عقد هذا الاجتماع وسماع قضيتهم.

وبناءً على تعليمات "كيسنجر"، تم إبعاد "بيلي هتشينز" عن هذا الاجتماع. حتى أن اسمه لم يذكر قط. وكان هذا لأجل الحفاظ على وضعه الخاص، ولكي يبقى ورقة رابحة يمكن استخدامها عند الحاجة. أدرك "كيسنجر" أنه سيكون هدف كراهية سهلًا للغاية. ويعتقد "كيسنجر" أن الكراهية، والخلاف، والعداوة معاول هدم تصوره لتحقيق النجاح في مصنع الأحذية القديم القابع على ساحل "مين".

وتساءل "جون كيجلي" في مرارة وهو عائد إلى المنزل "لماذا أهتم لهذا الأمر من الأساس إن كانت النتيجة هي تزايد آلام القرحة؟". وهناك، تناول كتاب "رأس المال" من على الرَّف، ولكنه لم يقرأ سوى بضع صفحات؛ من صفحة ستمائة واثنتين وسبعين إلى ستمائة وخمس وسبعين تحديدًا، ولم يفهم المحتوى هذه المرَّة على النحو الذي اعتاده في جميع الأوقات السابقة.

ليس هناك أي عزاء كافٍ ليُنسيه خذلانه الناس.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المُتسوِّقة

لو تحدَّثنا عن الملابس، لقُلنا إن "جاري" لم يشترِ أبدًا أي شيء لنفسه بنفسه سوى قفَّازات العمل، وبالتالي كان على "مارثا" الاعتناء باحتياجاته. وكذلك تحديد تلك الاحتياجات، والاحتياجات في هذه الحالة هي الملابس الداخلية. فهي لو تركت هذا الأمر لـ"جاري"، لاستمر في ارتداء تلك التي اهترأت وامتلأت بالثقوب من كثرة الغسيل، أو التي فسد رباطها المطاطي، ولولا البنطال والحزام لسقط الشورت الداخلي حتى رُكبتيه.

تتذكَّر "مارثا" أن المجتمع المُتحضِّر قديمًا كان يُنبِّه على عدم ارتداء ملابس داخلية قذرة، وذلك لأنك لا تعرف أبدًا ما إذا كان اليوم هو يوم وفاتك. كم هو مرعب حقًّا أن تموت في الشارع بملابس داخلية غير مُلائمة تصبح حكاية يسردها الناس. ولا يعني هذا أن "مارثا" كانت من الطبقة البرجوازية، ولكنها تمتلك دائمًا من الطموحات والتطلعات التي تتبدَّى في تصرفاتها ومواقفها وأفكارها، وقد اكتسبتها عبر حياتها أو ورثتها عن غيرها.

كان آل "بيرس" أشخاصًا محترمين، بغض النظر عن طبيعة عملهم أو مقدار ثروتهم. ولطالما شعروا دائمًا أنهم أرقى نوعًا ما من آل "هتشينز"، نظرًا لعدد القساوسة في العائلة، خاصة في القرن التاسع عشر.

تحتفظ "مارثا" ببورتريه لأحدهم؛ القس "توماس بيرس"، في خزانة في الطابق الأرضي. لم تعلقها على الحائط ليراها الجميع لأن اللوحة كانت في منزل والديها، تميزها لمعة باردة تضفي على صاحبها هالة من القداسة، وتعزز من تعبيرات وجهه الوجلة، وتذكِّرها كثيرًا بوفاة والدتها في سِنٍّ مُبكِّرة بسبب السرطان. وكأنما رأى القس المستقبل فخاف منه؛ هكذا كانت "مارثا" تفسر الصورة مداعبةً، في محاولة لتجاهل ذلك الانطباع الذي دام طويلًا.

تحب "مارثا" التَّسوُّق في متجر "بانجور تارجت"، على الرغم من أنها تتضايق من اللكنة الفرنسية المريبة للاسم الذي يردده الجميع، وخاصة "دون سميث" و"جينج ريتشاردز"، وكأن في ذلك تلطُّفًا وبراعة.

تعتقد "مارثا" أنه فرنسي كندي على أي حال. وهي تعتقد أن كل شيء فرنسي في "بيلبورت" أصله من "كيبك" الكندية، تمامًا كما هو الحال مع الوغد زوج "مارج دوشامب"، الذي تركها منذ أمد هي وصغيريها وأجرًا زهيدًا واسمًا يفشل الكل في نطقه بطريقة صحيحة، أو هم لا يهتمون لذلك. ويجسد متجر "تارجت" في عقل "مارثا" معاني رغد العيش، بممرات نظيفة

وأجواء لامعة وشعاره الذي أبدعوا في تصميمه حتى صار يسهل تمييزه حتى وأنت في الطريق السريع، فتدرك على الفور أنك على مقربة من شيء مألوف.

وتتحيَّن "مارثا" أي فرصة للحديث عن عظمة "تارجت" وأنه أفضل بكثير من "ولمارت". وما إن تقبض هي و"جاري" المرتب حتى ترغب في إنفاق القليل منه هناك، حيث تتساوى في "تارجت" مع أي غني، فهو لا يحتوي إلا على الأشياء ذات الجودة والقيمة والعلامات التجارية الشهيرة التي لا تراها في المعتاد إلا على صفحات المجلات، ومنها على سبيل المثال طقم الشاي الإيطالي التي لا تزال لا تمتلك ثمنه، ولكنه يبدو وكأنه خرج من صالون راقٍ في فيلم إيطالي.

تتخيَّل "مارثا" في بعض الأحيان نفسها وهي تشارك في إعلان داخل المتجر، أو طرفًا في مقابلة تليفزيونية تتحدث عنه. يقتربون منها في المتجر بكل معداتهم وأسلاك الكاميرات فتقول لهم الحقيقة، عن اقتناع تام بأنها ستظهر على شاشات التليفزيون. لم تكُن "مارثا" من النوع الشكَّاء المُستاء، فهي أبعد ما تكون عن ذلك، ولكن ماذا عن الشورت الداخلي؟ كادت تنساه وسط كل ما تراه وما تتجول خلاله وما تفكر فيه. كانت جولة صباح السبت الاستكشافية، بينما "جاري" في جراج المنزل.

اتخذت "مارثا" قرارها سريعًا عندما وصلت إلى قسم الملابس الداخلية الرجالي. تعمَّدت الابتعاد عن الموديلات الضيقة، حتى ولو كانت ماركة أو على الموضة. من قبل، ابتاعت هذا النوع الضيق الذي يسمونه الـ"جوكيز"، وارتداه "جاري" يومًا واحدًا، ولم يعجبه، وكان عليها أن تتخلَّص منها كلها. راحت إلى "البوكسرات"؛ تفصيلها معقول الاتساع، وألوان هادئة، وخمسة وستون في المائة قطن. تبقَّى أن تحدد المقاس؛ هل هو "إكس لارج" أم "إكس إكس لارج". مقاس "جاري" وسط بين هذين المقاسين، وبالتالي فإن "الإكس لارج" قد يضايقه قليلًا، ولكن "الإكس إكس لارج" واسع عليه بدرجة ملحوظة. اختارت المقاس الأقل، على أمل أن يفقد "جاري" بعضًا من وزنه. الآن، عليها أن تحدد الألوان الأنسب وخاصَّةً أن كل علبة بها ثلاثة "بوكسرات"، وكل علبة مختلفة في ألوانها عن الأخرى.

كانت "مارثا" في السابق تقضي في الاختيارات وقتًا أطولَ، لأنها لم تكُن معتادة على مثل هذه المُشتريات، ولأنها لم تكُن قد أحاطت بعد بذوق "جاري"، ولكنها اليوم تعرف أن عليها فقط أن تتجنب اختيار تلك التي تحمل رسومات مُبالغًا فيها، أو كرتونية. وعندما وجدت علبة فيها من بين الثلاثة "بوكسر" لونه أزرق سادة، وآخر مخططًا بالأزرق والأخضر، والثالث أحمر

كاروهات، شعرت أنها مناسبة لشخص محب لسباقات السيارات، وبادرت بإلقائها في عربة التَّسوُّق ومضت إلى بقية أرجاء المتجر، لتتعرف على ما فيه من جديد. ولكنها وصلت إلى "الكاشير" في نهاية المطاف، وليس في عربتها سوى علبة "البوكسرات". ربما هي حقيقة أن الهدف في الآخر أهم من الرحلة، أو أن ذلك الهدف هو ما منح "مارثا" فرصة الرحلة. قرأت في الثانوية قصيدة تحمل هذا المعنى، أو شيئًا من هذا القبيل.

وصلت إلى موقف السَّيَّارات وهي واجمة. الشمس قاسية اليوم، وهي الآن لا تعرف كيف تقضي بقية النهار. و"جاري" في الجراج. و"جيروم" في مكان ما. لا تعرف ما إذا كانت جائعة، أو إذا ما كان في وسعها التوقُّف للغداء في أي مطعم. لا تتذكَّر أنهم بحاجة إلى أي شيء من "هانافورد" حتى تذهب إليه الآن.

راودتها رغبة في العودة للمتجر لأجل أن تبقى بداخله وحسب. وفجأة، ولسبب خفي، تذكَّرت كلمات قالها صاحب المصنع، السيد "كيسنجر"، وقت أن حضر إلى "ماكدونالدز" وكانوا جميعًا هناك، وسأله "بيرت" عن أحوال المصنع.. "نحن على الدَّرب الصحيح"؛ هذا ما قاله.. "نحن على الدَّرب الصحيح". وفي اليوم التالي، سمعوا أخبار التسريح. أكانت كذبة؟ ولكن السيد "كيسنجر" لا يكذب. وعبارة كهذه قد تحمل عديد من المعاني. أي مسافة قطعوها من هذا الدَّرب الصحيح إذًا؟ ربما لا يزال الطريق طويلًا، مَن يدري؟ ربما هم لم يقطعوا سوى خطوات بسيطة. أو ربما كان السبيل الوحيد للمُضيِّ قُدُمًا في ذلك الدَّرب هو تسريح مجموعة من العمال. ألف تفسير لتلك العبارة.

شعرت "مارثا" أنها ضعيفة بلا حيلة، وكأنها تخشى لو سارت نحو سيَّارتها أن تباغتها سيَّارة مُسرعة من دون أن تنتبه لها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جنون

المنطق موجود دائمًا. ما دامت هناك فكرة فهنالك المنطق. والمنطق في حالة "ميكي مايلز" كالتالي؛ حتى مجيء الفتى الجديد كان الكل يحبه، وعندما جاء الفتى الجديد وجد نفسه في الشارع؛ وبما أن الكل لا يزال يحبه، إذًا يكون الفتى الجديد هو السبب.

أو ربما يكون المنطق على النحو التالي؛ إنه أفضل عامل رصٍّ كراتين؛ والكراتين بحاجة إلى مَن يرصُّها؛ وإذا ما سرَّحوا أفضل عامل رصٍّ كراتين وما زالت هناك كراتين بحاجة إلى مَن يرصُّها، إذًا هناك خطأ؛ وبما أن هناك خطأ، إذًا لا بد من تصويب الخطأ. أو ربما يكون المنطق على النحو التالي؛ إن اسم الفتى الجديد هو "بيلي"؛ وبما أن اسم الفتى الجديد هو "بيلي" وتم تسريحه بسبب الفتى الجديد، فإن مَن عليه أن يكرهه هو "بيلي".

أو ربما يكون المنطق على النحو التالي؛ إذا كان المعتوهان اثنين، وكان هو واحدًا منهما، فإنه الثاني أيضًا. أو بما أن "بيلي" هو الفتى الجديد، فهو المعتوه إذًا، وليس هناك غيره. أو إذا كان كل شيء جيدًا؛ وصار كل شيء سيئًا؛ وبما أن كل شيء سيئ الآن، إذًا "ميكي" سيئ الآن هو أيضًا.

ليس الأمر أن "ميكي" تنقصه الأفكار. ولكنها تعتمل في عقله بسُرعة شديدة حتى عجز عن الإحاطة بها، وبالكاد يتلمَّسها. إنه ليس سريعًا بما فيه الكفاية. كأنك تقبض على فراشات. و"ميكي" يحب الفراشات. إن أمسكت بواحدة، فإنها تصير صديقتك، ويكون بوسعك النظر إليها للأبد. هذا ما يعتقده "ميكي"، على الرغم من أنه لم يمسك بواحدة من قبل، فهو يراقبها من حوله ويراها تحطُّ على أشياء، ولكنها سرعان ما تهرب عند أول بادرة منه للإمساك بها.

أما بالنسبة للآنسة "فيلان"، التي يلتقيها الآن مرَّتين في الأسبوع، فلها أسلوبها الخاص كما أنها متقلبة المزاج من يوم لآخر. لماذا شعرها أحمر؟ وما الذي تقوله؟ أسئلتها مثل المياه، تتدفَّق في كل مكان. وأي جانب تدعم؟ يذهب إليها مرَّتين في الأسبوع، بينما لا تجد الكراتين مَن يرصُّها. وهل تغيَّر أي شيء؟ هل أعادوا أفضل مَن يرصُّ الكراتين حتى يصححوا خطأهم؟ هناك مباريات تنتصر فيها، وهناك أخرى تخسرها. علمه أبوه هذا. ولكن، هل هذه مباراة؟ هل هذا هو الرأي نفسه للآنسة "فيلان"؟ ومتى يتم رصُّ الكراتين؟ أخبرته أنهم يقومون برصِّها. مَن يقوم بذلك في رأيها؟

يمكنك أن تقول إن هذا ما كان يواجهه. أفكار مثل أسراب النحل؛ عديدة وكثيفة وكأنها غمامة سوداء، ولا قبل لـ"ميكي" بها. حاول مرَّة أن يهرب منها، بأن دسَّ إصبعيه في أذنيه، وأخذ يركض ويتقافز في جنون، حتى نادته أُمُّه.

لكن ماذا تتوقَّع منه أن يفعل أمام أسراب النحل؟ الشيء نفسه مع الألعاب التي لعبها. يقولون لك أن تفعل شيئًا، وعندما تفعله تجدهم يطلبون منك شيئًا آخرَ. لا يمكنك أبدًا أن تواكبهم. تلعب فقط. لذلك لعِب. ينبغي أن يعطوه نجمة. وعندما أعطوه نجمة، كان ينبغي أن يعطوه مزيدًا من النجوم. هذا منطق أيضًا.

كان غاضبًا جدًّا من الآنسة "فيلان" بسبب شعرها الأحمر، لكنه كان أشد غضبًا من الفتى الجديد "بيلي"، الذي حرمه من رصِّ الكراتين. الآنسة "فيلان" لطيفة حتى لو كان غاضبًا جدًّا منها، ولكن الفتى الجديد لم يكُن لطيفًا. لا علاقة للآنسة "فيلان" بالكراتين باستثناء ما قالته، ولم يغير شيئًا، لكنها ستكون في أمان، لأنه أحبها، وأحب شعرها الأحمر بعد ذلك، لكن الفتى الجديد غير اللطيف "بيلي" لن يكون في أمان. كان هذا استنتاجه. وكان هذا منطقًا أيضًا.

استخدم كلماتك، "ميكي". أي كلمات؟ هذا منطق يا معتوه.

في الثلاثين من أبريل، جهَّز "ميكي" درَّاجته تمامًا. شحَّم وزيَّت أجزاءها. علَّق البندقية على المقود، وبها رصاصة، يعتبرها الرصاصة السحرية، ولهذا لم يحشُ البندقية بغيرها. هذا جنون. لا يمكنك التخطيط لأمر كهذا. الأمر أشبه بالخروج لاصطياد دُب. وما الذي في يده ليفعله غير ذلك؟ لقد فعل كل شيء آخر. فعل ما طلبه منه أبوه، وما طلبته منه أُمُّه، وما أخبرته به الآنسة "فيلان"، وما تعلمه من الألعاب، وما أخبرته به الفراشة. فعل كل شيء. وعلى الرغم من ذلك، بقي هو المعتوه، ولا أحد غيره.

انطلق بدرَّاجته نحو بوَّابة المصنع والبندقية مُعلَّقة أمامه. لم يكُن هناك أحد. الساعة تجاوزت العاشرة صباحًا بقليل، والسماء بدأت تُمطر رذاذًا. لو أن في عقل "ميكي" أي أفكار فإنها من النوع الذي لا يودُّ أن يخبر بها نفسه. هناك بوَّابة تدخل منها إلى موقف السيارات، ومنه إلى المصنع.. "بوب هيدلي" هو مسؤول البوَّابة. هذه هي وظيفته منذ أربع وعشرين سنة. رأى "ميكي"، ورأى البندقية.

- مرحبًا، "ميكي"، ما الذي تفعله هنا؟

- لا شيء.

- وماذا تفعل بهذه البندقية؟ هل أنت خارج للصيد اليوم يا "ميكي"؟

- كلَّا، لا شيء.

كانت هذه هي إجابته عن السؤالين.

لاحظ "بوب" ثقلًا في عيني "ميكي"، كأنه أفرط في النوم، أو أنه لم يَنَم من الأساس. استغرب "بوب" ذلك، وهو الذي يتذكَّر جيدًا تلك اللمعة في هاتين العينين بالذات، وكيف أن الناس يقولون إن إسعاد "ميكي" من أهون الأمور.

- تريد أن تلتقي أباك؟

- كلَّا.

فضَّل "بوب" استدعاء "بيرتون" في كل الأحوال، ولذلك التقط السماعة. كان نظام الاتصال الداخلي قديمًا، ويستغرق بضع ثوانٍ قبل تحويل المكالمة.

مرَّ "ميكي" بمواقف مثل هذه، حيث يشعر بسوء الأمور، لذلك، بادر بفعل ما يفعله دائمًا أي بطل يواجه خطرًا، أو ليس لديه سوى فرصة ضئيلة لإنقاذ محبوبته في عالم بعيد. ترجَّل عن درَّاجته، وفي يده البندقية.

خاطبه "بوب" بلُطف، وهو يضع السَّمَّاعة فوق المكتب ببُطءٍ. وقبضت يده على مسدسه، الذي لم يسحبه من مكانه طيلة أربع وعشرين سنة.

- "ميكي"، اهدأ.

لاحظ "ميكي" الخطر المحدق بخططه. تمنَّى الآن لو أن في البندقية أكثر من رصاصة سحرية. فتَّش بيده الأخرى في جيبه بحثًا عن واحدة. تمتم بكلمات بالكاد مسموعة: "الفتى الجديد"، و"حديقة الحيوان". وبينما هو مُستغرق في توتُّره، خرج "بوب" من كشك الحراسة، ليبعد البندقية من يد الفتى ويُنحِّيها جانبًا، ومن ثم يطلب منه أن يعود إلى منزله إلى أن يأتيه أبوه.

أخرج "ميكي" يده من جيبه، ورفع بندقيته في وجه "بوب هيدلي"، الذي فزع، وأطلق الرصاص. كانت رصاصة واحدة فحسب؛ رصاصة سحرية.

التقط "بيرتون مايلز" السَّمَّاعة في قسم الشحن في اللحظة ذاتها التي دوَّى فيها صوت الطلق الناري عبر الأسلاك.

عزاء

ارتدى "جون كيجلي" زيَّه الديني وهو يستقبل السيدة الوجلة التي جاءته مُتَّشحة بالسَّواد وقد غطَّت رأسها.

- كم أنا مُمتنَّة لرؤيتك أيها القس المُبجَّل!

- لا عليكِ، فأنا هنا لأجل ذلك.

- أقصد بهذه السُّرعة.

- ولو بهذه السُّرعة.

- أليس في ذلك تعب عليك؟ الأولاد في المدرسة؟

- ليس لديَّ أولاد.

- وزوجتك؟

- ليس لديَّ زوجة. كيف لي أن أساعدكِ؟

- بعد أن وصلت إلى هنا وجدتني لا أعرف ما أريده.

- أنا لست هنا لأحكم عليكِ.

- لا أدري إن كان هذا من الصَّواب.

- ليس في الاعتراف بالإثم صواب أو خطأ.

- ولكن ماذا لو أنه إثم فظيع؟

- أخبريني، هذا أفضل.

- ألن تسخط لما ستسمعه؟

- لا أفهمكِ.

- أنا أهوى الرجال الذين يرتدون الأسود.

- أتفهم هذا، فهو لون الموضة الدائمة.

- وكذلك هذه الياقة.

- ياقتي؟

- ما إن أرى واحدة حول رقبة رجل مثلك حتى أجنُّ، وأتوق إلى أن أجذبك نحوي وأُقبِّلك وألثم جسدك بشفتيَّ من رأسك حتى الأسفل، وأخرج عضوك من بنطالك الأسود وأُقبِّله قبل أن أُدخله فمي، و... هذا هو إثمي، أيها القس المُبجَّل، وأنا أعترف به.

اقتربت منه، وهي ترفع تنُّورتها. لحظتها، رنَّ جرس تليفونه المحمول. كان في جيبه، قريبًا من عضوه الذي تفاعل تمامًا مع كلمات السيدة.

- معذرة.. لا بد أن أرد.

نحى بوجهه عنها، وأنصت إلى الطرف الآخر. راقبته "ماريلو" بكل وله وشهوة، بينما تغيَّرت تعبيرات وجه القس وهو يستمع إلى مُحدِّثه. قال لمُحدِّثه إنه سيكون هناك، وسيصل على الفور. لا يدري ماذا يقول لهذه السيدة الواقفة أمامه. تبادلا النظرات؛ نظرات عارية تمامًا.

قال "كيجلي":

- لقد وقعت حادثة. "تينا".. إنه أخوكِ.. أحدهم أطلق النار عليه.. أنا لا أستطيع أن...

صرخت "تينا مايلز":

- يا إلهي! لا!

كانت جنازة لم تشهد "بيلبورت" كثيرًا مثلها من قبل. الكل حاضر. حتى "بيلي هتشينز" كان هناك. لم يكُن يرتدي ربطة عنق، لأنه ليس لديه واحدة. احتشد الناس في كل مكان، حتى الممرات الجانبية والأرصفة، وفتحت أبواب جميع القاعات حتى يتسنَّى للواقفين بالخارج سماع كل شيء. أغلق المصنع أبوابه لساعة. ونكَّست "دينيس كروزلي" راية مكتب البريد، على الرغم من أن ذلك أمر تمنعه اللوائح. وتلقَّى "بوب هيدلي" التعازي وكأن مَن مات ابنه. لم يلمه أحد. يعلمون أنه كان يدافع عن نفسه. وهو لم يُؤنِّب نفسه، على الرغم من كل التساؤلات التي لا تزال تدور في عقله، وعلى الرغم من أنه قد كان هناك شاهدون؛ رجلان من "إيلزورث" في شاحنة توصيل، وبالتالي لم يكُن ممكنًا توجيه أي تهمة جنائية إليه.

يهطل المطر رذاذًا من جديد، أمطار ربيع خجول. وحدت الأمطار كل شيء وقربت كل شيء، وكأن المصيبة حدثت منذ ثانية ليس إلا. دلفت "تينا مايلز" إلى الكنيسة بصُحبة أبويها. تحتضنهما وتساعدهما على الجلوس. لا أحد هنا يعرفها باسم "ماريلو" سوى القس المُبجَّل "كيجلي"؛ وقد تساءل الجميع من قبل عن سبب غيابها عن البلدة؛ وتناثرت الحكايات حولها؛ وما اجتمع

عليه الناس هو أنها رحلت إلى "نيويورك" أو واحدة من تلك المدن الكبرى، وخاصَّةً أنهم يعرفون مواهبها، ولكن ها هي ذي. لندع الخلق للخالق إذًا.

اختار "جون كيجلي" الترانيم، وتحدَّث عن الغموض وحكمة الرَّب في كل من "يسوع" و"ميكي". صلَّى له حتى يجد مكانه في الجنة، التي يرى أنها ثوابه العادل، بسبب ما مرَّ به في حياته. كان إنسانًا يبحث عن طريقه في قلب عالم ضلَّ السبيل.

وفي النهاية، عند المدخل، وتحت المطر الخفيف، وقفت "تينا" إلى جواره بعض الوقت. كانت فترة كافية ليستشعر الناس ما بينهما. دار حديث قصير بين "بيرت" و"بوب هيدلي". كان "بيرت" مَن ذهب إليه. لم يسمع أحد ما دار بينهما. وعاد "بيرت" و"بيف" إلى المنزل وحدهما.

ليس من الهيِّن أن يعود الإنسان إلى حياته الطبيعية بعد مُصاب جلل مثل هذا. هذه أمور تستغرق وقتًا. ومع ذلك قد لا ينجح الأمر في بعض الحالات. أقراص "بيف" التي تساعدها على النوم تتناقص، وتكاد تنفد، فذهب "بيرتون" إلى الصيدلية لجلب مزيد منها. لا طعم لشيء، ولا جدوى من أي شيء. أغلقت "بيف" غُرفة "ميكي". وقد تحضر "تينا" عما قريب. سيحاولان الاقتناع والامتنان لما وصل إليه حالهما. قرَّرت "بيف" أن تسأل ابنتها عن تلك العلاقة مع القس "كيجلي". مجرد دردشة ليس إلا. وهل يملكان سوى الدردشة الآن؟ وجد الزوج أن بوسعه ترك زوجته لحالها بعض الوقت، وخاصَّةً أنها تحاول أن تنشغل بتنظيف المطبخ وتجهيز طعام لأجل "تينا"، فنزل إلى حيث وضع الكمبيوتر. دخل غُرفة الدردشة "جنود الشتاء"، ففوجئ بحجم التعازي التي وصلت إليه من أعضاء الغُرفة.

وجد رسالة من "Wsstormboy" تخبره أنه خطَّط لترشيح "ميكي" لنيل لقب شهيد القضية. وأيده "Wsbigtime88"، الذي قال إن هناك ما يعزز اعتبار "ميكي" شهيدًا، بالنظر إلى طبيعة ملكية مصنع الأحذية والظروف التي دفعت "ميكي" إلى أن يلقي بنفسه إلى التهلكة. أخبره "Wsgeorgewashingtonbridge" أنه لو كان في مكان "ميكي" لفعل الأمر ذاته، لأن الإنسان كرامة. بينما نبَّه "Wsholton" العضو "Wsgeorgewashingtonbridge" إلى مسألة تتعلَّق بالشكل أكثر من المضمون، ألا وهي أن هناك خطورة على جميع أعضاء هذه الغُرفة لو أنهم كتبوا على الإنترنت رسائل ذات طابع تهديد ووعيد، حتى ولو كان الأمر لا يتعدى مجرد الكلام.

وسأل "Wsmontauk2" عن ترتيبات منح لقب الشهيد، لأنه لم يسمع بها من قبل. عندئذٍ، أحاله "Wsstormboy" إلى الصفحة الخاصة بميثاق

المجموعة. وقال "Wslancaster3" لـ"بيرتون" بكل صراحة إنه لو كان في البلاد كثير من الفتيان بشجاعة ابنه "ميكي" نفسها، لما كان الخطر ليحدق بها أبدًا.

واصل "بيرتون" قراءة رسائل مماثلة، وقد قرر ألا يرد على أي منها في الوقت الحالي، قبل أن يعود للأعلى ويطمئن على "بيف" في المطبخ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ساعة الإفطار في "ماكدونالدز"

سمع "بيت هاموند" أن "روجر كيسنجر" أرسل خطابًا شخصيًّا إلى "بيرتون" و"بيف". ظن "كون بودين" أنه أرسل رسالة إلكترونية، ولكن "بيت" أصر على أنه خطاب حقيقي، في مظروف سميك فاخر. وأرادت المُتشكِّكة "بيج إيتون" أن تتأكد مما إذا كان "بيت" قد شاهده بنفسه، وما إذا كان "بيرتون" قد أراه إياه، أو ما إذا كان يعرف شكل المظروف.

قال لها "بيت" بشيء من الضيق إن "بيرتون" أخبره بشكل المظروف، وأنه مُرسل من خلال خدمة "فيديكس" السريعة، فهل عليها أن تذهب وتسأل "بيرتون" بنفسها؟

كان صباحًا مُعتادًا. ليس لديهم ما يقولونه في الحقيقة، وهذا ما ضايقهم. علَّقت "دون سميث" على الجنازة بأنها كانت قُدَّاسًا جميلًا، وأنها تفاجأت بانفعالات القس "كيجلي". وعلَّق "فوكس هيرمان" أن من الواضح أنهم كانوا يتصوَّرون القس في أكثر من قالب مختلف، ولكن أغلبهم لم يكونوا في مزاج يسمح لهم بإطلاق أو سماع النكات عن قس البلدة و"تينا مايلز"، ولكن "مارج دو شامب" كانت تتساءل عن المكان الذي كانت تعيش فيه تلك الفتاة.

سمعت "كاثي ميتلين" أنها كانت تعيش في مكان قريب من بلدة "بلفاست"، ولكن لم يعرف أحد طبيعة ما كانت تفعله هناك. وقال "تشارلي راسل" إنها ربما عملت "كاشير" في متجر "بلفاست"، ولكنه قال إن ذلك مجرد تخمين، قاله لأنه يعرف أنها من النوع الذي يحب الأغذية الصحية ليس إلا.

لم يتحدثوا إلا بالقليل عن "ميكي". ومع أنه كان تعليقًا يليق بهذا الجو العدمي، وبدا صاحبه وكأنه انطلق بعقله في أنحاء السماء قبل أن يقرر إعادته إلى أرض الواقع، تبسَّم "تيمي طومسون" وهو يتذكر واقعة شهدها مؤخرًا في المحطة العامة، فقد كان هناك عندما سمع أحد هؤلاء العمال الرُّحَّل المُلتحين يتحدث عن السعادة؛ يقول إن التجربة علَّمته أنه إن حدث شيء سعيد للإنسان، فإنه يظن أن ذلك كفيل بإسعاده لوقت طويل. ولكن ذلك لا يحدث، حيث تتبدَّد السعادة بأسرع كثيرًا مما ظن، وفي المقابل إن حلَّت به مصيبة، فإنه يُوقن بكونها نهاية حياته، في حين أن ذلك غير صحيح أيضًا، فالناس يتكيَّفون مع كل وضع جديد حتى وإن كانوا لم يُدركوا ذلك.

قالت "كاثي ميتلاند" إن ما قاله ذلك الرجل مجرد كلام. فهي ترى أن "بيرت" قادر على تجاوز مصابه ذات يوم، ولكن "بيف" لن تقدر. عندئذٍ، ذكَّرها "فوكس هيرمان" بأن الرجل لم يقُل إننا نتجاوز الأمر، بل نتكيَّف معه وحسب. فقال "تيمي" إنها مسألة سعادة نسبية. أجل، سعادة نسبية.

بعد ذلك خيَّم الصَّمت على الجميع.

أحذية

إن أهمَّ شيء في التسويق هو أن يكون هناك منتج يتم تسويقه وبيعه. وهنا نحن نتحدَّث عن حذاء "كوردوفان" أمريكي الصُّنع يُنتجه أحد أقدم مصانع الأحذية في البلاد، حيث يُنتج بالطريقة التقليدية، وباستخدام أفخم أنواع الجلود. ولأن تكلفة الجُملة للحذاء الواحد مائتان واثنان وثمانون دولارًا، فإن سعر بيعه لا يقل عن ثلاثمائة وخمسة وتسعين دولارًا. أما حذاء الـ"بالمورال" فتكلفته مائتان وسبعة وخمسون دولارًا في الجُملة، أي إن ثمنه المنطقي ثلاثمائة وستون دولارًا في المتاجر.

كما أن هناك الطراز الصيفي الأبيض، الذي عاد موضة هذا العام، وسعره في الجملة مائة وستون، ليُباع بمائتين وخمسة وعشرين دولارًا، حسب تقديرات إدارة التسويق، ولكن هذا قد لا ينطبق على أحذية "نورومبيجا"، التي ستجدها بحلول يونيو في متاجر مُختارة من "نانتيكت"، وحتى "سانتا باربرا"، مرورًا بـ"نيويورك". هذه أحذية للأغنياء، ليرتدوها في أنديتهم وأعمالهم.

كيف تبيع الأحذية؟ لا بد أن تكون لديك قصَّة لتحكيها. هكذا تحدَّث "روجر كيسنجر" وهو يشرح لشركائه في "مادريجال" كيف أن الطلبيات، ولدهشته، في ازدياد. تعمَّد أن يذهب إلى كل واحد منهم في مكتبه ليسخر منه مُتحدِّيًا إيَّاه بكل جذل. لم تكُن شركة الأحذية بالكبيرة، ولكنها خطت أول خطوة نحو النجاح. ولا يقتصر التسويق على امتلاك قصَّة جذَّابة تحكيها، بل لا بد أن تدعم ذلك بمنتجات تزيد من وجاهة تلك القصَّة. قد لا تكون الأحذية التي تُنتجها "بيلبورت" مثالية، ولكنها جيدة للغاية. كما أنها مُريحة، وتغنيك عن اللجوء إلى أحذية "نايكي" القبيحة. ولما شبع من الشماتة في "كيزلوسكي" والآخرين، وتقرير الطلبيات في يده، ذهب ليتصل بالمصنع في "بيلبورت". ويقتضي البروتوكول أن يتَّصل بـ"فالون" أولًا، ومن ثم "هيرشهورن" مدير التسويق، ولكنه لم يُبدِ حماسه الحقيقي إلا عندما سمع صوت "بيلي هتشينز".

- أهلاً، "بيلي".

- سيد "كيسنجر"؟

- هل اطَّلعت على تقرير الطلبيات؟

- بالفعل، سيدي.

- لم يكُن متوقعًا، أليس كذلك؟

- يمكنك أن تقول ذلك، سيدي.

- الفضل الكبير لك يا "بيلي".. حقيقةً.

- أشكرك، سيد "كيسنجر". لا أعرف ماذا عساي أن أقول.

- كانت فكرتك. أن نتسلَّق السُّلَّم، وأن نستهدف بمنتجاتنا الأغنياء.

- طالما كان المنتج يستحقُّ. وطالما كنا قادرين على الإنتاج.

- أنا أعتمد عليك في ذلك.

- أبذل جهدي يا سيد "كيسنجر". سيبذل الكل جهده.

- علينا أن ننادي بعضنا بالاسم الأول الآن، ما رأيك؟

- "روج"؟ أستغرب ذلك بعض الشيء.

- عليك الاعتياد على ذلك إذًا.

- مرحبًا.. "روج".. ما الأخبار.. "روج"؟ تبًّا للكل "روج".

- تبًّا لك أنت يا "بيلي"!

- أشكرك يا "روج".

- سأعود خلال أسبوعين. لا بد أن أراك عندما آتي.

- يسعدني ذلك.

- وداعًا.

-وداعًا.

تذكَّر "كيسنجر" شيئًا فتراجع عن إنهاء المكالمة، وقال لـ"بيلي": - نسيت؛ لديَّ فكرة وأريد أن أعرِّف رأيك، ما رأيك لو رفعنا السعر نحو ثلاثين أو أربعين دولارًا للحذاء؟

أجاب "بيلي":

- لا أجد ما يمنع ذلك. ويبدو لي أن القاعدة هي أنك كلما رفعت السعر، صار المنتج مرغوبًا.

- ولكن علينا ألا نقع في فخِّ الجشع. علينا الحذر.

- بالتأكيد، بالتأكيد.

- وأن تكون القيمة قبل المال.

- بكل تأكيد.. القيمة قبل المال.

أنهى "كيسنجر" المكالمة قائلًا: - سأخبر "هيرشهورن" بهذا المقترح.

كانت هذه المكالمة أبرز أحداث اليوم بالنسبة لكليهما. اعتبرها "بيلي هتشينز" تأكيدًا أنه إداري ناجح، وربما هو كذلك بالفعل. وبدأ يفكر في تغيير سيَّارته بأخرى أحدث وأفخم، أو في الذهاب إلى "بورتلاند" وإنفاق بعض المال على فتاة. أما "كيسنجر"، فاعتبرها بمثابة تأكيد أنه رجل يهتم لغيره من الناس. هناك لعبة "قطار الموت" غير بعيدة عن مقر عمله، في "راي بلايلاند". كانت الملاهي خشبية قديمة، حتى يمكنك أن تعتبرها ثروة قومية تاريخية. ذهب إليها تلك الظهيرة وركب "قطار الموت" مرَّتين للاحتفال.

تراجع "بيلي" عن الذهاب إلى "بورتلاند" وهو في الطريق إليها، وهو يمر على "أوجوستا"، ولمح مكانًا اسمه "ذا شيدي ليدي". توقَّف هناك لتناول شراب، والرقص مرَّة أو مرَّتين مع الفتيات.. بدت له ملامح الفتاة التي اختارها لتُراقصه مألوفة نوعًا ما، ولكنه لم يستطع أن يتذكَّر، وخاصة مع كل هذا المكياج والرموش الصناعية التي كانت تضعها. وهي بدورها، لم تتمكن من التَّعرُّف عليه وسط العتمة وكل هذا الزحام.

المُكافأة

خلال الاجتماع، كان كل من "فارلي روبنسون" و"بيتر فولر" و"جيم كيزلوسكي" راضين عن أداء المصنع، وراغبين في مساندة هذا الإنتاج من الأحذية. ظل "ديك ويبر" صامتًا كالعادة، هو أشبه بـ"توماس"، قاضي المحكمة العُليا، الذي لم يطرح سؤالًا طيلة عشرين عامًا، ولكنه رفع يده مثله مثل الباقين عند التصويت بشأن منح القرض.

وبالطبع، صوَّت "كيسنجر" لصالح تلقي المصنع للقرض. سبق له أن وعدهم بأنه سيحين الوقت الذي تحصل فيه المؤسسة على المكاسب. وإن لم يكُن الآن، فمتى؟ فقد مرَّ رُبع العام جيِّدًا، وبدأ المصنع في تلقِّي الطلبيات. وعلى أساس هذا الموقف الجديد للمصنع، ستكون الفائدة على القرض أقل. وكالعادة، تم استقطاع الضرائب من تمويل الدين. وفي التاسع عشر من مايو 2006، صوَّت شركاء "مادريجال" بالإجماع بالموافقة على أن يتلقَّى مصنع "نورومبيجا" للأحذية مبلغ واحد وثلاثين مليون دولار عبر بنك "ستيت ستريت"، وهو مبلغ كافٍ لأن يسدد مستحقات هؤلاء الشركاء ومكاسبهم.

والحقيقة أنه كان لهم بمثابة الفكَّة. فلن يتسنَّى لأحد منهم أن يشتري منه طائرة جديدة، مثلًا، ولكنه كافٍ لإسكاتهم عن توبيخ "كيسنجر" بين الحين والآخر على استثماره في ذلك المصنع. "الكل لواحد، وواحد في الكل"؛ هكذا عليك أن تردد دائمًا.

غادر "كيسنجر" "جرينتش" عند الحادية عشرة متوجهًا إلى مطار "ويستشستر"، وعند الظهر انطلقت به طائرة الشركة إلى "سانتا فيه"، حيث يعتقد شركاؤه أنه يبحث هناك عن استثمار جديد.

يتحوَّل "كيسنجر" إلى صبي صغير شغوف كلما استقلَّ الطائرة. لا يملُّ أبدًا من التحديق في السُّحُب حول الطائرة. تناول شرابًا، وأغلق الـ"لاب توب". شعر براحة قدميه في حذاء "نورومبيجا"، حتى في هذا الارتفاع، حيث تتوَّرم قدماه في المُعتاد. يشعر بقدميه تتنفَّسان.

لقد خرج منتصرًا في تحدِّي "مادريجال" هذه المرَّة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سبق الإصرار جُزء من كل غواية

أمَّا الجُزء الآخر فليكُن ما يكون..

قالت إن لديها أفكارًا بشأن الأحذية، وإنها لا تقصد التَّطفُّل، ولكنها طلبت منه أن يحضر ساعة للجزيرة ليوضح لها ما لا تفهمه. وتلقَّى طلبها باستغراب. ولكنك حينما تكون مديرًا لإدارة تطوير المنتجات، فلا يمكنك أن تقول لا لزوجة صاحب المصنع.

لم تكُن هذه هي أول مرَّة تتصل فيها. وعليه أن يُفكِّر في الأمر، وخاصَّةً أن الذهاب إلى الجزيرة يعني فرصة لرؤية "إليزا". صار يعرف اسمها الآن. نادرًا ما يراها، ربما كان ذلك في ثلاث مناسبات، أو أربع، ولكنه لم ينسها، ولن ينساها. إنها الحلم المؤجل، وتميمة الحظ.

حينما وصل "بيلي" بسيَّارته إلى المنزل، لم يكُن هناك أي من الأولاد. لا توجد سيَّارات أو درَّاجات أو فتيات يلعبن الكروكيه أو كُرة الريشة. الجميل أن ذلك الأخ المُتبجِّح لم يكُن هناك بدوره. يريد "بيلي" أن ينسى ذلك الموقف الذي جمعهما. ودائمًا ما يُسمِّي لقاء المُخدِّرات ذاك بـ"الموقف". ولا يريد لذاكرته أن تحتفظ به.

نحن في الأسبوع الثالث من يونيو. وهي فترة لا يجد فيها "بيلي" ما يميزها، ولكن ذلك يعني أن الأولاد إما في المدرسة، وإما أنهم في بقعة من العالم يقومون فيها بأي نشاط يعززون به طلبات الالتحاق بالجامعة. حضرت "كورتني" للاعتناء بالحديقة. ولم يكُن هناك أحد سواها.

لم يعتد "بيلي" أن يدخل عبر الباب الأمامي. حتى خلال الشتاء، وقت أن كان يطلي الجدران وحده ولا يوجد مخلوق قريب منه في دائرة قطرها خمسة أميال، كان يدخل من الباب الجانبي. ترتدي "كورتني" فستانًا أبيضَ صيفيًّا. وكأنها على وشك الخروج إلى مكان ما. فكَّر "بيلي" أنها في طريقها إلى غداء يجمعها بصديقات في نادي الجزيرة أو هي خارجة للتَّسوُّق وحسب، على الرغم من أن خيارات التَّسوُّق بالنسبة لسيدة مثل "كورتني" محدودة للغاية في هذه المنطقة. هذا أمر يستغربه، تمامًا كما يستغرب عدم اهتمام هؤلاء الأغنياء بتجديد النادي الذي يجتمعون فيه، ولكن ربما كانوا يُفضِّلونه على هذا الحال.

استقبلته "كورتني" بابتسامة ربَّة منزل خمسينيَّة، وهي تفتح الباب على مصراعيه. إنه مشهد ودِّ احترمه "بيلي" للغاية. تمنَّى لو كان يرتدي قُبَّعة حتى يرفعها. دخل إلى المكان وكأنه يدخله لأول مرَّة، وكأنه لم يكُن فيه

وحده على مدار شهر. بادرته حتى تذيب الجليد: - بالمناسبة، قُمت بعمل رائع في الطابق العلوي. هل سبق أن أخبرتك بذلك؟

- أجل، سيدتي. أشكرك.

- أعتقد أن ذلك كان منذ زمن. أمور كثيرة جرت منذ ذلك الحين.

أدرك "بيلي" أنها تُلمِّح إلى دوره الجديد في المصنع، ولكنه رأى أن يتظاهر بأنه لم يفهم قصدها. لا يريد لمسار الحديث بينهما أن يتغير على نحو لن يحبه.

- هلَّا دخلنا المكتب؟

قادته "كورتني" إلى غُرفة في نهاية المنزل، في مكان لم يدخله من قبل. غُرفة صغيرة إضاءتها الطبيعية تدخلها قوية عبر نوافذ صغيرة، وهناك مكتبة تمتد من الأرض إلى السقف، بدت متناسقة مع ديكور المكتب. يعكس المكان كفاءة وتجدُّدًا، علاوة على كونه تأكيدًا على ثراء أصحابه. هناك بعض التصميمات فوق سطح المكتب.

- تفضَّل. أريد منك أن تُلقي نظرة على هذه التصميمات. أريد أن أعرف رأيك فيها.

جلس "بيلي"، ووجد أمامه عملًا بارعًا واحترافيًّا للغاية، وكأنه ينظر في صفحات مجلة متخصصة؛ تصميمات لعديد من الأحذية الصيفية؛ بألوان متنوعة، أبيض، وأصفر، وأخضر، ووردي، وسماوي، وأزرق، كلها بديعة المنظر. كأنك تُصوِّر تشكيلة من قطع الـ"كب كيك" اللذيذة من أعلى.

- أنا لم أُصمِّمها بنفسي، طبعًا. لا يمكنني ذلك، بل طلبت من أحد المكاتب في المدينة تنفيذها.

-تقصدين مدينة "نيويورك"؟

- وضعت الأفكار والخطوط الأولى، ومن ثم اصطحبتها إليهم في "نيويورك". أتودُّ أن تستمع إلى فكرتي؟

- بكل تأكيد.

كان "بيلي" يتأمَّل الرسومات بتركيز، أو في محاولة للتركيز، ولكن يبدو أن مجهوده لأجل التركيز شتَّت أفكاره.

قالت "كورتني" بتردُّد:

- فكرتي هي... أعتقد أنك فهمت الفكرة. فهي واضحة، أليس كذلك؟ لماذا لا نصنع هذه الأحذية الصيفية الخفيفة بألوان عديدة خلاف الأبيض؟ بوسعنا ذلك.. أقصد بوسعكم أنتم. ما رأيك إذًا؟

قال بنبرة ربما كانت دبلوماسية للغاية: - ربما تعلمين أن لدينا منها الرمادي والبُنِّي أيضًا.

- ولكنها ألوان مُملَّة أيضًا!

- ليس في نظر الرجال الذين أعرفهم.

- أتعتقد أنها تصميمات صارخة الألوان بشكل مُبالغ فيه؟

وجد "بيلي" أن هذا أنسب وصف لها. فهو يرى أن هذه الأحذية المُلوَّنة لا تليق بالرجال أبدًا. كما أنه لا يريد أن يسترسل في الحديث عن مفاهيم الرجولة ونقص الرجولة معها هي بالذات.

- المشكلة هنا أن هذه أحذية صيفية، ونحن في الصيف بالفعل. هذه مشكلة إنتاجية.

- ولِمَ لا تُنفِّذها في الصيف المقبل؟

- لا يزال من المبكر التفكير في منتجات الصيف المقبل. أعني أنني سأرى إمكانية ذلك، حينما يحين الوقت المناسب لذلك.

- سنُفكِّر في ذلك؟

- طبعًا.. طبعًا.

- وهذا يكفيني الآن.

كانت تنظر إلى "بيلي" بصدق.

وجد "بيلي" أنه نجح في مسعاه لشراء الوقت الكافي لقتل الفكرة. جمعت "كورتني" رسوماتها من فوق المكتب، ووضعتها في حافظة خاصة. كانت صامتة، ولكن مشاعرها مجروحة بوضوح.

- كنت أعلم أنها فكرة سخيفة. لا داعي لأن تُلاطفني. هذا ما أخبرتك به عبر التليفون.

قال وهو غير مُقتنع بكلماته:

- إنها ليست بفكرة سخيفة أبدًا.

- بل هي كذلك، وهي تليق بي تمامًا.

- أعدكِ أننا سنبحثها في غضون أشهر. سنأخذ رأي الكل في تنفيذها. هل عرضتِها على زوجكِ؟

- زوجي؟ "روج"؟

- طبعًا، فهو الرئيس. عليكِ أن تكسبي تأييده لها، وليس تأييد شخص يعمل تحت إمرته.

- ولكنك لست بالموظف العادي.

- بالمقارنة به، لا أعتقد.

- هذا ليس رأيي.

التقت عيناها بعينيه، فتشبَّثت بهما. عندئذٍ، أدرك "بيلي" أنهما يدخلان إلى منطقة غير مُريحة بالنسبة له. لا يعرف عنها الكثير.

أم أنها خيالات؟

- أتحب تناول الشاي؟ أظن أنك لم تتناول غداءك.

- لا داعي، أشكرك.

- أعتقد أنه يوجد طعام هنا.

- لا أرغب بالفعل.

- كأس نبيذ؟ هذا سخيف. بيرة؟

- عليَّ أن أعود للمصنع.

- تخاف مِنِّي!

- كلَّا، سيدتي.

- زوجة الرئيس، وهي تستدعيك إلى هنا.

- يسعدني أن أُلبِّي طلباتكِ يا سيدتي.

- أتعرف يا "بيلي" أنني فعليًّا مَن قام بتعيينك؟ أنا أول مَن عثر عليك!

- أتذكَّر ذلك يا سيدة "كيسنجر".

- توقّف عن مُناداتي هكذا. أنت لا تُناديه سيد "كيسنجر"، أليس كذلك؟

- ليس بعدما أصرَّ على ألا أفعل هذا.

- فهل تقبل مِنِّي أن أصرَّ أنا كذلك؟

-حسنًا، سأتناول زجاجة بيرة.

كان يأمل أن يؤدي ذهابها عنه ولو لبُرهة إلى تهدئتها. عادت ومعها زجاجة "هينكين" له، وكأس "بورجندي" لها.

- قلت لنفسي إنك تفضل أن تشربها من الزجاجة.

- لا بأس.

- لماذا لا يفضل أمثالك شرب البيرة في كوب؟

- أمثالي؟

- أقصد مَن نراهم في الأفلام أو المسلسلات، تفهم قصدي. لا أعنيك أنت تحديدًا.

خطر لـ"بيلي" الشخص الذي تقصده إن لم يكُن هو، ولكنه لم يجد في الجدال جدوى. إنها مجرد حمقاء. وهذا رأيه بشأنها، ولكنه لم يمضِ معها وقتًا كافيًا لإصدار حُكم نهائي.

ترى "كورتني" الأمور من منظور مختلف. ولو أنها حمقاء، فإنه بالنسبة لها "جيمس دين". مدَّت يدها بكأس النبيذ، فلامس بزجاجته كأسها. تحوَّل الحوار إلى دردشة مُتحفِّظة، على النحو الذي تمنَّاه. تحدَّثا عن أمور عديدة، عن المصنع، والأحذية عمومًا، والجزيرة، وعن "بيلبورت". كانت "كورتني" تتحدَّث أكثر منه، ويكتفي هو بإيماءات من رأسه، وهو يزن كلماته قبل أن يتفوَّه بها حتى لا يقع في محظور. كاد ذات لحظة يُصارحها برأيه حول حالة نادي الجزيرة وكيف أن عليهم تجديده، وأنه يعرف عمالًا يمكنهم القيام بذلك بسعر أرخص إن كانت التكلفة هي المُعضلة، ولكنه سأل نفسه عن جدوى التحدث في هذا الموضوع، خاصة مع تلميحات البخل التي تختفي بين حروف كلماته، ولكنها غيَّرت الموضوع، فأنقذته من الوقوع في الخطأ.

- أما سبب أنني لم أعرض تلك التصميمات على زوجي، إن كنت تريد حقًّا أن تعرف، هو أنه لن يُبدي أي اهتمام بها.

- ولماذا لا يهتم؟ لقد اشترى مصنع أحذية.

- لأنه مهتم بالأحذية، الأحذية فقط، ولكنه غير مهتم بي.

- سيدتي، أنتِ تخبرينني بأمور لا يصح لي أن...

- ألن تتوقَّف عن التَّلفُّظ بسيدتي، وهذا الهراء؟! توقَّف! اسمي "كورتني" وحسب! توقَّف!

- معذرة.

صار المقعدان أقرب الآن إلى بعضهما. تجلس "كورتني" إلى طرف مقعدها، وكأنها بالكاد تحتاج إليه. لم يعد "بيلي" يرى أمامه تلك المرأة التي التقاها في الحديقة. لم تعد تلك الفراشة، بل صارت مثل حشرة؛ مثل أم أربعة وأربعين. هل هو على وشك انتكاسة في حياته؟ قالت له في مرارة: - أتعلم أين هو الآن؟ هل اتصل بك؟ أنا لا أعلم. لا بد أنه مع رفيقته الجديدة. الجديدة لأن هناك أخريات. يلتقيهن في تلك المؤتمرات. هو لا يرغب في وجودي معه، حتى يخلو له الجو مع العاهرات!

- أهو في مؤتمر الآن؟

- أنا لا أعرف أين هو.

- يؤسفني سماع هذا، سيـ..

- سيدتي؟ كنت على وشك نُطقها ثانيةً؟

- سيدتي.

- سيدتي؟ سيدتي؟

- سيدتي!

جمعت بينهما ضحكات قصيرة مُتوالية.

- لقد أعجبت بك منذ أول مرَّة رأيتك فيها.

- وأنا أعجبت بكِ.

- أنت لم تفهم بعد؟

- ما فهمته هو أنكِ ساخطة على "روج".

وضعت يدها فوق يده. والحق أن مقاومة "بيلي" ضعيفة أمام موقف مثل هذا. أفسدت دموعها لمسات المكياج. ربما تكون جميلة نوعًا ما، ولكنها الآن

تبدو امرأة تعيسة، بعد فساد المكياج وذوبانه بالدموع فوق وجهها، وظهور التجاعيد في أنحائه. خشي "بيلي" أن ينظر في عينيها. كل ما يريده الآن هو أن يرى ابنتها، "إليزا". أهي هنا، في مكان ما؟

سقط في شِبَاكها أخيرًا. طارحته الحب هناك فوق السجادة الأصفهانية الأصيلة. فبطبيعة الحال، لا بد لمكتب في منزلٍ ثري عصري أن تفترش أرضيته سجادة أصيلة من طراز أصفهاني. لم يكُن مغمض العينين، وعلى الرغم من ذلك لم يكُن يراها، بل يتأمَّل ملامح "إليزا" في مُخيِّلته. أيمكن أن يجمع الحب بينهما! "إليزا" ذات ثوب السباحة الأسود، تخلعه عن جسدها قبل أن تستلقي هكذا مثل أمها فوق أرضية المكتب مشتاقة إلى جسده؛ جسده هو. تأوَّهت "كورتني" في نشوة، وهي في فستانها الأبيض الذي لم تخلعه عن جسدها. وعندما انتهى الجنون الذي جمع بينهما، شعر "بيلي" بالفخر لأنه أشبع رغبتها ولهفتها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلسة تصوير

خطرت لـ"هيرشهورن" فكرة الدخول بالمصنع إلى عالم الإعلانات على الإنترنت. فقد اتصل به أحد مندوبي وكالة "آن أربر" الإعلانية على غير ميعاد وأقنعه بأن الخطوة مضمونة وغير مُكلِّفة.

أقنع "هيرشهورن" نفسه بأنه قد يحقق للمصنع الريادة في هذا المجال الجديد، ويخطو بالجهود التسويقية خطوات واسعة للأمام، على النحو نفسه الذي يسمع أنه موجود في أوروبا، وخاصَّةً أن هناك مَن استغنى تمامًا عن التليفون التقليدي ويعتمد كُلِّيًا على التليفون المحمول.

وهكذا، وحتى لا يخرج "نورومبيجا" من سياق التاريخ، حضر فريق تصوير محترف من "بورتلاند" لتنفيذ جلسة تصوير. وكان من الطبيعي أن تُخيِّم الدهشة على أغلب عمال "نورومبيجا" عندما سمعوا بما سيجري، ولكن ذلك لم يمنع "بيلي" من ابتياع سُترة وبنطال جديدين من محل "إل إل بين"، ولم ينسَ والده بملابس جديدة هو الآخر، حتى يبدو بمظهر لائق أمام الكاميرا.

وسجل في ذهنه ملحوظة مفادها أن والده "إيرل" سيكون محور هذه القصة الإعلانية. "إيرل".. سيد العاملين هنا وكبيرهم، الذي ينقل خبراته ومهاراته وذوقه الأصيل إلى الجيل الجديد، وفي طليعته "بيلي".

ولكن "جاري" لن يظهر في الصورة. وجود "جاري" كفيل بإفساد الحبكة كلها. واكتفى "جاري" ونصف عدد العاملين باستراق النظرات إلى تلك المحاولة الحثيثة لتلميع "إيرل" والتأكيد على خبراته وإسهاماته التي يجتهد في نقلها للجيل الجديد في إطار ثلاث عشرة دقيقة محددة. تمتم "كون بودين" بكلمات ساخرة في أذن "تيمي تومبسون"، وهما يراقبان ما يدور حولهما في ريبة. وعلى الرغم من أن "جاري" أراد أن يبدو غير مُبالٍ ومُتشكِّك بدوره، ولكن قناعه خانه، وبالكاد أخفى شيئًا من السخطً والامتعاض في نفسه، وكان يقف مُتململًا مُتبرِّمًا، ولكن ذلك لم يمنعه من استراق النظر بين حين وآخر.

استغرقت جلسة التصوير ساعات الصباح كلها. وخلال الساعة الأولى، قبع "إيرل" متوترًا مُتَّسع العينين وكأنه غزال تحت رحمة صياد، وكأنه لم يجلس أمام كاميرا من قبل في حياته. حاول "بيلي" أن يُخفِّف عنه توتُّره ببعض الخمر في غُرفة خلفية. وربما تعمَّد "إيرل" التظاهر بهذه الرَّهبة والتَّوتُّر فقط كي يحصل على مُراده من الخمر.

جمعت الجلسة بين الفوتوغرافيا والفيديو. وجلس "بيلي" و"إيرل" فوق كرسيين وهما يُحدِّقان في اللا شيء وكأنهما يتقدمان للمشاركة في برنامج من برامج تليفزيون الواقع. وكانت الحركة الحقيقية الوحيدة لحظة أن رفع أحدهما، أو كلاهما، حذاءً أمام الكاميرا. ودار حوار الفيديو على النحو التالي: قال "إيرل"، وهو يحمل حذاء "لوفر" ليس بالجديد، ولكن متانته حاضرة بقوَّة: - هذا الحذاء مصنوع في عام 1934، ولا يزال بحالته نفسها تقريبًا.

قال "بيلي":

- في قدمي صاحبه.

- بالفعل.. في قدمي صاحبه.. يرتديه يوميًّا. ولو حسبت عدد السنين اليوم لظننت أن صاحبه قد مات.

- ولكنه لم يمُت، أليس كذلك؟

- صاحبه الآن هو ابنه أيها الذكي! وهو يعتبر هذا الحذاء أهم ما ورثه عن والده.

حمل "بيلي" حذاء "كوردوفان" جديدًا لامعًا، وقال: - وهذا حذاء جديد صمَّمناه على الطراز الكلاسيكي، وصنعناه في مصنعنا هنا في "بيلبورت" بـ"مين"، حيث اشتغل على تصنيعه هذا اليوم سبعة وثلاثون عاملًا وعاملة.

- تقصد بالأمس.

- الكلمة كلمة سيد المهنة هنا.

- ها أنت تتحذلق مع الرجل العجوز.. أعتقد أن تتحذلق هي الكلمة الصحيحة هنا؟

أدار "بيلي" الحذاء أمام الكاميرا، وقال:

- صنعناه هنا.. بالأمس.. وعمل على تصنيعه سبعة وثلاثون عاملًا وعاملة.

- ما كنت أقصده هو أنه لو أن الحذاء مصنوع اليوم بالذات فكيف تمكَّنت من أن تعرضه عليهم؟

- صنعناه من أفضل جلود الـ"كوردوفان" في العالم. ولطالما أنتج مصنع "نورومبيجا" أفخر الأحذية الأمريكية الأصلية على مدار قرن من الزمان.. ويزيد.

- عليكم إذًا بشرائه، ومن ثم تسجيله في وصيتكم.

- أتعرف يا والدي كم هي مُقبضة فكرة كهذه؟

- هذا مجرد اقتراح وحسب.

لم يكونوا يخبرون "إيرل" أنهم يصورون ما يتحدث به. ولم يكُن ذلك لفشل مفعول الخمر، ولكنه كان يرفض التصوير كلما لاحظ ذلك وحسب. أما حال "بيلي" فكان أفضل، بعد أن لمح لطاقم التصوير أنه يمتلك خبرة، في المجال. ومع الظهيرة، وجدت المخرجة أن لديها من المادة التصويرية ما يكفي لأن تصنع منه شيئًا لائقًا في المونتاج، كما أن لديها موعدًا في الثالثة في "بورتلاند" لتنفيذ إعلان عن متجر للسَّيَّارات المُستعملة.

وعندما انصرف الطاقم، شعر "إيرل" بالحيرة والارتباك، فهم لم يقوموا بتصويره، على حدِّ علمه، ولما كان الأمر كذلك فلماذا طلبوا الاستعانة به من الأساس؟

ولما انتهى كل شيء، وعاد العمال المُتسكِّعون إلى أعمالهم، انتبه "بيلي" إلى أن "كورتني كيسنجر" تجلس على السلالم المعدنية التي تُفضي إلى مكاتب التنفيذيين، في ركن يتيح لمن يريد الصعود أن يصعد، ولكن على علو يسمح لها بمراقبة جلسة التصوير عن كثب.

وضعت تلك التصميمات إلى جوارها. وهو الأمر الذي وتَّر أعصاب "بيلي" حقيقةً. فمنذ ذلك اللقاء الحار الذي جمع بينهما، وهو يُؤنِّب نفسه ويُوبِّخها على ضعفها الذي أسقطه في حبائلها بكل هذه السهولة. كم هو غبي! الآن لا ترى عيناه المذعورتان سوى مجرد امرأة عجوز.. "إليزا"! ما الذي قد يكون جرى لها؟ وجد "كورتني" تُلوِّح له. لوَّح لها بدوره، وهو لا يزال يأمل تحاشيه والتظاهر بالانشغال بمُجريات الأمور في أرض المصنع، ولكنها لوَّحت له ثانيةً، بإصرار. تريد منه أن يأتيها. وهكذا، صعد السُّلَّم بخطوات مُتعجِّلة، ليُوحي لها أنه مشغول، وأن اللقاء لا يمكن أن يطول، ولكن "كورتني" لم تكُن لتنخدع بذلك.

- مرحبًا.

- كيف حالك سيدة "كيسنجر"؟

- بخير سيد "هتشينز".

- معذرة، مشغول بعض الشيء.. هل شاهدتِ التصوير؟

- الإعلان؟ كان مُسلِّيًا.

- هل هذا رأيكِ حقًّا؟

- طبعًا.. بالتوفيق.

- سيعرض عبر الإنترنت فقط. لا أعتقد أن كثيرين سيشاهدونه.

- مَن يدري؟ ربما يخيب ظنك. أعتقد أن من الرائع أن تفكر في مثل هذه الوسائل التسويقية. اسمعني.. سيد "هتشينز".. أيمكنني أن آخذ من وقتك الثمين عشر دقائق فحسب؟

- تعرفين أن جلسة التصوير أخَّرت جداول التشغيل و...

- عشر دقائق فقط.

- هيا إذًا.

دخلا إلى مكتب "بيلي" بجدرانه الزجاجية، وأغلق الباب.

قال "بيلي" وهو يقلب في أوراق التصميمات التي لاحظ أنها مُعدَّلة: - ما هذا الذي أنظر إليه يا سيدة "كيسنجر"؟

- أنت الآن تنظر إلى أفكاري الجديدة، سيد "هتشينز". هذه تصميمات اخترت أن أمزج فيها الألوان، حتى لا يكون الحذاء للصيف فقط.

- ولكنها لا تزال تبدو لي صيفية للغاية.

- حتى تلك الألوان الداكنة؟

- أؤكد لك أننا سندرس الأمر. بكل تأكيد. هذا وعد.

قالت "كورتني" هامسةً:

- إنه في "جاكسون هول" مع تلك العاهرة.

- أخبرتكِ أننا سندرس مقترحاتكِ في الموعد المناسب، سيدة "كيسنجر". ورأيي أنها رائعة وتستحق الدراسة.

همست:

-بل أنت أروع.

- اسمحي لي بالاحتفاظ بها، سيدة "كيسنجر"، ومن ثم وعندما يحـ...

قالت بصوت منخفض:

- أعلم أن من غير اللائق أن أتحدث إليك بهذه الكلمات، أو حتى أن أحضر هنا، وأضايقك، ومن الواضح أنك لا ترغب في أن يجمع بيننا أي شيء.. هذا واضح للغاية.. وأنا لن أفرض نفسي عليك، سيد "هتشينز".

- عليَّ أن أذهب الآن إلى قسم التشطيب، سيدة "كيسنجر". تعلمين كيف يكون الأمر عندما يتغيَّب الرئيس...

همست:

- الرئيس الذي يلهث وراء شهواته في كل الدنيا.. لماذا تكرهني؟

- أشكركِ على تفُضِّلكِ بالحضور، سيدة "كيسنجر". أنا مُقدِّر ومُمتنٌّ لاهتمامكِ.

- تبًّا لك.

تنفَّس الصَّعداء عندما رحلت عن المكان. كان بها عقل كفاية ليمنعها من أن تنفجر في وجهه. غادرت في صمت وهدوء، تاركة أوراقها فوق مكتب "بيلي"، وكأنها بُقعة عميقة عريضة في صفحته البيضاء، وسيكون من الصعب جدًّا محوها. انشغل بجمع الأوراق حتى غابت عن المكان، ثم هبط السُّلَّم، واستأنف جولته. خطر له أن يفكر في احتمال أن تحمل تصميمات "كورتني" وعدًا بمسار إنتاجي جديد ناجح له ولسوقه، هي بالفعل تصميمات لأحذية تناسب جميع فصول السنة. كما أنها درجات ألوان مُبتكرة فعلًا. وماذا لو كانت صارخة؟ هذه الطبقة تشتري كثيرًا من الأحذية وحسب. تلك حقيقة بديهية لا تحتاج لعبقري تسويق حتى يثبتها.

لم يلحظ أحد ذلك الحوار الذي دار بين "بيلي" و"كورتني" داخل مكتبه، ولا حركات جسدها وتعبيرات وجهها التي تناقضت مع تعبيراته وحركاته الهادئة؛ لذلك سيعتبر اللقاء كأن لم يكن، ولكنه لم ينتبه إلى أن "جاري" كان يُراقب كل شيء. رآهما يصعدان الدَّرَج معًا. وتبعهما. تظاهر بأن لديه عملًا يُنجزه في الطابق العلوي، وعاد بكوب ماء، واسترق النظر. أدرك على الفور أن في الأمر سرًّا، ولكنه لم يكُن ليصل إليه. يكفيه أن تأدَّت مشاعره لما عرف أن هناك ما بين "بيلي" وزوجة الرئيس ما يسمح لحوار على تلك الشاكلة أن يدور.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عندما تتيسَّر الأمور

يا له من إحساس! أن تكون ناجحًا وتكسب كثيرًا من المال، ويكون المستقبل واضحًا أمامك. وأن تتمكن من شراء يخت كبير. أرادت "كريستين" قاربًا شراعيًّا، وهذا لأن "شون" قادر على الإبحار به؛ فهو حاصل على شهادة بحَّار من نادي الجزيرة عندما كان في الحادية عشرة، أو الثانية عشرة من عُمره؛ ولأن الإبحار مرآة كل مغامرة طائشة، أو هكذا يبدو لكل واقف على البر.

عندما تبحر فإنك تصير واحدًا منهم. وفي حين أن رأي "شون" يختلف في هذا الشأن، لأن روحه أبسط من روحها، فكان كل ما يطمح إليه هو أن ينطلق بالقارب أسرع منهم. أو بالأحرى أن يُجاريهم في سُرعتهم، هذا لو أنه خشي أن يسبقهم فيفقد وظيفته. منذ زمن، أخبره والده أن الدنيا أشبه بتصنيف سيَّارات "جنرال موتورز". فأنت في بدايتك سيَّارة "شيفروليه". وعندما تصير شابًّا طموحًا تتحوَّل إلى "بونتياك". ولما تحتل مكانك في مناصب الإدارة الوسطى فأنت "أولدزموبيل". و"البويك" هم مَن في الإدارة العُليا. ورئيس كل شيء هو الـ"كاديلاك". وهكذا يمكنك أن تقول إن "شون" طمح إلى امتلاك سرعة الـ"بونتياك" واحترام الـ"بويك".

كان يرغب في يخت قوي سريع، وهو ما حصل عليه؛ قارب أبيض طوله 28 قدمًا، بمحرك "ياماها" 225. تمامًا كما يرغب. وتمامًا كما يليق بهما. اعتادت "كريستين" أن تتطلَّع للأعلى في العالم، أما "شون" فيتحسَّس خطواته أولًا. وفي هذا إما أن تقول إنهما متناقضان، وإما إنهما يكملان بعضهما بعضًا. ابتاعا القارب في مايو، وأمضيا أيام يونيو في الإبحار بالقارب على امتداد الساحل. رآهما الجميع في "بيلبورت". وكم هو إحساس جميل أن تجد مَن يقف لأجلك على البر ويُلوِّح لك. تجد الكل يفعل ذلك، حتى ولو بقي السبب مجهولًا مُستغربًا. أما "كون بودين" فأصرَّ على تعريف الناس بأن القارب في الأصل مستعمل؛ بل إنهما ثالث مُشترٍ له.

في تلك الأثناء، كان "بيلي" ينفق مبلغًا محترمًا على سيَّارة جديدة؛ "هوندا سيفيك" طراز 94، يخطط لأن يشترك بها في سباق السَّيَّارات القادم. وكانت نظريته هي أنه بغض النظر عن قاعدة أساسية في هذا السباق، ألا وهي أن السَّيَّارات اليابانية تنسحق تمامًا في السباق، إلا أنه بوسع سيَّارة صغيرة رشيقة يقودها سائق بارع أن تناور وتراوغ وسط العمالقة، فتحوم مثل فراشة، ومن ثم تلدغ مثل نحلة، حتى يتسنَّى لها في النهاية أن تهزم "جاري" الذي لا يقهر في تلك السباقات.

فلم يكُن هناك من هدف في ذهن "بيلي" سوى "جاري". منذ سنوات، تنافس الاثنان، قبل أن يرحل "بيلي" غربًا، ويترك الحَلَبَة لـ"جاري"، ولكن هذا سيتغير الآن. وعندما فكَّر في الأمر، وجد أنه يُشفق على حال "جاري"، الذي لم يعد لديه في الحياة من مجال ينتصر فيه سوى تلك الحلبة. على أن الشفقة ليست بالشعور الذي يمكث في نفس "بيلي"، فلو أنه أشفق عليه فربما لن يتمكن من الانتصار عليه. و"بيلي" راغب في الفوز، ويريد أن يثبت نفسه أمام "جاري". هذا شعور لن يبارحه أبدًا.

السباق مُمتع بلا شك. استأجر مكانًا في مؤخرة جراج "إد موريسون"، ودفع له أموالًا زيادة حتى يتمكن من استخدام أدواته كما يحب، وخصص ليلتين كل أسبوع للاشتغال على السَّيَّارة. هو خبير بالسيارات، كما هو حال كل فتى في "بيلبورت". يعرف ماذا يضيف إليها وماذا يستبعد منها، حتى إنك عما قريب لن تدرك أبدًا أن هذه السَّيَّارة كانت في الأصل "هوندا سيفيك" طراز 94. ستصبح أشبه بـ"هامر" من الحجم الصغير.

أما "جاري" فلم يهتم لاشتراك "بيلي" في السباق، ولكنه مهتم بكل شيء آخر. تلك الجولات التي يقوم بها "بيلي" في أرجاء المصنع، ولكنها ليست في الحقيقة جولات، بل هي تبدو مثل جولة تربُّص، ولكنها أسرع قليلًا، وبالتالي سيدرك كل مراقب لها أن مَن يقوم بتلك الجولات رجل مُختال صار يعتقد أن العالم كله يدور في فَلَكِه. ثم ماذا عن ذلك الإعلان الذي صوَّره؟ ما هذا الإعلان الأحمق؟ الذي يبدو وكأنه يسخر منهم جميعًا.

أدرك "جاري" أن "بيلي" لو كان عرض عليه المشاركة في الإعلان، من باب استعراض حكاية ثلاثة من آل "هتشينز" في مصنع الأحذية، لما كان ذلك ليُغيِّر من طبيعة المشاعر التي تعتري نفسه. ثم، كيف تطوَّرت العلاقات لدرجة أن "بيلي" يتحدث بكل تلك الأريحية مع زوجة صاحب المصنع، وكأنهما على قدم المساواة؟

وهناك أمور أخرى، مجرد رؤيته لـ"بيلي"، أو سماع الناس وهم يتكلمون عنه، وكأن كل ما يقوله أمر مُطاع، سماعهم وهم يتحاكون عن أشياء اشتراها أو فكرة جديدة يتحدث عنها وكأنها سفينة "نوح" التي سوف تنتشلهم من الطوفان. تلك الهواجس أسهدت ليالي "جاري"، أقلقت منامه، وأنهكت جسده، وجعلته غير راغب في الذهاب إلى العمل حتى لا يضطر لسماع المزيد. أحزنته وأحنقته، حتى أن "جيروم" ابنه بدأ يلاحظ ما آلت إليه نفسيته؛ فهو لم يعد يتحدث كثيرًا خلال العشاء، ويظل شاردًا معظم الوقت. تُكلِّمُه وبالكاد يسمعك، ولو سمعك فهو لا يعي ما تقوله. تُخمِّن "مارثا" ما قد يفكر فيه، ولكن "جاري" متحرج من أن يخبرها بأنها الغيرة، ويصر على ألا

يعرفها إلا بفتات من جبل الثلج الذي يكبر بداخله، حتى أنها خشيت أن تسأله أكثر فيشعر بالمهانة أكثر.

وعلى الرغم من أن "جاري" ليس من النوع الذي يُجيد التعامل مع الورقة والقلم، فإنه قرر في تلك الليلة أن يجلس ويكتب:

"عزيزي السيد/ كيسنجر،

ربما كان من الأفضل أن أضع هذه الرسالة في صندوق المقترحات، ولكنني أعتقد أنه ليس لدينا واحد مثله في الوقت الحالي. إن موظفك ويليام هتشينز سبق له العمل في مصنع نورومبيجا، ولكن السيد والسيدة بيرمان، صاحبي المصنع وقتها، طرداه من العمل لأنه كان يبيع المخدرات والكوكايين داخل المصنع للعمال. لو سألتهما ستعرف أن ما أقوله صدق. وهما يعيشان الآن في نابلز، فلوريدا.

عامل مخلص أمين"

عندما انتهى من الكتابة، شعر "جاري" أنه قد اتَّخذ خطوة تقرير مصير. يمكنك أن تقول إنها خطوة من النوع الـ"كاديلاك"، ولكنه الآن قادر على التنفُّس من جديد، وتخلَّص من الخوف، من نفسه ومن أي شيء آخر، ولكن من نفسه أكثر، ولكنه تذكَّر أنه كتب الرسالة على ورقة تحمل شعار محل "نابا" لقطع غيار السيارات، وبالتالي فهي ورقة ليست مناسبة لكتابة رسالة عليها إلى رئيس المصنع.

وهكذا، وفي الليلة التالية، طلب من "جيروم" أن يفتح له على الكمبيوتر البرنامج المناسب لكتابة مثل تلك الرسالة. هو لا يعرف في الكمبيوتر إلا بقدر يُتيح له تصفُّح موقع على الإنترنت، ولكنه لا يُجيد الكتابة عليه إلى ذلك الحد. يفهم ما تعنيه تلك الأيقونات على الشاشة، ولكنه اندهش كل الاندهاش لما وجد أن برنامج الكتابة يصحح له الكلمات التي كتبها بالخطأ. طبع "جيروم" الرسالة على صفحة بيضاء لا شعار عليها، ولكن "جاري" حرص على أن يقف عند الطابعة حتى يأخذ الورقة قبل أن يلمح "جيروم" ما هو مكتوب فيها. دسَّ الرسالة في مظروف من النوع الذي تستخدمه "مارثا" في سداد الفواتير، وكتب عليه: "إلى السيد/ كيسنجر، كونيتيكت"، ثم وضع الطابع، بكل حرص وكأنه يهندم ابنه ويجهزه لاستقبال العالم في الخارج.

وهناك، عند مكتب البريد، أمام صندوق الخطابات، حيث تلك الفتحة التي لا يمكنك أن تستعيد منها أي خطاب، وفق قانون صارم سنته هيئة البريد الأمريكية؛ فكل ما تُلقيه بالداخل لم يعُد ملكًا لك، بل هو ملك لمن أرسلته

إليه. تمهَّل "جاري" لحظات، قبل أن يُمزِّق الخطاب. مزَّقه بكل عزم، وإلى حد يجعل من المحال حتى على "دينيس"، مسؤولة البريد، أن تجمع أشلاء الخطاب من صندوق قمامة البريد، وتسبر أغوار الخطاب، وما كان ينطوي عليه. لقد مزَّق كل شيء؛ حتى طابع البريد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مشهد تليفزيوني

غالبًا ما يشهد الحمَّام مشهدًا كهذا.. شخص مُسجَّى في أرضيته، وإلى جواره محقن، وعبوات فارغة ومُمتلئة، وقد شدَّ رباطًا على ذراعه. ربما يكون الشخص، رجلًا كان أو امرأة، غير فاقد الوعي تمامًا، وربما كان يتمتم ويهمهم بكلمات ما، وكأنه يحذر من سر رهيب. جميعنا شاهد ذلك عبر شاشات التليفزيون؛ عدَّة مرَّات أو عشرات المرَّات، حسب الوقت الذي تقضيه أمام الشاشة. فما أهمية وصفه مُجدَّدًا إذًا؟ بل ربما كان في إعادة وصفه فجاجة بكل ما ينطوي عليه المشهد من ميكانيكية، وجبر، وإرغام، وشفقة.

حمى الله "چورچ كيسنجر"، الفتى اللطيف، ذا الشعر الأحمر، من شر شفقتنا. فكل ما كان يريده هو أن يُقلِّد أخاه. يريد أن يكون مثل أخيه الأكبر. لقد عثروا على "چورچ كيسنجر"، ابن الستة عشر عامًا، القاطن في "جرينتش"، "كونيتيكت"، في ساعة مبكرة من هذا الصباح في حالة خطيرة إثر جرعة هيروين زائدة، وأسرعوا به إلى مركز "إيسترن مين" الطبي. لو كان للصحف أن تنشر القصَّة لما نشرتها على هذا النحو أبدًا، ولكن على نحو قريب من ذلك، إلا أن الواقع يقول إنه لم يظهر أي شيء على صفحاتها.

عثرت عليه "إليزا". هناك حمَّام للبنات، وآخر للأولاد، وكانت "ماري" تشغل الحمَّام، فلجأت "إليزا" إلى حمَّام الأولاد، وطرقت الباب قبل أن تدخل، ووجدته على الأرض أمامها. ظنَّت في البداية أنه مات. غمرتها نوبة فزع وحزن هائلة. ووصلت سيَّارة الإسعاف. يُجيد طاقمها التعامل مع حالات جرعة المخدرات الزائدة. وهكذا، دسُّوا في أحد عروق الصبي محقن الـ"ناركان" وهم في الطريق إلى "بانجور". ومن الطبيعي أن يشعر "هاميلتون كيسنجر" بالندم. وجلست "كورتني كيسنجر" إلى جوار فراش "چورچ" في المستشفى، بينما هرع "روج كيسنجر" عائدًا بالطائرة من حيث كان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صحوة حياة

حلَّ "أسبوع العهد"، وخلاله يبدأ توصيف "مارثا هتشينز" للحتميات الكئيبة في حياتها، والتي تتنوَّع بين مواجهة تبعات موجة صقيع مبكرة هبَّت قبل نضوج آخر قطفة طماطم في حديقتها، وحتى موعد الذهاب إلى طبيب الأسنان. تلك مهام لا مفر منها، أو إن هناك دائمًا مفرًّا بالطبع. بوسعها أن تمكث مكانها تعدد تلك الحتميات الكئيبة وحسب. وبوسعها أن تقبع بصُحبة الريموت لتبحث في قنوات الإعلانات عن منتج غير فجٍّ أو مُبالغ فيه.

يمكنها أن تذهب للمطبخ وتعد فطيرة. وبوسعها أن تبقى جالسة أمام التليفزيون، وخاصَّةً أنها دفعت خمسة وعشرين دولارًا قيمة الاشتراك، لتشاهد ممثلين أجروا ما لا يحصى من عمليات شد الوجه، أو تستمع لمُغنِّين لم يعد لديهم أي صوت حلو. لقد دفعت الاشتراك، فطالما أنك تشاهد، فما المانع في أن تدفع الاشتراك؟ ولكن هذا لا يعني أنها راضية عن برنامج "أسبوع العهد" هذا.

إنهم يقدمون ما يفوق احتمال كبار السن. كل تلك المقدمات الموسيقية للبرامج والمسلسلات، وكل هذه الأفلام بالأبيض والأسود. "مارثا" لا تمقتها تحديدًا، ولكنها تكره إلحاحها على عقلها طوال الوقت، وحضورها النغمي المُباغت في ذهنها، وكأنها هؤلاء الذين يظهرون فجأة في حديقتها ليتطوعوا بمساعدتها.

تتكرَّر الإيقاعات نفسها عامًا بعد عام. هي أسوأ من إعادة عرض المسلسلات والأفلام القديمة. ثم إن هناك ذلك الإحساس بأنك تقدمت في العمر. فلا ريب في أن هناك عددًا يُعتدُّ به من سكان هذه البلدة ممن يعتبرون "مارثا" ضمن زُمرة كبار السن، ولكنها ليست منهم بالتأكيد. هم لا يعرفون ما تشعر به تجاه نفسها. على أن "مارثا" نفسها لا تعرف أغلب الوقت حقيقة ما تشعر به تجاه نفسها، ولكن الحقيقة الوحيدة التي تيقَّنت منها هي أنها بعيدة كل البُعد عن أن تكون عجوزًا. والأسباب عديدة، ولكن تسميتها على وجه التحديد مسألة أخرى. ربما تعتبر كونها أُمًّا من ضمنها. فهي ليست جدَّة حتى الآن. وماذا عن صحوة الحياة التي تعتريها الآن؟

"صحوة الحياة"، هذا اسم البرنامج الذي كانت تشاهده على المحطة المفتوحة في الليلة التي عثروها فيها على الشاب "چورچ كيسنجر" فاقد الوعي في الجزيرة. وهناك برامج التنمية الذاتية التي صارت من أساسيات "أسبوع العهد"، ولا تهتم لها كثيرًا، خاصة تلك التي تعلمك كيف تكون غنيًّا ويسيل لها لُعاب جمهور طمَّاع في الإستوديو.

لا تعتقد "مارثا" أن هؤلاء سيصبحون أغنياء في أي وقت قريب، وكذلك الحال مع جمهور برنامج يتحدث فيه صاحبه عن أن تنشيط العقل طوال الوقت يحميك من الخرف عند التقدم في السن، أو أنك لن تُصاب بأزمة قلبية طالما أنك تركض ميلًا كل يوم، أو أن تقليل تناول اللحوم يقيك شر السرطان، هي تعتبر أن جماهير الإستوديو حفنة من الطماعين الحمقى.

كلما سُلِّطت الكاميرا عليهم تجدهم يهزون رؤوسهم ليؤمنوا على كلام الزيف الذي يثير في نفوسهم آمالًا وهمية. كم تمقت "مارثا" مَن يروجون لمثل هذا الزيف!

تصادف أن يكون موضوع حلقة "صحوة الحياة"، البرنامج الذي يقدمه هندي اسمه "رافي بانيرجي"، هو التحذير ممن ينشرون الآمال الزائفة، وأن على مَن يجلسون في مقاعد الجماهير ألا يسمحوا لأمثاله من مقدمي البرامج بمحاولة التأثير عليهم كذبًا. وكأن "رافي" يقرأ أفكارها.

"رافي" شاب نحيل رشيق، شعره أسود، وأنفه مميز. يجلس على كرسي بلا ظهر أو ذارعين، وفي يده مايكروفون، ولا يتحرك في أرجاء الإستوديو مثل بقيتهم، كما أنه لا يُشوِّح بيده في وجوه المُتفزِّجين. صوته هادئ رقيق، حتى إنك تتعجَّب مما إذا كان هناك مَن يسمعه جيدًا من دون مايكروفون.

رفعت "مارثا" صوت التليفزيون حتى تسمعه جيدًا وهو يعدد الآمال الزائفة التي صار الناس يطاردونها؛ الحياة المديدة، والثراء، والشهرة، والعلاقة الزوجية المثالية، ومحبة دائمة يُكنُّها أولادهم لهم من دون قيد أو شرط.

اعترفت "مارثا" في قرارة نفسها أنها تسعى وراء كل تلك الآمال بالفعل. حاولت أن تعقدها في سلسلة داخل ذهنها، حتى لا تنساها. وهذا لأنها زائفة، أليس كذلك؟ ربما لا يكون الحال كذلك دائمًا، ولكنه هكذا بالفعل أغلب الوقت. ويعترف "رافي" نفسه بأنها قاعدة لها شواذ؛ هم أولئك سعداء الحظ، ولكن هناك فارقًا بين الحظ والقدر.

ما الذي يعنيه هذا؟ أيكون الحظ خلاف القدر؟ ضاقت عينا "مارثا" وهي تُفكِّر. تشعر أنه يجب أن تفهم ما يقوله أصحاب البرامج التلفزيونية، وأنه في حال عجزت عن الفهم فإن الخطأ خطؤهم أو خطؤها. فهناك فارق بين التليفزيون والكتاب. فلو أنها تقرأ كتابًا فمن الطبيعي أن يغيب عن فهمها بعض من محتواه. وفي تلك اللحظة، وكأن "رافي" يقرأ أفكارها بالفعل، سمعته يقول: "الحظ لمحة عُمرها قصير، أما القدر فهو مصير".

ما إن تفهم هذه الحقيقة حتى تتيقن من أن المحظوظين ليسوا ببعيد عن الآمال الزائفة بدورهم. فالحظ لا يغير معالم صورة الحياة الكبيرة. فتحت

"مارثا" كيس الفشار بالجبن الذي أضحى بدوره من علامات "أسبوع العهد" التليفزيوني، وهي تتساءل عما إذا كانت محظوظة بحياتها هذه أم لا. التصنيف صعب، فهناك عديد من الأمور على هذه الجهة، وتلك من ضفتي الحياة، وأمور أخرى تجهل إلى أي جانب تصنفها.

كانت الساعة تشير إلى الثامنة والنصف مساءً وقت أن فتحت "مارثا" كيس الفشار. وكانت الساعة تشير إلى العاشرة والربع مساءً حينما دخل "جاري" من الجراج. يعرض التليفزيون الآن برنامج "روي أوربيسون".

يصعب على "مارثا" الاحتفاظ بأي سر، وهكذا بادرته بعد أن كتمت صوت التليفزيون:

- أنا مسافرة خلال عُطلة نهاية الأسبوع. سيكون عليك الاعتناء بـ"جيروم".

ظنَّ "جاري" أنها تقصد السفر إلى خالتها المريضة في "ميلينوكت". لم يعد هناك كثير من أقربائها، والخالة "ديل" هي خالتها الأقرب لقلبها.

- هل ساءت حالة "ديل"؟

ولكنها لم تكُن تقصد الخالة "ديل"، ولا تقصد أن السفر عاجل خلال الأسبوع القادم، أو الذي يليه.

- كلَّا، أنا سأُسافر في خلوة خلال سبتمبر، إلى "بيتربورو"، في "نيو هامبشاير".

لم يفهم "جاري" مقصدها. أي خلوة تتحدَّث عنها؟ هل هي مثل مُخيَّم مثلًا؟ سمع من قبل عن المنتجعات، ولكنها شيء لا يعتقد أن "مارثا" تقصده. ولاحظت "مارثا" حيرته، ولكنها طمأنت نفسها بأنه لم يفقد عقله على الأقل.

- هل سبق لكِ الذهاب إلى "نيو هامبشاير"؟ أعتقد أنها على الطريق 95.

- أنا غير مهتمة بالطريق يا "جاري" بل بالخلوة! ألا تودُّ أن تعرف التفاصيل؟

- بالتأكيد، هيَّا، أخبريني.

لم تجد فيه ذلك الحماس المنشود، ولكن بعضًا منه.

هكذا، أطفأت التليفزيون، وشرعت من دون مقدمات تحكي له عن الآمال الزائفة، وعن "رافي بانيرجي"، وعن صحوة الحياة. وعلى غرار اسم

البرنامج فإن هذه الخلوة اسمها "صحوة الحياة"، وقد بدؤوا بواحدة في "نيو هامبشاير"، ولكنهم سينتشرون عما قريب في أنحاء البلاد.

والفكرة هي أن يختبر كل فرد آماله الزائفة، وما إن يختبرها حتى يتسنى له التحرر منها، وما إن يتحرر منها حتى ينعم بصحوة الحياة في روحه، والتي كانت بعيدة عنه بسبب الآمال الزائفة، بينما صحوة الحياة هي أملك الصادق فعلًا. و"رافي" يقول إنها جميعًا أمور عليك أن تكتشفها بنفسك. وهذا هو تحديدًا ما يعجبها في الفكرة.

تدرك "مارثا" أنه كلام قد يبدو محض هراء، وهو ما انعكس بالفعل على وجه "جاري"، ولكنها لم تتراجع أو تدافع عن نفسها، كما هو حالها كلما نظر إليها "جاري" على هذا النحو:

- سيكون "رافي بانيرجي" هناك بنفسه.

- حقًّا؟

كانت سخرية واضحة، ولكنه خفف من أثرها بابتسامة مداعبة.

- بالفعل.

- كم تكلفة تلك الخلوة؟

- أنا حريصة على القيام بها، بغضِّ النظر عن التكلفة.

- أعرف، ولكن عليكِ أن تعطينا لمحة عن تكلفة هذه الرحلة، سيدة "هتشينز".

- دفعت مائتي دولار مقدم رسوم.

- أي إنكِ دفعتِ لهم بالفعل؟

- هذا شرط لحجز مكان.

هذا ليس بالمبلغ الصغير في ميزانية آل "هتشينز". الرصيد في البنك لا يحتوي إلا على ألف وتسعمائة دولار فقط لا غير، وهذا قبل الضرائب والمصروفات التي يفرضونها بسبب، ودون سبب. تلك حقيقة تعرفها "مارثا" قبل "جاري" نفسه.

ما شغل بال "جاري" حقًّا هو أنها لم تقُم بشيء من هذا من قبل، وأنها كانت دائمًا صوت العقل والمنطق في المنزل، فكيف له أن يحرمها فرصة

تجربة الحياة من دون عقل ومنطق، ولو لمرَّة واحدة في حياتها؟ ثم، ما الذي يجري هنا بحق السماء؟

تحيَّر "جاري" حتى إنه نسي أن يسألها عن قدر المبلغ المتبقِّي لهذه الرحلة. بطاقته البنكية خسرت مائتي دولار من قيمتها في لمح البصر. لحظتها تذكَّر المرَّات التي عاد فيها إلى المنزل بصُحبة "كابريس" طراز 76، أو أي سيَّارة مُتهالكة أخرى، في حدود القيمة نفسها تقريبًا. عندئذٍ، حمد الله على أن "مارثا" لم تتذكَّر ذلك وتبادر باستغلاله في حُجَّتها، ولكنها قد تتذكَّر في أي لحظة، ومن ثم تستغلُّها في أي لحظة أيضًا.

لاحظ أنها سعيدة؛ سعادة غير متوقعة، لم تعهدها إلا في المرَّة التي ربحت فيها اليانصيب. وتلك مرَّة أصابته بالحيرة أيضًا؛ يوم أن ربحت تسعمائة دولار.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تلميذ الأستاذ

لم تستغرق خطة الإنقاذ وقتًا طويلًا لتنفيذها. بضعة أيام من التعافي وإعادة التأهيل، وبضع ساعات من جلسات العلاج العائلي. ذلك هو المسار الإجباري الموصوف. المصارحة، بداية جديدة، وربما المصارحة مُجدَّدًا، وبداية جديدة. تلك هي عزيمة آل "كيسنجر". سيكون كل شيء على ما يُرام مهما تكلَّف الأمر. وفَّرت "كورتني" أفضل علاج ممكن. ومكث "روجر" في "كونيتيكت" حتى يحضر كل جلسة. من المؤكد أن "چورچ" لن يخوض تجربة المخدرات تلك أبدًا بعد الآن. اعترف "هاملتون" بكل شيء، ولكنها لن تتحوَّل أبدًا إلى اعترافات في محاضر رسمية. المهم هو التعافي والشفاء.

شعر "بيلي" أن فرص عدم توُّرط اسمه في هذه المشكلة كبيرة. تلك كانت واقعة وحيدة، ومنذ عام. ولو أنك محَّصت الأمر، لوجدت أنه لا علاقة لحادثة "چورچ" بما يفعله أخوه على الإطلاق، كما أن الأخ الأكبر سيكون الآن أحرص ما يكون على مُواراة كل ما جرى في الماضي. وحتى إن حدث ما يخشاه، فلربما يكون مجرد اسم بين مئات ممن تعامل معهم "هاملتون". أنت هنا مثل ضابط مرور على الطريق السريع؛ الكل يتجاوز السرعة القانونية، ولكن ليس بيدك سوى تسجيل بيانات سيَّارة أو سيَّارتين على الأكثر. كما أن الأسود تلتهم الحمير الوحشية، وعلى الرغم من ذلك تفوق أعدادها أعداد الأسود على الدوام. وهكذا، حينما استدعاه "تيم فالون" إلى مكتبه، كان مُتحضِّرًا تمامًا للتحدُّث عما كان يدور في عقله مؤخرًا، وهو مقترحات "كورتني" بشأن تصاميم تلك الأحذية ذات الألوان الصارخة، وخاصَّةً أنه يرى الآن أن زوجة الرئيس لديها ما يستحقُّ مناقشته.

كالعادة، كان "فالون" مُنشغلًا بأمور العمل. يعتقد "بيلي" أن "فالون" يتعمَّد إشغال نفسه في العمل بكل جدية حتى يتفادى التفكير في أن عليه اكتساب شخصية مستقلَّة بذاتها. ودار بينهما هذا الحوار: - تفضَّل بالجلوس.

- حسنًا، ما الأمر؟ هل سمعت أي جديد عن حالة ابن "روجر"؟

- إنه بخير. حالته تتحسَّن. غريب أنك تسأل.

- ما الغريب في ذلك؟

- "بيلي"، أنت مفصول. هذا قرار يسري من الآن. أوامر السيد "كيسنجر".

- لا بد أن أتحدَّث إلى الرجل إذًا. هذا جنون. جنون مطبق، لماذا؟

- أتودَّ فعلًا أن تعرف التفاصيل؟

- أنا لا أعرف أي شيء فعلًا.

- أنت مَن جعل الولدين مُدمني هيروين. ماذا تقول عن هذا؟ كدت تقتل الولد.

- ومن قال هذا؟ قل لي. هذا كذب؛ كذب مائة في المائة، بل ألف في المائة.

- أمامك ساعة لكي تُلملم مُتعلَّقاتك وتغادر المصنع.

- أنا لن أُطرد من العمل لجُرم لم أرتكبه. مَن قال هذا؟ لا بد أن أتحدث مع "روجر".

- أكد لي السيد "كيسنجر" أنه لن يتحدث معك مهما كانت الأسباب.

- يختفي خلفك إذًا؟ وضعك أنت في فُوَّهة المدفع؟

- تحدَّث "فالون" من خلال جهاز الاتصال الداخلي الـ"إنتركُم" قائلًا: "تشيري"، هلَّا أرسلتِ في طلب "بوب هيدلي" إلى هنا؟ بسُرعة من فضلكِ.

- هذا أسلوب رخيص؛ رخيص جدًّا. لا عليك، سأُغادر. لا أحب أن أكون سببًا في إزعاج الآخرين على كل حال. اطلب من "روجر" أن يتَّصل بي.

- اتَّصل به أنت.. لو كنت تعتقد أنك صديقه فعلًا.

- المُضحك أنني جئت إليك لأُريك أفضل فكرة إنتاجية على الإطلاق. هلَّا أخبرت "روجر" بذلك؟

بادر "بيلي" بمُغادرة مكتب "فالون" قبل وصول "بوب هيدلي". ليس على مكتب ما يستحقُّ أن يصطحبه معه، وليس هناك مَن يستحقُّ أن يُودِّعه، وترك المكان في رُبع الساعة. جرَّب الاتصال بـ"كيسنجر" عدَّة مرَّات، عبر كل أرقامه، ولكن "كيسنجر" لم يرد على المكالمات أو الرسائل. وسرعان ما بدأ "بيلي"، كما هي عادته، يبحث عن أي ميزة في وضعه الجديد هذا. انشغل باله بذلك وهو يقود سيَّارته بسُرعة كبيرة عبر الطريق الريفية. وثق في أن "كيسنجر" لن يبلغ عنه، وإلا فهو بذلك يُورِّط ولديه في قضية مخدرات.

ولو كان يعرف، لوجد "بيلي" سلواه في رد فعل "كيسنجر" عندما اكتشف خيانة تلميذه.

يكفيه أن يعرف أن الرجل قد وصف الأمر بـ"خيانة تلميذ لأستاذه". شعر "كيسنجر" بما يتجاوز الغضب من "بيلي". هذا جرح عميق في مشاعره. حُبُّه لذاته أصيب في مقتل. وبدأ يشك في حُسن تقديره للأمور. أحسَّ بجفاف حلقه، وبمذاق معدني مرير في فمه، وكأن جسده ارتجَّ. تولَّدت جميع المشاعر والأحاسيس وهو يشهد ابنه الصغير يُصارع الموت، قبل أن يتعافى. لم تعد قدما "روجر كيسنجر" تشعران بالراحة في حذاء "نورومبيجا" كما كان عهدها دائمًا. وليلعنه الله إن وجد نفسه في احتياج إلى "بيلي" بعد الآن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ليلة من دون نوم

شعر "جاري" أن عقله ينقضُّ عليه مُهاجمًا من كل اتِّجاه. يُفكِّر في أمر فيجد نفسه يُفكِّر في غيره. ظنَّ أنه جبان، لا يجرؤ على إرسال مجرد رسالة، ولكنه يشعر في الوقت ذاته بسعادة لأنه لم يُرسلها، لا تُباريها سوى سعادته بطرد "بيلي" من المصنع. إنه مُتيقِّن من أن سعادته بطرد "بيلي" أكبر مما كان سيشعر به لو تمَّت ترقيته، أو حصل على زيادة كبيرة في مُرتَّبه. أي رجل هو ليُفكِّر على هذا النحو؟ ولكنها سعادة وبهجة حضرت لتبقى. تعتريه من أعلى رأسه لأخمُص قدميه، وتُغلِّفه وتُهيمن عليه. سعادة أبديَّة.

راحت "مارثا" في النوم إلى جواره، وتعالى شخيرها، وهي مُطمئنة في عالم خلوتها المنشودة.

مرَّت لحظات على "جاري" في تلك الليلة وهو يشعر تجاهها باستياء شديد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إشعار

كان "كيسنجر" موجودًا بالفعل في "كونيتيكت" من أجل جلسات علاج "چورچ"، فقرَّر مقابلة شركائه في "مادريجال". بادر هو بدعوتهم للاجتماع. ولأن "كيزلوسكي" كان في إجازة، جهزوا لحضوره عبر "فيديو كونفرنس" من حيث يقيم في فندق "جراندي بريتانيا" في أثينا.

بدأ "كيسنجر" بتوجيه الشكر للجميع لما أبدوه من اهتمام بحالة ابنه، وأخبرهم أنه تعافى بنسبة تسعة وتسعين في المائة، ولا يتبقَّى في برنامجه العلاجي سوى أسبوع واحد. أما من ناحية مُجريات الأعمال، فقد لاحظ الشركاء أن "روجر" سعيد مرتاح. أهو نموذج آخر على حكمة رجال الأعمال؟ ما لا يقتلني يجعلني أقوى؟ إن الرجل الطويل القادم من "ميزوري" يجلس مرتاحًا وكأنه يهم بإلقاء نكتة.

وسرعان ما أخبرهم بأنه لم يعد مهتمًّا بمصنع الأحذية. وربما لم يلحظ ذلك أحد، ولكن الكاميرا التي تنقل صورة "كيزلوسكي" من أثينا إما أنها اهتزَّت، وإما أن هناك من حركة على نحو سيئ حتى يتسنَّى لـ"كيزلوسكي" التأكد من أن "كيسنجر" صار يرتدي الآن حذاء "نايكي" أبيض كبيرًا.

وصل الإعلان مطبوعًا، في وقت واحد تقريبًا، إلى كل عامل وفي صورة بيان صحفي. وكان "تيم فالون" قد تلقَّى مكالمة نُسبقًا، قبل انتشار الخبر بُربع الساعة. يقول البيان الصحفي إنه في يوم الخامس عشر من أغسطس 2006، قرَّرت مؤسسة "مادريجال" إغلاق مصنع "نورومبيجا" للأحذية، الذي تأسَّس منذ مائة وثلاثة أعوام في "بيلبورت" بولاية "مين"، اعتبارًا من الأول من سبتمبر 2006.

وعلَّل البيان الصحفي اتخاذ القرار بحدَّة المنافسة من المنتجات الأجنبية في هذه الصناعة، وصعوبة التحكم في تكلفة صناعة الأحذية الأمريكية، علاوة على تغيُّر أذواق المُستهلكين. وأكد البيان أن "مادريجال" بذلت جهودًا صادقة وحثيثة للتغلُّب على تلك المصاعب منذ الاستحواذ على مصنع "نورومبيجا"، وأن المؤسسة فخورة بالمصنع وعُمَّاله ومنتجاته التي لا تُبارى. وأشار البيان إلى أن وزارة العمل الأمريكية سترسل فريقًا متخصصًا في إعادة تأهيل عمال مصنع "نورومبيجا" للانخراط في سوق العمل من جديد.

كان الإشعار الذي تلقَّاه كل عامل مختومًا بتوقيع "روجر كيسنجر" شخصيًّا، ومُوجَّهًا على نحو شخصي حاملًا عبارات شكر مُفعمة بالمشاعر، علاوة على المعلومات نفسها الواردة في البيان الصحفي، ومن بعدها تحديد لمكافأة

نهاية الخدمة التي تحددت وفق مدة خدمة العامل. وتراوحت تلك المكافأة بين أجر ستة عشر أسبوعًا كحد أقصى، وحتى أجر أسبوعين للحد الأدنى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ساعة الإفطار في "ماكدونالدز"

اندلع أول خلاف بين "فوكس هيرمان" و"تيمي طومسون"، حينما حاول كل منهما إلقاء اللوم على الآخر. قال "تيمي" إن أوان ذلك قد فات، ولكنهم أخطؤوا حينما سمحوا لـ"بيلي" بالإدارة في المقام الأول، وما عانوه من أفكاره، وتحركه في كل مكان، وتدخُّله في كل شيء، وهو الذي عرفوا عنه بيعه للمخدرات، وأنه يستحقُّ أن يكون قابعًا في سجن الولاية، وليس في مقعد مدير تنفيذي.

تساءلت "مارج دوشامب" عما إذا كان مؤهلًا من الأساس لمنصب كهذا، بينما قال "فوكس" إن السبب الرئيسي هو "روجر كيسنجر"، وسوء تقديره الكارثي الذي دفعه إلى تعيين "بيلي". بينما قال "كارل إسبوسيتو" إن "كيسنجر" و"بيلي" مُدَّعيان، وكان من الطبيعي أن تكون هذه هي النتيجة. و"كارل" أحد هؤلاء الذين تم تسريحهم في الموجة الأولى، وبالتالي فإن رأيه أكثر موضوعية منهم.

من عادة "مارثا" ألا تتحدث كثيرًا خلال الصباح، مقارنة بالآخرين، ولكنها تذكر الآن حقيقة أنها سمعت بأن "بيلي" لم يكُن هو مَن يوزع المخدرات، ولكنه "مات فرانزورث"، وأن "بيلي" مجرد وسيط. علَّق "تشارلي راسل" بأنها معلومة مهمة، ولكن لا صلة لها بموضوع نقاشهم. وذكَّرتهم "دون سميث" بأن ابن "كيسنجر" كان سيموت. سخر منها "بيت هاموند" غاضبًا، ولكن "دون" تشبَّثت برأيها هذه المرَّة. قالت إنه يظل صبيًّا صغيرًا أيًّا كانت أفعاله. وربما شعر "بيت" لحظتها بالخجل من نفسه. وهو على كل حال ما كانت "دون" تتمنَّاه.

أعقب شجون النقاش هذه صمت غير مُريح. وسرعان ما بدَّدت "بيجي إيتون" و"كون بودين" ذلك الصمت بخلاف حول إمكانية أن يظهر مُشترٍ آخر للمصنع، حيث يرى "كون" أن "مادريجال"، باعتبارها المالك الحالي، لم تطرح المصنع للبيع، وأيًّا كانت أسبابها، إلا أن ذلك يعني أنه لن يكون هناك مُشترٍ ما دام المصنع لم يُعرض للبيع، ولكن "بيجي" سخَّفت من رأي "كون"، حتى وإن كان قد قاله ساخرًا، وقالت إنه لو أن هناك مُشتريًا جادًّا فإن "مادريجال" لن تُمانع في البيع، وإن على الجميع هنا ألا ينسى أن مصنع "نورومبيجا" مرَّ بأزمات أكبر من هذه عبر تاريخه، ولكنه صامدًا، وأن عليهم ألا يفقدوا الأمل في الحفاظ على مصنع آبائهم وأجدادهم. وهكذا كانت "بيجي" تقوم بدورها كمؤرخة "بيلبورت" الرصينة. تراه واجبًا وطنيًّا، ولكن هذا لا يعني أن الآخرين اقتنعوا بحرف من كلامها.

خضعوا لهيمنة الصمت من جديد. كان صباحًا شاهدًا على انعقاد ألسنة كثيرين. وبدلًا من الثرثرة الصباحية المُعتادة، كانت هناك مُجادلات قصيرة في بعض الأحيان، مثل طفرات من الحمم البركانية تستمر لثوانٍ أو دقائق، ثم يتوقَّف تدفُّقها فجأة. مزاج مُتجهِّم، يحمل ألمًا، وغضبًا، وخوفًا.

تكاد تسمع أفكار الناس الذين انهمكوا في تناول وجبات الإفطار، وكأنهم يجدون فيها السَّلوى. نادرًا ما نطق أحدهم بكلمات من قبيل البطالة وتسريح العمال، على الرغم من أن "كاثي مايتلاند" علقت بأنها ستُرحِّب بأفراد الفريق الحكومي، وهو تعليق استقبله "بيت هاموند" بضحكات مكتومة.

وقال "بيرتون مايلز" إن شيئًا لن يتغيَّر، وهي حقيقة لم يعترض عليها أحد. لم يعد هناك مَن يرغب في معارضة "بيرت" هذه الأيام، فهم يعتقدون أنه مهما كانت أحزانهم ومشاعرهم الغاضبة، إلا أنها لا تُقارن بما يعتمل في نفس "بيرت"، حتى بعد أن مرَّ عام. ما أهمية أن تفقد عملًا بعد أن تفقد ابنك؟ ولم يجد "بيرتون" من الكلمات ما يستوعب ما فيه نفسه من مشاعر ليبوح بها لناسه، وأصدقائه، وكل مَن عرفهم في حياته، ومَن تمنَّى أن يعرفه. ووسط أجواء واجمة من الشك والأفكار السوداء، سار العمال مُتخبِّطين في طريقهم إلى المصنع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حوار في جراج "جاري"

كان السباق، الذي سيُقام بعد أسبوعين، فرصة انشغال لا بأس بها. فهو في الجراج طوال اليوم، مُنهمك في إصلاح وتجهيز الـ"لنكولن" من جديد. إطارات مستعملة "جديدة"، أجزاء مستعملة لهيكلها، وأخرى من الفولاذ يثبتها في أماكن مختلفة من السيارة، وعلى الرغم من أن هذا مُخالف لقوانين السِّباق فإن الكل يفعله، والحجة أن هذا الفولاذ يحمي حياة السائق. أنفق مائتين وخمسين دولارًا، أو أكثر قليلًا. أغلق مصنع "نورومبيجا" أبوابه، ولكن "جاري" أجبر نفسه على ألا يحمل هم المال. فلو أنه فعل، لما تبقَّى شيء على الإطلاق.

وفي مساء الخميس، الذي أعقب الإشعار، ظهر "إيرل" فوق دراجة "هارلي" النارية. خمَّن "جاري" أنه جاء ليستخدم أدواته، وخاصَّةً أنه ليس لديه أدوات، ولكن حضوره لم يكُن لذلك الغرض على الإطلاق.

- هذا ظلم كبير بحق. إن الولد لا يعرف الصحيح من الخطأ. ما الذي كانوا يتوقعونه منه؛ أن يكون ملاكًا بأجنحة؟

- أي ولد تتحدَّث عنه يا أبي؟

- أنت تعرف تمامًا مَن أقصد. أتظن أنني أتحدَّث عن ذلك الصبي المُتحذلق الثري؟

- تعتقد إذًا أن "بيلي" ساذج؟ أرى أننا نحن السُّذَّج؛ جميعنا سُذَّج.

- هذا صحيح. ضحكوا علينا. مرَّقونا إِرَبًا. لا أُجادلك في ذلك. مائة في المائة.

- ولكنك لا ترى أن "بيلي" هو السبب في...

- هو السبب؟ لقد انسحق "بيلي" مع الجميع في النهاية. هو طبعًا مسؤول، ولكنهم لم يرحموه أيضًا.

- تقول إن "بيلي" ضحيَّة.

- بل أقول إنه أمر مُقدَّر محتوم له.

- لا أعترض على هذا. أتَّفق معك.. "بيلي" مسؤول، ونال ما هو مُقدَّر له.

- هل سمعت عن القِدِّيس "ويليام"؟

- هل تسمعني أنت ولو مرَّة؟

- كان الكل يكيل الاتهامات له، ومعه أخوه، وأنا أرى أنه حاول على الأقل أن يفعل شيئًا. لقد عملت مع هذا الأحمق في كل يوم، وكل ساعة. أتظن أنني وجدت بهجة في ذلك؟ لتظن ما يحلو لك إذًا. والحق أنني صرتُ أجد البهجة والضحكات في كل شيء الآن. أنا "إيرل" العجوز.

- أي قدر من الخمر تجرَّعته اليوم يا "إيرل"؟

- كلما سمع أحدهم ما لا يودُّ سماعه يتَّهم مَن يقف أمامه بالسُّكر.

- مجرد سؤال لا أكثر.

- مجرد سؤال لا أكثر.

- لم أعد أعرف كيف أتحدَّث معك يا "إيرل".

- اصمت إذًا. وأنا سأذهب. هلَّا أوصلت سلامي لزوجتك؟ بعد أن خربت حياتنا جميعًا.

- سأفعل.

- ألم تره بعد؟

- "بيلي"؟

- لم أكن لألومك لو أنك ملعون، ولكنك لست كذلك.

- هل هذا سبب مجيئك؟

- كان من المفروض أن تكون تربيتي لك أشد قسوة من هذه.

- كلَّا، لم ألتقِ "بيلي".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في الجزيرة.. الثَّالثة صباحًا

لم يكُن هناك أحد من آل "كيسنجر".. وحده الحارس "دوريس سلاتر" يجلس ساهرًا في الطابق الأرضي، بعد أن أيقظته جلبة عند الممشى الأمامي. وتحت ضوء القمر، كان هناك شبح سيَّارة رمادي، بينما يقف "بيلي" مترنحًا وهو يبول فوق الممشى، ويصيح بأعلى صوته: - يا "روج"! هل تسمح لي أن أناديك "روج"؟ أقول لك إن زوجتك خائنة كاذبة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المُواجهة

لن ينسى مُتفرِّجو السِّباق في "بيلبورت" تلك المرَّات التي أُقيم فيها تحت أمطار غزيرة، تمامًا كما لا ينسى المُتفرِّج الأصيل مباريات كُرة القدم الكُبرى التي لعبت فوق ملاعب تُغطِّيها الثلوج. ذلك العنف واليأس، ودور الحظ، وأرض الحصى والرمل، كل هذا يتضخَّم جدًّا تحت المطر. تنزلق السَّيَّارات وتتخبَّط. وعندما تسيل الدماء فإنها تلتمع فوق الفولاذ وتمتزج بالطين حتى يتحول الحدث إلى شغف جنوني أكثر منه رياضةً. وكلما زادت الأمطار غزارة، ضجَّ المُدرَّج بهتاف المُشجِّعين.

وفي الليلة التي تحدَّت فيها سيَّارة "بيلي هتشينز" الـ"هوندا سيفيك" سيَّارة "جاري هتشينز" الـ"لنكولن"، كانت التوقعات تشير إلى هطول أمطار غزيرة. قال الموقع الإلكتروني المختص بالطقس إن المطر سيبدأ من الساعة السابعة، ولكنه هطل بالفعل في الثامنة إلا الرُّبع. أمطرت على نحو مائل، ثم توقَّفت، ثم أمطرت مرَّة أخرى، مع برق أنار السَّيَّارات فبدت كزينة شجرة الكريسماس. وبحلول الوقت الذي فسد فيه مكياج المُتفرِّجات، وابتلَّت فيه ملابس المُتفرِّجين تمامًا، تحوَّلت حَلَبَة السِّباق إلى كُتَل حمراء دموية. انسحب "تشارلي راسل" منها، وكذلك "هارف فورمان"، وكان "مايك توزر" قد سبقهم بسبب مشكلات ميكانيكية، لذلك لم يشهد التحدِّي الفعلي سوى خمسة مُشاركين.

استوعب "بيلي" بروح خفيفة سُخرية الحشد. فلو أنه كان واحدًا منهم لسخر من نفسه أيضًا. وهكذا كان حال "بيلي" دائمًا. هو يعلم أنه أخفق في كل شيء. وإن كان قد أدرك بعد بضعة أيام من التأمل أن ما جرى أكثر مما توقَّعه لنفسه؛ لذلك استقبل المُدرَّج بابتسامة عريضة، وعندما دخل الحَلَبَة بالـ"هوندا" الصغيرة ووقف بجانبها كما يقتضي بروتوكول السائقين، مهما كانت ظروف الطقس. لامس قُبَّعته التي تتساقط منها حبات المطر يُحيِّي الجمهور الذي يستهزئ به. ألقى بعضهم نحوه علب الفشار، وعُلَب البيرة، ولكنه كان بعيدًا جدًّا عن متناولهم. ثم ظهر "جاري"، طاف الحَلَبَة بسيَّارته الـ"لنكولن" التي تزأر مثل أسد السيرك، وسط هتافات حارة. لم يهتم أحد ببقيَّة السيارات. كان الجمهور يعرف ما ينطوي عليه التحدِّي الحقيقي في هذا السباق.

يصعب على أحد من الجمهور أن يتحقَّق مما إذا كان الأخوان قد تبادلا النظرات أم لا. كان الأمر كما لو أن أيهما لم يرغب في إرضاء الآخر، فقد

كانت نظرات "جاري" تجوب حَلَبَة المنافسة، بينما يتعامل "بيلي" ببرود مع الجمهور. عاد المطر يهطل بقوة أكبر.

كانت المُناورات الأولى لسيارة "بيت هاموند"، حيث فكَّر في إخراج "بيلي" سريعًا، وذلك لأن الحَلَبَة التي أصبحت أصغر تلعب في صالح سيَّارته الـ"كابريس" القديمة بطيئة التوجيه، ولأنه يكره "بيلي" الذي تسبَّب في طرده من العمل. ناوش سيَّارة "بيلي" من الجانب، ولكن "بيلي" تمكن من الإفلات منه. ناوشه "بيت" من جديد، وهذه المرَّة نجح في دفعه من طرف الحلبة. أجبره على إيقاف سيَّارته فوق العُشب الذي تصاعد منه الدخان، وكاد ينقضُّ عليه مرَّة أخيرة، لكن سيَّارة "جاري" ظهرت له بغتةً، وانقضَّت على سيَّارته التي طارت وانقلبت عدَّة مرَّات، قبل أن تستقرَّ على ظهرها. بادر "بيت" بالخروج من السيارة، مُنسحبًا من السباق. يريد "جاري" أن يكون "بيلي" فريسة له وحده.

لم يتملَّك الخوف "بيلي" ولو لحظة. كان بالفعل مؤمنًا بأن الأسوأ لم يحدث بعد. وإن فاز، فإما أن يكون سعيدًا، وإما لن يكون، ولكنه الوداع المناسب في كل الأحوال، وقُبلة وداع سيتذكَّره الجميع بها. لم يستطع حتى تذكُّر سبب رغبته في التغلُّب على "جاري" بكل هذا الشغف. أدار محركه، وعاد إلى الحلبة. أخذ يدور ويدور، كما لو أن أحدًا لن يلحق به إذا استمر على هذا المنوال.

أطاح "جاري" بسيارة "شيلدون كوبي" الـ"أولدزموبيل"، قبل أن يُطارد "إد ماركام" وسيَّارته الـ"تشيكر". إنها سيَّارة تستحقُّ التحية بعد كل هذه السنوات من المشاركة وتحمُّل الصدمات، وعلى الرغم من ذلك لا تزال تُناور برشاقة، و"إد" كعهده دائمًا يُجيد المُناورة والخداع مُستغلًّا إطاراته القوية الجديدة. كان الطين أسوأ ما يكون في قلب الحَلَبة، حيث احتدم الصراع بين السيَّارتين، مثل ديناصورين عملاقين يتخبَّطان في الطين، بينما يُراقبهما "بيلي" وهو يضحك. مرَّت خمس سنوات على تلك المرَّة التي تغلَّب فيها "إد" على "جاري"، ولكن إطارات السَّيَّارة لم تكُن ذات نفع كبير وسط بحر الطين، وسرعان ما بدأت سيَّارته تترنَّح، وأخذ "جاري" يُناور ويُناور قبل أن ينقضَّ عليه بكل قُوَّة ويرتطم بخزَّان البنزين، الذي انفجر وكأن صاعقة من السماء سقطت عليه. كان المطر شديد الغزارة إلى الحد الذي انتفت معه الحاجة إلى أن يهرع رجال الإطفاء بمُعدَّاتهم إلى السَّيَّارة المُشتعلة.

ضرب البرق عمودًا في قلب ساحة السباق. كان ذلك كافيًا لأن يقرر ضعاف القلوب من المُتفرِّجين الاكتفاء بهذا القدر والرحيل، ولكن أغلب الموجودين

قرَّروا تحدِّي هذه الأجواء المُمطرة العجيبة ومتابعة ما يجري على أرض الحَلَبَة حتى النهاية.

توالت ضربات البرق في السماء مُتسارعةً، حتى إنها أنارت الحَلَبة، التي لم يبقَ فيها سوى "بيلي" و"جاري". ترصَّد كل منهما للآخر، مُنتظرًا أن يُبادر هو بالتحرك. رأى "جاري" في السَّيَّارة الـ"هوندا" نوعًا من الاستهزاء به، وكأن أخاه يشير له بإصبعه الوُسطى بكل استهتار. أما "بيلي" فرأى في سيَّارة "جاري" مجرد استعراض قُوَّة يثير شفقته، وأن ما عليه سوى أن يتحيَّن الفرصة المناسبة للنَّيْل منها.

بادر "بيلي" بالتحرك ولامس إطارات "جاري"، طمعًا في أن يحطم محور السَّيَّارة. ولما طاشت محاولته، بادر بالابتعاد، ليتوقَّف عند طرف الحَلَبَة العالي. طارده "جاري" دون هوادة.

سيطر "جاري" بسيَّارته على النَّبْذة التي يمكنه أن ينطلق منها بأقصى سُرعته نحو سيَّارة "بيلي"، الذي سارع بالابتعاد عن مساره الطيني. لم يكُن لسيارة "جاري" زجاج أمامي يحميه من موجات الطين المتطايرة، فلم ينتبه إلى حركة "بيلي" المخادعة، الذي ناور حتى أصبح في مواجهة جانب سيَّارة "جاري"، وانقضَّ بسيَّارته إلى حيث يجلس "جاري" داخل سيَّارته، في ارتطام يعلم أنه لن يؤذي السَّيَّارة بقدر ما سيؤذي سائقها.

أكان "بيلي" يقصد ما قام به؟ بالطبع يقصد، ولكنه لم يكُن يتصوَّر أن سيَّارته الـ"هوندا" الصغيرة يمكن أن تلحق بأخيه ضررًا كبيرًا.

انبعج باب سيَّارة "جاري" الذي شعر بألمٍ بالغ في أضلعه، ولكن "بيلي" لم ينجح سوى في زحزحة سيَّارة أخيه قليلًا. تحرك "جاري" بالسيارة حتى صارت وجهًا لوجه أمام سيَّارة "بيلي". كان يحتفظ بهذه الحركة للنهاية، كما هي عادة السائقين المحترفين في هذه السباقات.

ناور "بيلي"، ولكن "جاري" لحق به وانقضَّ عليه، بأسلوب يريد منه أن يجعل "بيلي" هدفًا لسُخرية الجميع. وقد نجح في ذلك، وبَدَت سيَّارة "بيلي" مثل ديك يتقافز هربًا وقد فرد جناحيه لأعلى، ولكن "بيلي" لم يكُن لحظتها يُلقي بالًا لأي شيء في الدنيا سوى محاولة التغلُّب على حقيقة أن "جاري" كان مُحقًّا دائمًا، وأنه كان على خطأ طوال الوقت. يريد أن يثبت للكل أنها مجرد كذبة.

وفي قلب البركة الطينية، وتحت الأمطار، في حَلَبَة صار البرق هو ما يُنيرها، وقف "جاري" و"بيلي" في مواجهة بعضهما بعضًا. انقضَّ "جاري" بكل قُوَّة وسُرعة على مقدمة الـ"هوندا". لم يحرك "بيلي" ساكنًا وهو يراقبه.

تحطّمت مقدمة سيَّارته ومعها الردياتير. تشبَّث "بيلي" بمقود السَّيَّارة وجسده يرتجُّ، وارتطمت جبهته بالمقود. غطَّاه الطين المُتطاير، وصار وجهه لوحة من طين ودم.

لم يكُن "جاري" يرى ما أمامه جيدًا، ولكنه انقضَّ على الـ"سيفيك" من جديد، ولكن ذهول الدنيا أصابه لما وجد السَّيَّارة الصغيرة وهي تسرع نحوه بما تبقَّى فيها من قوَّة، وتنبثق من عاصفة الطين مثل شبح خرافي صغير. توالت الصدمات والارتطامات بلا هوادة. صارت سيَّارة "بيلي" مجرد كُتلة حديدية بلا معالم، ولكنه قرر ألا يستسلم هذه المرَّة. هو حي طالما أنه يتحرَّك.

في تلك اللحظة، وفي مكان ما من "بيلبورت"، ارتطم جذع شجرة هاوية بكابل الكهرباء الذي يغذي ساحة السباق. ساد الظلام المُدرَّج والحَلَبَة، وخيَّم الصمت على الجميع، في ترقُّب وحذر، وكأنك قطعت عنهم الطاقة بدورهم. بقي البرق المصدر الوحيد للضياء، وفي نوره تأكَّدوا من أن التحدِّي بين "جاري" و"بيلي" لا يزال قائمًا.

كان "بيلي" مَن قام بالحركة الأخيرة. مثل حيوان جريح تحطَّمت أطرافه، تحرَّكت الـ"سيفيك" نحو أعلى التَّبَّة متعثِّرة. راقبها "جاري" تحت ضياء البرق. تحرك بسيَّارته بعيدًا عن مسار سيَّارة "بيلي" المتوقع، ولكن الطين حول الإطارات أبطأ حركته جدًّا على الرغم من محاولاته. وانقضَّ "بيلي" هذه المرَّة على الجانب الآخر من سيَّارة "جاري" بما تبقَّى في سيَّارته من قوَّة، وكان الارتطام شديدًا حتى إن بطارية سيَّارة "جاري" قفزت من مكمنها. ماتت السَّيَّارتان، وأنهك السائقان. ولم يسع الحكام سوى إعلان انتهاء التحدي بالتعادل. تعالت هتافات المُتفرِّجين حائرة، وكأن الأمطار غسلت قلوبهم وطهَّرتها.

أُلغيت مراسم توزيع الجوائز بسبب انقطاع الكهرباء، ولكن المُتفرِّجين انصرفوا تباعًا وهم على قناعة بأنهم قد شهدوا أحد أفضل السباقات في حياتهم، خاصَّةً في ظل هذه الأجواء الغريبة وانقطاع الكهرباء في النهاية. وتقاسم "جاري" و"بيلي" جائزة الخمسمائة دولار التي قدَّمتها شركة "أكسلسيور سبورتس."

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تَدَاعٍ

على الرغم من صعوبة أن يُصاب "جاري" خلال السِّباقات، فإنه كان مُصابًا بالفعل بعد السِّباق هذه المرَّة. وخلال عُطلة نهاية الأسبوع، سهرت "مارثا" على رعايته. قبع في مقعده الجلدي الوثير مُريحًا يديه فوق مسندي المقعد، وكأنه يريد أن يؤكد من جلسته هذه أنه لا يجد راحته الحقيقية إلا في منزله، بينما ضمَّدت هي رأسه وذراعيه وقدميه، وأخذت تُدلِّك عُنقه لتسترخي عضلاته.

كانت قد لفَّت أضلُعه كلها برباط طبي خاص. لم تكُن تلك هي أول مرَّة تمارس فيها دور المُمرِّضة بعد السباق، ولكنها أصعب مرَّة. مرَّت عليها لحظات كانت تُصلِّي فيها لأجل حياته، وكذلك صلَّت لأجل "بيلي"، حيث بدا لها الأمر وكأنهما اعتزما القضاء على بعضهما بعضًا. كانت "مارثا" تجلس مع "جاري" في غُرفة المعيشة الصغيرة داخل منزلهما خمسيني الطراز، وقت أن نزل "جيروم" من الطابق العلوي، وقد بدا أنه لا شيء آخر يمكنه أن يفعله في أمسية السبت هذه خلاف ألعاب الفيديو. في عينيه النظرات المُعتادة نفسها، الخالية من أي تعبير: - أمي، شاهدت شيئًا عبر الإنترنت. ألا تعرفين ذلك الرجل "رافي"؟

- "رافي بانيرجي"؟

- أظن هذا. أليس هذا هو الـ...

- أنا لا أعرفه إلى ذاك الحد.

- إنه مطلوب.

توقَّفت عن تدليك رقبة "جاري": - ما الذي تعنيه بأنه مطلوب؟

- تعرفين قصدي.

- تقصد أن الشرطة تبحث عنه؟

- أتريدين أن أعرض عليكِ الإعلان؟

- أنت تمزح؟ لست في مزاج يتحمَّل المزاح يا "جيروم".

- لست أمزح.

أما تفاصيل ما جرى فهو أن "رافي بانيرجي"، المحاضر الهندي ومؤسس "سبارك أوف لايف" في "ديربورن"، ميتشيجان، والضيف الدائم على محطة التليفزيون الوطنية، اختفى فجأةً، وكانت آخر مرَّة شوهد فيها في منطقة "ليتل روك" في "أركانساس". ويقال إنه قُبيل اختفائه في الثالث من أغسطس سحب مبلغ مائتين وستة وخمسين ألف دولار من الحساب البنكي الخاص بمؤسسة "سبارك أوف لايف"، والتي خضعت مؤخرًا للتفتيش من مصلحة الضرائب. وقد أبلغ مسؤولو المصلحة الشرطة باختفائه.

دفعت "مارثا" بالإضافة إلى الدفعة الأولى مبلغ خمسمائة وخمسين دولارًا أخرى لصالح "رافي"، حتى تخرج من أسر الآمال الزائفة وتحصل على صحوة الحياة التي تنشدها. نظرت إلى "جاري" وهي لا تصدق ما تسمعه.

لكن تلك هي الحقيقة، والكمبيوتر بالأعلى إن كانت تريد أن تتيقَّن من ذلك.

تمالكت "مارثا" أعصابها إلى أن يخرج "جيروم" من المنزل. أعطته نقودًا ليذهب لتناول البيتزا. وهناك في الأعلى، في غُرفة نومهما، التي لجأت إليها هي وزوجها وكأنهما يبحثان عن الأمان فيها، أو أملًا في صفاء الذهن، نظرت إلى "جاري" وكأنها تقول له: "ما الذي جرى؟" كان من الصعب عليها أن تنطق بالسؤال. أخذت تعتذر، وهي تهزُّ رأسها في عدم تصديق، وتلوم نفسها على المال الضائع، سواءً عثروا على "رافي" أو فلت منهم. لم يكُن "جاري" يُجيد فن الطمأنة، فاكتفى بأن احتضنها في ذراعيه المُتألِّمتين. إنه لا يحب أن يراها ترتجف وتبكي. لم يعتد منها هذا الانهيار. وربما كانت هذه مشكلته. شعر بدفء دموعها على قميصه. أخبرها ألا تقلق بشأن المال، لأنه قادر على كسب رزقهم. ومازحها قائلًا إنه كان قادرًا على تحطيم "بيلي" أكثر، ليكسب مائتين وخمسين دولارًا أخرى.

قالت "مارثا" وهي لا تزال في حضنه، وقد خفَّ ارتجاف جسدها بعض الشيء: - عليك أن تزوره..

- "بيلي"؟

- ومَن غيرك ليعتني به؟

-لا أدري إن كان هذا صوابًا.

- افعلها وحسب، من فضلك.

وهكذا فعل، في اليوم التالي. ذهب إلى حيث يعتقد أن "بيلي" يعيش، في تلك الشقَّة فوق بار "رالفي"، ولكن "بيلي" تركها. لم يترك خلفه أي متعلقات، ورحل بسيَّارته الـ"بي إم دبليو"، حسبما أخبره "رالفي".

المُفاجأة

أمضى القس "جون كيجلي" ساعات قبل الاجتماع في تذكير نفسه بكل ما لا ينبغي له قوله. لا ينبغي له أن يقول إن الرأسمالية أضحت وحشًا لا يرحم منذ انهيار الاتحاد السوفيتي. لا ينبغي له أن يقول إن الرأسمالية لم تعُد بحاجة إلى أن تتوارى خلف ذاك القناع الجميل لتكسب قلب وعقل العالم. كما أنه ليس من الحكمة أن يقول إن رأس المال تغلَّب على العمل الحقيقي اليوم، بعد أن صار بمقدوره الانتقال إلى أي مكان في العالم بضغطة زر، بينما تعاني طبقة العمال التقسيم والتهميش والاقتتال في طريقها نحو تلك الهوة السحيقة. وليس له أن يزعم بأنها لو كانت لعبة فلا بد أنها أشد الألعاب ظلمًا، فلا توجد أي لعبة في العالم يمارسها كل طرف من أطرافها بقواعد مختلفة عن الطرف الآخر. تلك أفكار قرأها واقتنع بها، ولكنها لن تعني أي شيء لأهل "بيلبورت" اليوم تمامًا كما كانت بالنسبة لهم العام الماضي، أو في أي عام مضى. سيستمعون إليه بآذان متجاهلة، وأيًّا كان ما سيقولونه، أو ما سيحتفظون به لأنفسهم، فلن يختلف كثيرًا عما اعتقده "جاري هتشينز" ذلك الحين. على أنهم سيأخذون عنه فكرة مفادها أنه مجرد رجل غريب عن البلدة يحرضهم بأفكار شيوعية.

الأفضل له أن يتحدث عما يتوجَّب القيام به هنا والآن. من الأفضل له أن يعتمد على آل "بيرمان"، مثلًا، الملاك السابقين للمصنع، وقد سبق أن تحدث معهم يحاول إقناعهم بالمجيء من فلوريدا، بل عرض عليهم دفع ثمن تذاكر الطائرة من ماله، إلا أنهم تكرَّموا بقبول العرض ورفض أن يتحمَّل هو تكاليف الرحلة.

وصل آل "بيرمان" متأخرين. دائمًا ما تتأخَّر الطائرات في "بانجور". أرسل "كيجلي" "تينا" لاستقبالهم وإحضارهم من المطار، واهتم هو بالتحضير للاجتماع واستهلاله. وكان أول ما بدأ به هو أن اعتذر عن شعار الاجتماع السابق: "في المرَّة القادمة لا بد أن نكون مُستعدِّين". كانت كلمات أقرب إلى صداع مرير. هل استعدوا؟ هل ساعدهم بما يكفي ليستعدوا؟ كلَّا، يشعر أنه خيَّب آمالهم، وطلب منهم الصفح، أو هذا هو ما قاله على الأقل، وهو يأمل أن تُضاهي كلماته مشاعره.

كان أكبر حشد تشهده الكنيسة، عدا يوم جنازة "ميكي مايلز". كان الحشد هذه الليلة يُضاهي ذاك الذي اجتمع يوم الجنازة. ولكن، هل لهذا أهمية؟ ربما اهتم بذلك القس "كيجلي"، وهو واقف هناك في منبره؟ كأنه يتوسَّل شيئًا ملموسًا، شيئًا يمكنه قياسه وتقديره فيكسبه الثقة التي يفتقدها. حضر

"جاري هتشينز"، حيث جلس في آخر صف، فكان بمثابة ملاذ أمل. وكذلك حضر "شون" و"كريستين بيريك"، وكانا يتحدثان عن بيع قاربهما، وإن كانا غير متعجلين، ويمكنهما التمهُّل حتى نهاية الصيف قبل أن يحسما ذلك. هذا ما أخبرت به "كريستين" "دوت بودين"، بنبرة متشائمة لم يكُن أحد ليتوقعها من "كريستين"، كما لو أن سوء الحظ المُعادل الأكبر بالفعل للحياة الذي يجب الاعتراف به.

صادفت توسُّلات "كيجلي" التي أكسبها أكبر قدر ممكن من الصدق قبولًا وورعًا لدى الحاضرين، بصيحات خرجت صادقة قدر ما أمكنها هي أيضًا، على أنها لم تكُن لتتغلَّب على الارتباك والتوجُّس الذي هيمن على القاعة. عقب ذلك، شرع "كيجلي" في سرد تفاصيل الاجتماع، وطلب من "بارت بارنز"، مدير البلدة، أن يطرح على الحضور وجهة النظر الحكومية. وكان "بارنز" رجلًا ضئيل الحجم، ومقوس الأنف، في وجهه نمش، ويفتقد لأي شعبية في "بيلبورت" على الرغم من بقائه في منصبه لثلاث سنوات، ربما لأنه ذو طبع مُتحفِّظ، أو لنبرة صوته الجهورية المُصطنعة التي يتحدث بها دائمًا، وكأنه تعلَّمها خصيصًا لهذا المنصب في أحد الأماكن التي تُدرِّب معلقي الإعلانات التليفزيونية، مثلًا. كما أنه في الأصل قادم من "نيو هامبشاير"، التي انطبع في أذهان أهالي "بيلبورت" أنها أبعد بكثير من "ميتشيجان" التي حضر منها "كيجلي".

ظن "بارنز" أنه قد أتاهم بأخبار لطيفة. فصحيح أن البلدة صارت الآن محرومة من إيراد الضرائب التي يسددها المصنع، والتي تُوفِّر للبلدة قرابة أربعين في المائة من دخلها، ولكن لجوء البلدة، بنصيحة من "بارنز"، إلى تأسيس صندوق للأزمات يؤتي ثماره الآن، ولن تشعر البلدة بأزمة مالية لعامين قادمين على الأقل، وخلال تلك الفترة سيكون من المؤكد تم التوصل إلى مصدر آخر للدخل. استقبل الحضور كلام الرجل بعدمِ اهتمام، فهو يبدو أنه يخدم كرسيه ونفسه في المقام الأول، خاصةً وهو يُذكِّرهم بأن الصندوق فكرته. ولما أدرك الرجل أنهم غير مُمتنِّين له إلى الحد الذي توقعه، بدأ يفكر في مستقبل جديد له في إحدى بلدات "وايمونج" أو حتى في فلوريدا؛ فلربما وجد هناك احترامًا أكبر ومناخًا أفضل. وقف الرجل بعد أن انتهى من كلمته، التي لم يصفق لها استحسانًا سوى القليل من الحاضرين، ليتلقَّى الأسئلة، التي انهمرت عليه كالمطر. ماذا لو فشلنا في التوصل إلى حل لمصدر دخل جديد للبلدة؟ أي البنود التي ستعاني من خفض الميزانية أكثر؛ المدرسة، أم إدارة الإطفاء، أم الطرق؟ وماذا عن الصالة الرياضية الجديدة للمدرسة الثانوية، هل سيتوقَّف مشروعها؟ أم سيُلغى من الأصل؟ هل

تحددت الأولويات؟ وما دور الولاية في هذه الأزمة؟ هل تواصل مع مكتب حاكم الولاية؟

أجاب مدير البلدة عما أمكنه من تلك الأسئلة. قال إن الولاية سترسل أخصائيي علاقات العمال للتنسيق مع الفريق الفيدرالي المختص بأزمة العمال. وقال إن من المبكر للغاية الحديث عن إجراءات تقشُّف، فلا يزال هناك مُتَّسع من الوقت قبل أن تسوء الأمور. لم يكُن الجالسون أمامه مرتاحين لتلك الإكليشيهات التي يسمعونها، ولكنهم انتبهوا لموضوع الفريق التنسيقي ذاك. فهم يعرفون أن خبرًا مثل هذا المراد به خداع الجميع بأن هناك خطوات تُتَّخذ مع أن الحقيقة خلاف ذلك. وعلى الرغم من همس "بيج إيتون" بكلامها، فإن صوتها كان مسموعًا كفاية وهي تعبر عن عدم اقتناعها بما يجري.

كان البند الثاني في أجندة الاجتماع هو السيدة "نيل ويتون"، التي قدمها "كيجلي" للحضور واصفًا إياها بأنها ممثلة لأحد متاجر الأحذية الكبيرة في "بورتلاند" التي لا تزال صامدة أمام متاجر الأحذية المستوردة. وقد أحضرها "كيجلي" في واقع الأمر لغرض وحيد؛ أن تطمئن الجميع بأن أحذية "نورومبيجا" لها زبائنها في "بورتلاند"! ولكن السيدة "ويتون"، النحيلة ذات الشعر الناعم المُسترسل، والذي يجعلها تبدو أطول قامة مما هي عليه في الحقيقة، لم تكُن لتقطع كل هذه المسافة لأجل تلك الجملة الترويجية فقط. لقد أرادت لهؤلاء العمال الرائعين في "مين" أن يعرفوا بأن زبائنها يحبون أحذية "نورومبيجا"، وأنهم أعجبوا بالموديلات الصيفية الجديدة، وتلك التنويعات على الموديلات الكلاسيكية، وأن رجال الأعمال يحرصون على شراء أحذية الـ"كوردوفان"، حتى إن الزبائن ما إن عرفوا من الصحف أن المصنع يغلق أبوابه حتى هرعوا إلى المتجر ليبتاعوا الأحذية، تحسبًا لاحتمال أن يكون المتاح هو آخر ما سينتج منها.

أثناء ذلك، كان "كيجلي" يرمق ساعته وهو يتساءل عن سبب تأخر وصول آل "بيرمان". إنهم مفاجأته التي لم يخبر بها أحدًا، وأبرز فقرة في اجتماع الليلة الذي أعد له خير إعداد، ولكن هذا لا يعني أنه غير مُمتنٌّ لحضور "نيل ويتون". لقد نجحت في إيقاظ حماسة الحاضرين بالفعل. وكانت تأكيدًا لما تمنَّوا سماعه. وشعر "كيجلي" أنه قد نجح تمامًا في فكرته بإحضارها.

كان يودُّ أن يعرف الجميع أن مصنع "نورومبيجا" مشروع رابح؛ والمشروع الرابح لا يختفي هكذا وحسب. وهي ليست مسألة إيمان فحسب، بل واقع ملموس. وكل ما عليهم هو العثور على المشتري المناسب للمصنع! وكيف لا يمكن أن يكون هناك مُشترٍ، في مكان ما، لمصنع ينتج تلك المنتجات

الجميلة والعملية، والتي وجدت لها أسواقًا جديدة شهرًا بعد الآخر، وخلقت زبائنها الراغبين فيها؟ تلك هي الحقيقة السرية، في هذه الأيام هناك أشخاص لديهم أموال وآخرون لا يملكون مالًا، وإذا أردت الحصول على المال بنفسك، فيجب أن يكون لديك شيء يريده الأشخاص الذين لديهم المال. وهم قد فعلوا ذلك، وبين أيديهم ما يمكنهم بيعه فعلًا، وهي حقيقة تؤكدها أرقام المبيعات، وكل ما عليكم الآن هو الاستماع إلى السيدة "نيل ويتون".

ربما كانت هذه أفضل عظة ألقاها القس "جون كيجلي" على الإطلاق، وأكثرها إثارة على أي حال، حيث كان مضمونها أقرب ما يكون إلى قلبه وإلى غضبه، لكن هذا لم يمنعه من القلق على تغيب آل "بيرمان". لأنه أخبر الجميع بالفعل أن هناك مفاجأة لهم الليلة. ليس مُشتريًا، ولكنها على أي حال مفاجأة خاصة، من شأنها أن ترفع من معنوياتهم وتقدم لهم نصيحة جيدة بشأن الخطوات التي يجب اتخاذها بعد ذلك، وبشأن الدَّرب الذي عليهم أن يقطعوه. بحلول ذلك الوقت، كان الاجتماع قد بدأ يفقد إيقاعه، ولما استشعر ذلك فتح باب النقاش.

لم يكُن أمام أهل "بيلبورت" سوى مُجاراة هذه المُماطلة لكسب الوقت. بدوا مُتشبِّثين بالأمل. ووقف الواحد تلو الآخر يتحدثون عن أشياء طالعوها على الإنترنت، فيها استحسان لمنتجاتهم؛ من زبون هنا، أو متجر مرموق هناك. وكان لدى آخرين حكايات أخرى؛ من قبيل قريب في "ألباني"، أو "نيويورك"، اشترى حذاء من منتجات المصنع وأعجب به لدرجة أنه يرتديه كل يوم. إنها مثل حبات أمل تتجمَّع إلى بعضها بعضًا. وفي تلك الأثناء، وأخيرًا، حضر آل "بيرمان"؛ شخصان ضعيفان، يرتديان ملابس صيفية فضفاضة، وتدفع "تينا مايلز" السيدة "بيرمان" على كرسيها المتحرك، ثم "هال بيرمان" الذي يحمل على ذراعه سُترة زوجته الكتانية البيضاء.

كانت مفاجأة بالفعل. ولم يكُن على "جون كيجلي" التعليق بأي كلمة. ولولا غياب الموسيقى لظننت أنها مراسم حفل زفاف حقيقي، حيث وقف الجميع والتفتوا، مثلما يحدث في تلك المناسبات الرتيبة. وشجعهم "كيجلي" ألا بأس في التصفيق، وبدأ بنفسه. ووسط التصفيق، استقبل "هال" بعناق سعيد وانحنى ليلثم وجنة "هيلدي."

وربما تفهم التعبير المضطرب على وجه "هال بيرمان" على أنه حيرة بشأن كل ما يدور حوله من صخب الآن، ولكن "كيجلي" لم ينتبه لذلك، وهو يعود لمخاطبة الحضور مرَّة أخرى، مُذكِّرًا إياهم بالأعوام التسعة عشر التي أدار فيها آل "بيرمان" مصنع "نورومبيجا" بنجاح، وخبرة "هال بيرمان" واسعة النطاق في مجال صناعة الأحذية. بينما اعتقدت "مارثا هتشينز" أن تلك

المجاملات هي السبب في ارتباك "بيرمان"، فهي تتذكّر أنه كان رجلًا متواضعًا خجولًا للغاية. تابع "كيجلي" كلامه:

- لقد طلبت من "هال" و"هيلدي"، اللذين تعرفان أنني لم ألتقهما شخصيًّا من قبل، ولكنني اتصلت بهما قبل أيام قليلة، من دون موعد مُسبق، وعرَّفتهما بنفسي، وطلبت منهما التكرُّم بما لديهما من خبرة ومشورة تعيننا في هذه الأزمة واللحظات الصعبة، ولم يتردَّدا ثانيةً. قال لي "هال" إنه سيبدأ على الفور في تحليل البيانات المالية للشركة، ومن ثم مخاطبة مُشترين مُحتملين. وقال إنه موجود دائمًا وفي خدمتكم طالما كنتم بحاجة إليه. وها هما هنا الليلة، ماذا لديك لتشاركنا إياه يا "هال"؟

وقبل أن تبدأ جولة ثانية من التصفيق، هزَّ "هال بيرمان" رأسه يطلب منهم التوقف. يبدو أنه لا يريد التصفيق. وتمتم بكلمات لا يمكن سماعها، وربما سمعها "كيجلي" الواقف قريبًا منه. ناول القس السيد "بيرمان" المايكروفون. الآن يمكن سماع صوته المُتحشرج بصورة أوضح، وهو يقول بكل حزن:

- ليست لديَّ أخبار سارَّة.

لو كان القس "كيجلي" محاميًا، لكان قد أدرك أن ليس عليه أبدًا أن يطرح سؤالًا لا يعرف الإجابة عنه، ولكنه ليس بمُحام. لذلك، ضاقت عيناه خلف نظارته بإطارها المعدني، كما لو أن ألمًا عسيرًا يعتريهما.

قال "بيرمان":

- المشكلة هي أن لديكم مُنتجًا جيِّدًا، وعمالًا جيدين، ومبيعات جيدة، ولكن الشركة نفسها مُكبَّلة بالديون. مَن هذا الذي يمكن أن يشتري شركة مدينة؟ لقد سلبها المُلَّاك الحاليون كل أموالها. وهناك قروض فوق قروض. لا بد أنهم فضلوا مصلحتهم على مصلحة الشركة. حلبوها تمامًا قبل أن يتركوها لمصيرها.

- هل بوسعهم القيام بذلك؟

- ماذا؟ هذا ما يقوم به أمثالهم في كل وقت. يشترون الشركات ويستنزفونها.

انعقد لسان "كيجلي"، وبدا وكأنه بلا ذاكرة. وقف جامدًا لا يعرف في تلك اللحظة أين هو تحديدًا.

انتبه "بيرمان" إلى ما أحدثه من صمت ثقيل خيَّم على الجميع في القاعة، فقال:

- أنا آسف لكوني أنا مَن صدمكم بالحقيقة.

علَّقت "هيلدي بيرمان" بصوت خفيض:

- أرجو ألا تقتلوا المرسال.

لم يكُن بجُعبتها مايكروفون، فخرج صوتها أشد شحوبًا من وجه زوجها. وبدا أن أحدًا لم يسمعها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وتمضي الأيَّام والحياة بـ"Wsbealport1"

كان في عقل "Wsbealport1"، المعروف أيضًا باسم "بيرتون مايلز"، تقدير شبه دقيق للإمكانيات المالية لرفاقه في منتدى "جنود الشتاء" الإلكتروني، ولكنه شعر في الوقت ذاته أنه في الفضاء الافتراضي هذا لا يمكن أن يكون مُتيقِّنًا من هويَّة مَن يتحدث معهم على الطرف الآخر. هكذا قرَّر أن يكتب في غُرفة الدردشة الرسالة التالية:

"على كل مَن يعرف واحدًا من الأغنياء الرَّاغبين في استثمار بضعة ملايين في مشروع تجاري مُربح يدعم به العمال الأمريكيين أن يتواصل معي".

وكان من الطبيعي أن يهتم الأعضاء برسالته. قال "Wsfrankr" إن أحدًا من جيرانه ليس بهذه المواصفات، ولكنه يؤمن بمقدرة العامل الأمريكي، ومؤمن بأن الجودة هي التي تنتصر في النهاية. وتلقَّى "Wsfrankr" بعدها نصيبه من الردود الساخرة غير المقتنعة. ومن ناحيته، عاد "Wsstormboy" إلى مُقترحه الخاص بتنصيب "ميكي مايلز" شهيدًا رمزيًّا للقضية. واعتذر إلى "Wsbealport1"، وأخبره أنه الآن صار يُدرك أن ما كان "ميكي" يُقاتل لأجله قضية أكبر منهم جميعًا، وأيَّده "Wslancaster3". بينما انتقدهم "Wsformerfratboy" لأنهم وقعوا مُجدَّدًا في خطأ الابتعاد عن مناقشة الموضوع الأصلي، والذي يتمثَّل الآن في إذا ما كان أي منهم مليونيرًا أو ملياردير‌ًا، ولكنَّ أحدًا منهم لا يعرف شخصًا بهذه المواصفات، وحتى إن كان أحدهم يعرف فلا بد أنه لن يذكر ذلك. ذكر "Wsbigtime88" "بيل جيتس"، ولكنه بالطبع لا يجرؤ على الزعم بأنه يعرفه معرفة شخصية. واقترح عليهم "Wsnorwalk1" التواصل مع عائلة "روكفيلر". وعلى الرغم من تحذيرات "Wsformerfratboy"، أعاد "Wsstormboy" نشر صورة لـ"ميكي مايلز" في زي الصيد كان "بيرتون" قد نشرها من قبل، واقترح عليهم أن يثبتها كل عضو على شاشة الكمبيوتر الخاص به وأن يستخدمها في كل منشوراته.

وبادر كل من "Wsfarmingdale"، و"Wsgeorgewashingtonbridge"، و"Wsnathanhale14"، و"Wspeapodonthecape" بالتنفيذ على الفور. شكرهم "Wsbealport1" على ما يُبدونه من تعاطف ومشاعر صادقة، وقال إن "ميكي" ابنه كان سيشعر بفخر عظيم لما يجده من هذا

التكريم، ولكنه لمَّح إلى أن خطوات كهذه لن تعيد مصنع الأحذية إلى الحياة من جديد. عندئذٍ، نصحه "Wsstormboy" بأن عليه تجربة سبيل جديد.

وهل لعاقل أن يجادل نصيحة كهذه؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

السِّر

كان ذلك يساوي أن يصادف والده داخل بيت دعارة. بالكاد يعرف "جيروم" ما هو بيت الدَّعارة، من بعض معلومات عبر الإنترنت، حتى وإن كان بعيدًا كل البُعد عن زيارة مثل تلك الأمكنة، أو حتى معرفة أين تكون. تخيَّل وجود واحد في "بانجور"، وخاصَّةً أن "بانجور" هي النموذج المرادف في مُخيِّلة "جيروم" لكلمة مدينة. أو هناك في "بريور"، أو قُرب مكان عليه لافتة مكتوب عليها "موديلات حقيقية من أفلام البورنو" تغطي واجهة كاملة، بحيث لا يتسنى لك أن ترى ما يجري وراء تلك الواجهة. تصلَّب عُنق "جيروم" عدَّة مرَّات وهو يحاول أن يسترق نظرة من داخل المكان كلما مرَّت بهم السَّيَّارة إلى جواره. ولكن، رؤية والدك وهو يدخل بنفسه إلى بيت دعارة شيء أشبه بمشاهد السينما؛ شيء من الخيال. أما حقيقة ما جرى فربما تكون أفدح من ذلك، وهي كالتالي؛ يحرص "جيروم" على تنظيف سلَّة المهملات الإلكترونية على سطح المكتب في الكمبيوتر، ويحرص أكثر على التأكد من محتويات السلَّة قبل حذفها، تحسبًا لأن يكون قد ألقى فيها بملف عن طريق الخطأ. وذات مرَّة، وجد فيها الرسالة التي كتبها "جاري" إلى "روجر كيسنجر". صار "جاري" يعرف عن الكمبيوتر ما يكفي لأن يُجيد حذف الملف بعد طباعته، ولكنه لم يكُن يعرف أن عليه أن يفرغ السلَّة ذاتها. هكذا، وجدها "جيروم" أمامه، وفتحها بدافع الفضول لمعرفة ما كان يدور في خاطر والده ليس إلا.

ومنها عرف الكثير. لقد طردوا عمه "بيلي" من العمل، ليس هذه المرَّة التي كانت منذ أسبوعين، بل في موقف سابق اكتشفوا فيه أنه كان يبيع المخدرات. والده هو مَن فتن عليه. والده فتَّان؟! ظلت الكلمة تكبر وتكبر في عقل "جيروم"، حتى ولو كانت كلمة ساذجة لا تعكس كثيرًا من المعنى الحقيقي لما فعله والده بحق. كانت تعكس الحقيقة، ولكن ليس كل الحقيقة.

الخلاصة هي أن والده السبب في إغلاق المصنع. هل هناك من استنتاج آخر يمكن لـ"جيروم" أن يتوصل إليه خلاف ذلك؟ والده هو مَن أرسل هذه الرسالة السرية التي حذرت ونبَّهت السيد "كيسنجر" بشأن "بيلي"، وبعدها طرد "بيلي" وأغلق المصنع. شعر "جيروم" أن هذا المنطق مثل خوذة فولاذية تعتصر عقله. إنها حقيقة حتمية لا مهرب منها. وكلما حاول التفكير في أمر آخر، يجد نفسه يرتد إلى هذه الفكرة. وجد أن والده ليس الرجل الذي ظنه. والده فتَّان. لدى والده سر، و"جيروم" حصل على هذا السر.

كان الجميع يتساءل عما يشغل بال "جيروم"، لكنه لم يخبرهم. يكفيه أن يعرف مثل هذه الحقيقة، فإلى أي مدى قد يسوء الحال لو أنها خرجت إلى العلن؟ لو أنه باح بها؟ وكم هو أسوأ إن عرف الناس الحقيقة بسببه؟ كان يشعر أنه أقوى من والده. شعر أن والده يحتاج إلى حمايته هو، حتى لو كانت تلك الحماية تتمثل في أن يحمي "جاري" من نفسه. يجب ألا يتردد. صار ينظر إلى والده فيرى شخصًا ضعيفًا مرتبكًا، لذا حاول ألا ينظر إليه على الإطلاق. وحتى أثناء تناول العشاء، كان يأكل بسُرعة ويجيب عن أي أسئلة بإجابات مختصرة بلا معنى في بعض الأحيان، ثم ينهض عن الطاولة.

تكهنت والدته بأنه قد يكون مُغرمًا واقعًا في حب، ولكن ذلك لأن "مارثا" تودُّ الركون إلى الجانب المُتفائل من الأمور، خاصة بعد موجات مُتوالية من الأخبار السيئة. وطمأنت نفسها بأن لحالته علاقة بإغلاق المصنع. وقال "جاري" إن الأمر قد يكون كذلك، حتى إنهم أرسلوا أخصائيين إلى المدارس ليتحدثوا إلى الصغار بشأن ما قد يحدث مُستقبلًا لذويهم، لطمأنتهم، وربما للكذب عليهم. وحاول "جاري" أن يفتح هذا الموضوع بالذات مع "جيروم"، ليخبره أن ثمن المنزل مُسدَّد بالكامل تقريبًا، وأنه ووالدته سرعان ما سيحصلان على وظيفة أخرى، لأنها لا يمكن أن تكون نهاية العالم.

استمع "جيروم" إليه من دون اكتراث. بدأ يُدرك على مرِّ الأيام الماضية أن ليس هناك سوى سبيل وحيد للخروج من هذا المأزق. أن يخبر والده أنه يعلم. عندئذٍ، على الأقل، يتشارك شخصان السر نفسه، ولكنه كان يخشى أن يكرهه والده حينئذٍ، لأنه عرف، ولأنه باح، ولأنه لم يصدق والده. أليس هذا ما هو عليه الآن، أنه يكذب أبيه؟ هناك ملف غبي على الكمبيوتر يقول هذا عن والدك وأنت صدَّقته؟ الكمبيوتر لا يكذب، لا يزعم عبارات ويُزيِّف كلمات، بل يفعل ما يُملى عليه وحسب. هذا أمر من الأمور التي لا يزال "جيروم" يؤمن بها.

قرَّر "جيروم" الخروج إلى الجراج والتحدث معه. بدا له ذلك تصرُّفًا رجوليًّا. شعر حينئذٍ أنه صار أطول؛ على الرغم من أن طوله ستة أقدام بالفعل. سيتخلَّص من تلك الكلمات التي تخنقه، حتى لو كان سيرتجف كما هو يرتجف الآن. دسَّ يديه في جيبيه حتى يسيطر قليلًا على ارتجاف جسده، وراح من الشرفة الخلفية إلى الجراج، الذي لم يكُن مُعتمًا تمامًا، فقد كان فيه مصدر ضوء. كان "جيروم" يحب الوجود في جراج والده. فيه رائحة "جاري"، ومعنى أن تُنجز شيئًا.

كانت السَّيَّارة الـ"لنكولن" في حالة يُرثى لها. أخبره "جاري" من قبل إن إصلاحها سيستغرق إلى حد كبير طوال العام حتى تعود إلى حالتها الأولى.

كان "جيروم" غائبًا عن الجراج منذ فترة، فاعتبر "جاري" حضوره بُشرى سارَّة وبادر بالتحدث معه بالطريقة التي كان يفعلها دائمًا عندما يكونان هنا؛ حول التفاصيل الميكانيكية.

استغرق "جاري" في العمل. كان أسفل السَّيَّارة. يراقبه "جيروم" بعينين لا تصدقان ما ترياه. ولم يسعه سوى النطق بهاتين الكلمتين من فم جاف.

- عمل جيد.

- أنت تسخر مني. لا أراها إلا كتلة من الخُردة.

يشعر "جاري" براحة حينما يتلفَّظ بألفاظ كهذه. يلجأ إليها حتى يتأكد من أن كل شيء على ما يُرام بينه وبين ابنه. لطالما كان الجراج المكان الذي يشعر فيه "جاري" بأنه حر في أن يخبر ابنه بحقائق الدنيا.

و"جيروم" يعرف هذا. أراد أن يضحك، لأن الأمور بدت كما لو كانت هكذا دائمًا. كان من الجيد أن يكون في مكان يتناقض فيه كل شيء مع ما يعرفه، وحيث لا تزال الهيمنة للماضي، ولكنه لم يستطع أن يضحك. ذاك الإيهام ليس قويًّا بما فيه الكفاية. يشفق على والده، المُمدَّد على الأرض، ونصف جسده تحت هيكل السيارة، وهو لا يعرف أن هناك مَن كشف سرَّ . فإذا كان والده هو مَن تسبَّب في أن تخسر "بيلبورت" كل شيء، فلماذا لا يبدو عليه ذلك؟ لا بد أنه وحش بلا قلب إذًا.

حاول مُجدَّدًا أن يتحدث إليه:

- أبي...

- ماذا بك؟ أتودُّ أن تخبرني بشيء؟

لكن كلمات "جيروم" تاهت منه. أخذ عقله يتخبَّط بين الاحتمالات. هل يكذب، هل يُصدِّق، هل يقول شيئًا، هل لا يقول أي شيء؟

وجد أنها احتمالات عبثية. وتمنَّى لو أنه لم يدخل الجراج. صار الموقف أسوأ من ذي قبل.

- أجل.. أجل.. كنت.. كنت أفكر في الذهاب إلى "هانكوك".

ترك "جاري" المفك من يده، على الرغم من أنه لم يبدُ متفاجئًا بحق. الشيء الوحيد الذي فاجأه هو أنه عرف أن هذا ما كان يدور في ذهن "جيروم". شعر براحة حقيقية. الذهاب إلى "هانكوك". حسنًا، لمَ لا؟ عندما تمهل "جاري" وفكَّر في تلك الخطوة، وجد أن رأيه تغيَّر في هذا الشأن.

"بيلبورت" في طريقها إلى مصيرها البائس المحتوم على أي حال. كان هذا هو الفارق بين الآن وما كان من قبل. تبيَّن هذا الآن.

- هل للأمر علاقة بإغلاق المصنع يا بني؟

- كلَّا، كنت أفكِّر في ذلك منذ فترة.

- لا يمكنني أن ألومك.

التقط المفتاح مُجدَّدًا. كان يتظاهر بالعمل حتى يُداري مشاعره، نوعًا ما.

وكان "جيروم" نفسه غير متيقن مما إذا كان قد فكَّر في هذا الأمر قبل أن يقوله أم لا. لم يكُن بالطبع يعتزم أن يقول ما قاله، لكنه لم يستطع أن يحدد قصده، ولا يستطيع حتى أن يؤكد لنفسه أن سبب رغبته في الذهاب إلى "هانكوك" هو أن والده ليس هو الشخص الذي ظن أنه هو. سيتوجَّب على "جيروم" دفن سره إلى الأبد، وسيكون ذلك أفضل. لم يمتلك خبرة نسيان الأشياء بعد، لكن لديه فكرة عن النسيان، الذي قد يتحقَّق ذات يوم. أما والدته، فكانت سعيدة بقراره بشأن الالتحاق بالمدرسة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

البُرج

سعى القس "جون كيجلي" إلى ألا يفقد أهل البلدة إيمانهم وعزيمتهم في وقت الأزمة. استاء من بعض تداعياتها، ومن بينها اختبار قناعات الإنسان الروحانية، وتمييزها المتخاذلين بوضوح في عالم عريض من معاناة الآخرين، ولكن ربما كان في ذلك قدر كبير من الحقيقة، تمامًا كما في مقولة ألا شيء يضمن تركيز العقل مثل عملية إعدام تتم في الصباح الباكر، وليس الصبح ببعيد الآن. هكذا وجد القس "كيجلي" نفسه يصلي مُجدَّدًا. صلَّى في مكتبه، في سيارته، وهو في الطريق إلى الكنيسة، وفي منزله حينما لا تكون "تينا" إلى جواره. فهو لا يرغب أن تراه جاثيًا على رُكبتيه يتوسَّل. لا يريد أن يؤذي مشاعرها، لو أنها شعرت أنه أسمى منها. هي ضعيفة كفاية. سيهديها إلى الرَّب بسبل أخرى. كان يُصلِّي لأجل الهداية على الرغم من أنه يشعر أن كل كلمة يتفوَّ بها وكل فكرة تخطر له مُصطنعة.

ثم استسلم للمحتوم. ففي يوم الأحد الثاني بعد يوم الاجتماع الذي ظهر فيه آل "بيرمان" ليقضوا على آماله، تطرَّق "كيجلي" في عظته إلى الموضوع الذي تجنبه منذ فترة طويلة. كان أمامه حشد أصغر بكثير من ذلك الذي ظهر ليلة الاجتماع. أغلبهم من العجائز، وإذا كنت ترغب في إحصائهم، فلن تجد أمامك سوى رؤوس رمادية وبيضاء وصلعاء. هؤلاء هم المعتادون حقًّا. أولئك الذين أحضرتهم عادة التقوى، أو هي العادة وحسب. مَن يستطيع أن يكون متيقنًا بشأن أمر كهذا؟ ذكَّرهم "كيجلي" بكتب ترانيمهم الجديدة. ونصحهم بعدم فتحها على ترنيمة، بل على الغلاف الخلفي الداخلي، ليطلعوا على الملصقات الصغيرة هناك.

- لقد حدثتكم عن هؤلاء منذ بضعة أشهر. ربما تتذكَّرون أصدقاءنا في "أسبيراشنال تكنولوجي"؟

أجابته بضع همهمات مؤمنة على كلامه ممَن اعتادوا التجاوب مع حديثه كل مرَّة.

- حسنًا، على أي حال، اسمحوا لي أن أكون صريحًا يا أصدقائي. لقد عرضوا عليَّ رشوة. لم أذكر ذلك وقتها، فلم أكن أرغب في إثارة أحد، ولكنها كانت رشوة. أخذتها لأنني وجدت لا بأس في أن تكون كتب ترانيم جديدة، وخاصَّةً أن النسخ القديمة وكما تعلمون كانت في حالة سيئة. قلت لنفسي حينذاك؛ سأقبل النسخ الجديدة لأنها في الحقيقة هدية غير مشروطة، ولكن كان هناك بالفعل شرط واحد صغير؛ ففي كل مرَّة أطلع فيها على أحد هذه الكتب، وبصراحة، أتذكر ما تريد مني "أسبيراشنال تكنولوجي" أن أتذكره.

إنهم يريدون استغلال برج كنيستنا، الذي وجد منذ كانت بلدتنا موجودة، لوضع بُرج اتصالات تليفونات محمولة داخله. وفي مقابل ذلك، سيدفعون لنا مبلغًا كبيرًا، كفيل لتغطية نفقاتنا وترميم الكنيسة، بما في ذلك البُرج نفسه، والمكان كله.

وأضاف:

- مقابل ذلك، يثبتون ذلك الجهاز الفولاذي الكبير، الذي يحتاج تشغيله إلى قدر كبير من الطاقة، فوقنا مباشرة، ولربما ينبعث منه بعض الطنين أو ما شابه ذلك، أو ربما لا يحدث ذلك، أو ربما تكون هناك مشكلات أخرى، وربما لا تكون. هناك كثير من الكنائس في جميع أنحاء البلاد فعلت هذا. لذلك وكما ترون، فأنا لا أحاول الحكم مُسبقًا بطريقة أو بأخرى.

وتابع:

- ولكن ما قلته لنفسي آنذاك هو نحن لسنا بحاجة إلى هذا، بعد أن وجد مصنع "بيلبورت" مَن يشتريه ويشغله. أعلم أنكم ستعرفون ما أقصده هنا. فإذا كان في البلدة أعمال ووظائف، أو إذا كانت هناك أعمال تخلق مزيدًا من الوظائف، وتوفر مصادر رزق للجميع، بالتالي، فنحن لسنا بحاجة إلى "أسبيراشنال تكنولوجي". قلت لنفسي حينها إن هذا طمع وجشع. حسنًا، لست بحاجة إلى أن أخبركم أن الوضع تغير. وها نحن ذا اليوم ولا يمكنني أن أخبركم بما يجب القيام به، خاصةً بشأن برج الكنيسة الذي أقيم منذ مائتي عام، وأنا الذي لم تمر عليَّ ثلاثة أعوام هنا، ولكنني شعرت أنه يتعين علينا فتح المجال للنقاش. أريد أفكاركم. وليس علينا أن نقرر أي شيء اليوم. سأقوم بتعليق مخططاتهم في قاعة الرعية حتى يتسنَّى لكم الاطلاع عليها. ويمكن لأي شخص البحث عبر الإنترنت عن عديد من الكنائس التي سبق لها خوض التجربة.

تساءلت "دوت بودين":

- وهل رأيتها أنت؟

- ليس حسبما قالوا.

- ولا حتى أسلاك التمديد؟

- لست متأكدًا "دوت"، ولكنني أشك في أن يستعينوا بأسلاك تمديد.

- فماذا سيستخدمون إذًا؟

- لا أعرف، بصدق.

- أنا في منزلي أكره أن أرى أسلاكًا كهربائية ظاهرة وممتدة عبر المكان. هذا من بين الأمور التي لا أحبها.

- سأبحث في هذا الأمر يا "دوت".

عقدت "دوت" ذراعيها وهمست بكلمات في أذن "ماجي وينسلو"، وكان ذلك إيذانًا بانتهاء النقاش حول أسلاك التمديد.

أما "فوكس هيرمان" فكان يريد أن يعرف ما إذا كانت المبالغ المخصصة لهذا الغرض تشتمل على سداد جزء من راتب القس، وعما إذا كان أمر كهذا يؤثر على قراره النهائي أم لا. كان يتحدث بنبرته المُتحفِّزة المُعتادة.

- "فوكس"، أعتقد أنني لا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال. وهذا لأن لدينا صندوقًا عامًّا، أليس كذلك؟ فإذا وردت أموال جديدة فإنها تختلط بتلك القديمة. وسيصعب علينا تحديد بنود وأوجه صرفها حينئذٍ. والأهم هو أنني لست مَن يقرر هذا الأمر. ولذلك أطرحه عليكم.

وقال "تيم رينيس"، السائق وصاحب شركة "تيم" لسيارات الأجرة، إنه يتفهَّم أن القس الموقر يطرح عليهم الموضوع للبتِّ فيه، ولكنه يريد أن يعرف، إذا كان الأمر بيد القس المُوقَّر، فماذا سيكون قراره عندئذٍ؟

عدَّل القس وضع نظَّارته وهو يفكر فيما سمعه، أو ليعطي على الأقل انطباعًا أنه يفكر، حتى يشعر الجميع أن المسألة ليست بتلك السهولة:

- أعتقد، وبالنظر إلى ما آل إليه الحال اليوم، أنني أفضل أن نُفكِّر جديًّا في الموافقة. فأنا لا أرى أي مُخَلِص غيرهم يلوح في الأفق.

ربما جانبه الصواب فيما قاله، فقد فتح الباب أمام "تشارلي راسل"، وواحد أو اثنين غيره، ليعلق همهمةً وتمتمةً. "وماذا عن الرب؟".. أو كلمات من هذا القبيل.. وسرعان ما تعالت الهمهمات في القاعة.

وأرادت "بيج إيتون" أن تعرف شروط وأحكام عقد الإيجار، وعدد سنواته، وماذا يحدث في حال لم تلتزم الشركة بما عليها في العقد؟ هل سيمكن إخراجها من المكان؟ طمأنهم "كيجلي" وأخبرهم أن عليهم استشارة مُحامٍ قبل التوقيع على أي شيء. وتساءلت "دوت بودين" عن مسألة الإشعاع الإلكتروني المسبب للسرطان، الذي قرأت أنه ينبعث من أقطاب الطاقة. فقال "كيجلي" إنه يعتقد أن هناك دراسات أثبتت أن شيئًا من هذا لا يحدث. فقالت "دوت" إنها لا يمكن أن تصدق تلك الدراسات. وعلاوة على ذلك،

فهي قد تعرَّفت من قبل على شخصين من بحيرة جنوب الصين، يعيشان في المنزل نفسه، وكلاهما قتله السرطان الناجم عن أبراج الاتصالات. كررت أنها لا يمكن أن تصدق كل هذه الدراسات، كما أنها متناقضة النتائج. وأيَّد "موريس لاندروم"، الوافد الجديد نسبيًّا إلى "بيلبورت"، فكرة إجراء مزيد من البحث عبر الإنترنت حول تجارب الكنائس الأخرى. فقال "فوكس هيرمان" إنه بحث مثل هذا قبل أشهر، بمجرد أن رأى تلك الملصقات في كتب التراتيل، وما وجده هو أن معظم الكنائس نفذت ذلك من دون مشكلات، على الرغم من بعض الشكاوى في البداية، وأن شركة "أسبيراشنال تكنولوجي" حاصلة على تقييم ثلاث نجمات ونصف في موقع إلكتروني متخصص، لم يتذكَّر اسمه.

كانت هناك لحظات كشفت عن المُوالي الوحيد وسط الحضور؛ "زاك تيلجمان"، الذي وجد نفسه مُحصَّنًا نوعًا ما. هل يقرر الناس مصيرهم حقًّا؟ شعرت "شيري لاندروم" بالقلق من احتمال تأثر موقف السيارات. ولم يفهم أحد على الإطلاق داعي قلقها. وعلقت "ماري فرانسيس دونيلسون" على ما قاله "فوكس" عن درجة تقييم الشركة، وقالت إن كثيرًا من تلك التقييمات عبر الإنترنت يتم تزويرها. وأرادت "تيمي طومسون" أن تعرف ما إذا كان أي من تلك الكنائس التي وافقت من قبل تمتلك بُرجًا عُمره قرنان من الزمان. فأنت إذا كنت في ولاية مثل "أريزونا" ولديك مثل تلك الأبراج شاهقة الارتفاع فعندئذٍ لا بأس في أن تضع بُرج تليفون محمول، فلا أحد سيدرك الفارق. ويبدو أن ذكر "أريزونا" جعل "إد بارسونز" يفكر حتمًا في منطقة "روزويل"، "نيو مكسيكو"، وكل ما يتعلق بها من حكايات عن الكائنات الفضائية التي سقطت بها سفينتها هناك، وبينما هو لا يدَّعي على وجه اليقين أن هناك اتصالات مع كائنات خارج كوكب الأرض تجري هناك، إلا أنه لا يستبعد أبدًا احتمال أن تجذب الإشعاعات المنبعثة من بُرج الموبايلات انتباه مخلوقات في الفضاء السحيق. وكما هو معتاد، سخر الحضور منه، ولكن خفيةً وراء ظهره. وتساءل البعض الآخر عن قيمة الإيجار الشهري، ولا يبدو أنهم كانوا منتبهين إلى أن شخصًا طرح قبل خمس دقائق السؤال بالفعل وحصل على إجابة من القس "كيجلي" بأنها مسألة قيد التفاوض، ولكن أكبر عدد من التعليقات جاء على غرار ما قالته "باميلا هارلتون". لم يعرف عن "باميلا" كثرة الكلام، سواءً في الكنيسة، أو في "ماكدونالدز"، أو في أي مكان. هي تعيش بمفردها مع قططها، في انتظار زوجها الذي خرج إلى "فالبارايسو" ذات عام ولم يعد. قالت والدموع صادقة في عينيها إنها لا تستطيع أن تجلس صامتة إزاء كل التعليقات التي تسمعها. ألا يدركون ما بين أيديهم؟ إنها نعمة، هذا البُرج الجميل نعمة، كيف وسعهم حتى التفكير في المساس به؟ إنه حتى ليس مُتداعٍ على وشك السقوط. ما المشكلة لو

أن ليس لديهم أموال؟ وهل كان مَن بنوه في ذاك الزمان يمتلكون أموالًا وفيرة؟ ولكنهم قاموا ببنائه على الرغم من ذلك. تملَّكت "باميلا" عاطفة جيَّاشة دفعتها إلى قول كل ما اعتمل في صدرها، ثم سكتت بغتةً، وهي تهزُّ رأسها في اعتراض مغمضة عينيها المليئتين بالدموع.

كانت تلك لحظة من اللحظات القليلة التي ذكرت "جون كيجلي" أنه قس وأن لديه رعيَّة. فمع كل هذا الجدل، إلا إنه كان متأكدًا من أنهم سيُصوِّتون لصالح الحصول على المال؛ هو نفسه سيُصوِّت على ذلك، لكن "باميلا هارلتون" قلبت الطاولة عليه. وبدا أن الحضور يفكرون من جديد. وينظرون لأعلى رؤوسهم، حتى إنه قاوم رغبة في أن ينظر أعلاه هو الآخر، ليتثبَّت من ارتفاع بُرج كنيستهم. يا للمفارقة! جاءت بعض التعليقات التي تلت تعقيب "باميلا" سخيفة مثل تلك التي سبقت تعقيبها. ومن بين التعليقات السخيفة ما قالته "مارسي فيليبس" إن بوسعهم جمع الأموال بدلًا من القبول بما تعرضه تلك الشركة، من خلال إجراء مسابقة يخمِّن فيها الناس ارتفاع البُرج بكل دقَّة، وصاحب التخمين الأدق هو الفائز. عندئذٍ، اقترح عليها "فوكس هيرمان" ساخرًا إقامة مسابقات قفز من فوق البُرج بالمرَّة. وقالت "بيج إيتون" إن ما ينبغي عليهم فعله هو تسجيل الكنيسة بأكملها في السجل الوطني للأماكن التاريخية. فأجابها "ستانديش براون" أن ذلك قد يعني تطبيق كثير من اللوائح الفيدرالية، التي بوسعها أن تمنعك حتى من زرع شجيرة أمام الكنيسة. وأرادت "ديب فرانسيس" أن تعرف، في حال قرروا رفض العرض، ما إذا كان عليهم إعادة كتب التراتيل. ولما أجابها القس "كيجلي" أن ليس عليهم ذلك، سألته عما إذا كان من الأفضل أخلاقيًّا أن يفعل. وتساءل "فرانك بن" عن منطق إعادتها، وقد تم استخدامها بالفعل، بل هو متأكد من أنه قد وجد آثار مُخاط جاف في داخل واحد من تلك الكتب. واستمر النقاش على هذا المنوال حتى الساعة الثانية عشرة والنصف تقريبًا، أي بعد ساعة عشاء الأحد بكثير. ولأنهم متعبون، وجائعون، ولأن هناك صلاة عليهم أن يُؤدُّوها، ولأن هناك نذورًا عليهم تقديمها وترانيم عليهم إنشادها من تلك الكتب الجديدة المُهداة لرعايا كنيسة "بيلبورت"، وبعد التصويت بالإجماع على عدم ضرورة تخصيص مزيد من الوقت لبحث العرض، صوَّت أربعة وستون مقابل أحد عشر صوتًا لصالح رفض العرض والحفاظ على بُرج الكنيسة كما هو.

وبعد خمسة أيام، في الأول من سبتمبر، وكما هو متوقع؛ أغلق المصنع أبوابه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفكرة الجديدة

أفضل عمل يمكن أن تحترفه شخصية مثل "مارثا هتشينز" هو تنظيف المنازل؛ أما أهم سبب فهو أنها تحب التنظيف، وتجيده تمامًا. وأصحاب المنازل في الجزيرة يدفعون ثمانية عشر دولارًا في الساعة لعاملات التنظيف، وذلك بسبب قلَّة عدد مَن يرغب في ممارسة هذا العمل، كما أن الجزيرة صارت تشهد أعدادًا متزايدة من المنازل وأصحابها الذين يحتاجون إلى هذه الخدمات؛ وبعضهم يرغب في الاستعانة بهذه الخدمة خمس مرَّات في الأسبوع، حتى إن "مارثا" ترى أن هذا أمر مُبالغ فيه، إلا إذا كانت مساحة المنزل كبيرة للغاية، ولكنها تقول لنفسها "كلما كان الشغل أكثر، كانت أمورها أفضل". تحمد الرَّب أنهم لم يلجؤوا إلى المعونة الغذائية الحكومية بعد. وقت أن كانت "مارثا" صغيرة، ظلت عائلتها تتلقى تلك المعونة لفترة من الوقت. وهي تتذكَّر ذلك الجبن؛ فحتى وإن كان من نوعية جيدة عادية إلا أن فكرة أن الحكومة هي مَن تسلمه صعبة عليها.. "مارثا" لا ترغب أبدًا في العودة لتناول جبن الحكومة.

نظفت منزل آل "كوفمان" القادمين من "راي"، "نيويورك"، وآل "بريلنجز" من "هارتفورد"، "كونيتيكت"، وعائلة "ويليامز" من "بالتيمور"، "إلينوي"، وعائلة "سميث" من "نيوتن"، "ماساتشوستس"، ولكنها لم تنظف في منزل "كيسنجر". إما أن لديهم عمالًا وعاملات كفاية، أو أنهم فرضوا حظرًا على التعامل مع أي شخص من عائلة "هتشينز". لم تكُن "مارثا" تهتم بأي من الفرضين. لديها ما يكفي لشغل وقتها. على الرغم من أن الشائعات كانت تقول إن منزل "كيسنجر" لديهم عمالة كفاية وطردوا كل مَن له علاقة بـ"مات فارنزورث"؛ و"مات فارنزورث" مَن تم اعتقاله مؤخرًا، على الرغم من أنه كانت مناقشة ذلك الصباح في "ماكدونالدز" حول ما إذا كان لدى الضابط أدلة حقيقية ضده أم أنها مجرد مضايقة بتحريض من "كيسنجر". وفي تلك الأثناء، ولخمسة أيام في الأسبوع، انشغلت "مارثا" بتطهير الأرضيات، وتعقيم المراحيض، وغسيل النوافذ وتلميعها، ونفض الغبار، وتشغيل المكنسة الكهربائية، والمسح، والتلميع. استمر هذا حتى أكتوبر ونوفمبر. فقد كانوا يرغبون في الحفاظ على نظافة منازلهم حتى وهم غائبون عنها. لقد تغيَّرت الجزيرة عن السابق، وقت أن كانوا يكتفون بغلق الأبواب والمحابس. وفي كل يوم، بعد انتهاء العمل، كانت "مارثا" تجلس لتحسب ما إذا كانت قد عوَّضت مبلغ السبعمائة والخمسين دولارًا الذي سلبه ذلك النصاب الهندي، الذي كانت لديه فكرة وأسلوب إقناع رائعان.

أقسم "جاري" منذ فترة طويلة ألا يقوم أبدًا بالعمل الذي يعتبره مُوازيًا لعمل "مارثا"؛ ألا وهو حراسة المنازل. إنه في رأيه عمل يفتقر إلى الكرامة؛ أو ربما كان فيه كرامة، باعتبار أن كل عمل شريف كريم، لكنه ذو طابع شخصي جدًّا، ويجعلك في درجة أدنى من أصحاب المنزل الأغنياء. وعلاوة على ذلك، لم يكُن العمل مُتاحًا بسهولة مثل أعمال تنظيف المنازل، حيث كان أصحاب المنازل يميلون إلى الاحتفاظ بعمال الحراسة والرعاية من دون تغيير لسنوات، لكن إبعاد "مات فارنزورث"، سواءً كان دائمًا أم مؤقتًا، من هذه المهنة أوجد فرصة أمام "جاري"، الذي لم يكُن لديه سوى الجلوس أمام التليفزيون أو الاشتغال على السَّيَّارة الـ"لنكولن"، والذي وجد نفسه مضطرًا لأن يشرح لـ"مارثا" سبب تجاهله هذه الفرصة. لذلك، وحتى لو كان آل "كيسنجر" فرضوا حظرًا على توظيف أي من عائلة "هتشينز"، فلا يزال هناك أولئك الذين تعمل "مارثا" لديهم، و"جاري" الذي عرف عنه الموثوقية والكفاءة سرعان ما تلقى طلبات من منازل "ماكون" و"برنشتاين" و"دونالدسون"، لكن "جاري" لم يكُن سعيدًا. كان أتعس من "مارثا" في هذه المرحلة. وعلى العكس منها، ظل يبحث عن مخرج. فلا يمكن أن يكون هذا هو مُنتهى الحال. أنه لن يسلم بذلك. يردد "سأقتل نفسي"، ولكنه يعلم أنها كلمات فارغة. ربما كان أبعد إنسان في هذه المنطقة بأسرها عن فكرة الانتحار، وكان يعرف ذلك، لكنه ظلم الحياة يزداد وطأة عليه. وفي صباح أحد الأيام، تبدَّد ذلك الظلم تمامًا، لدرجة أن "جاري" لم يعد يتذكَّر شيئًا منه، أو من مشاعره، أو من رائحته أو من مذاقه، وثقله على كتفيه، أو حتى حروفه في قاموس عقله. فقد وجد "جاري" فكرة.

انتظر بزوغ الصباح حتى يبوح بها لـ"مارثا". كان قد اعتاد على أن يكون في انتظارها في شاحنته بعد العمل. وفي الشاحنة، وخلال الأميال القليلة من الجزيرة إلى البلدة، كانا يتبادلان الأخبار وأي جديد. وكانا ينتهزان فرصة غياب "جيروم" ليتحدثا بكل جدية وحرية. وعندما اقتربا من الجسر المُتهالك الذي سيستمر قائمًا لموسم آخر، كما لو أن الشكاوى والتجاهل ساعدت في تقوية أساساته، أخبرها "جاري" بما كان يفكر فيه.

أبطأ سرعة الشاحنة، لأنه يعلم أن "مارثا" تستوعب أفكاره حينما يقود الشاحنة ببُطءٍ.

- حسنًا.. ما رأيكِ في ذلك؟ كنت أُفكِّر فيه طوال الأسبوع. ربما كان أساس الفكرة من "بيلي". أقرَّ بهذا، ولكنه لم ينفذها، كعادته، لكنني لم أقل أبدًا إنه غير قادر على التفكير السليم. إنه أخي، ولا يمكن أن يكون أحمقَ وحسب.

- "جاري"..

- ماذا؟

- أي فكرة؟ ما الفكرة؟

- أنا أحاول أن أشرح لكِ، ولكنني رأيت أن أُوضِّح لكِ أولًا أنني لم أسرق أفكار "بيلي".

- ولماذا تعتقد أنني قد أظن هذا؟

- حسنًا.. لا بأس. ماذا لو أننا... لا نكتفي بتصنيع الأحذية غالية الثمن؟ أنا مؤمن بأن هذا هو السبيل السليم، ولكن علينا أن نرتقي به درجة. نقوم بتصنيع الحذاء حسب الطلب. يأتينا العميل بطائرته الخاصة.. إلى "بيلبورت".. نأخذ مقاساته، وجميع رغباته.. بما في ذلك نوع الجلد. ونصنع ما يريده. وعندئذٍ يكون ثمن الحذاء الواحد ألف دولار! ربما أكثر.. ألفان مثلًا!

- أتعتقد حقًّا أن هناك مَن قد يأتي بطائرة خاصة إلينا لأجل حذاء؟

- لا أدري؛ ومَن يدري؟ وإذا لم يكُن يرغب في الحضور، فليرسل الطائرة ونذهب نحن إليه. أنا مُستعدٌّ لهذا.

- أنت لم تستقلَّ طائرة في حياتك.

- وهل كنت محتاجًا لهذا؟

- إنها فكرة جيدة حقًّا.

- جيدة؟ حسنًا.. انسِي أمر الطائرة. نحن لسنا بحاجة لطائرة. ماذا لو اكتفينا بأصحاب المنازل في الجزيرة؟ ألا ترين أن بوسع "توم برنشتاين" شراء حذاء بألفين دولار؟ هو قادر بالفعل. وكذلك السيد "دونالدسون".

- لا أعرف يا "جاري".

- ولا أنا. ومَن يعرف؟ ولكنها فكرة على أي حال. لا بد للإنسان من امتلاك أفكار. بوسعنا استغلال الإنترنت.

- الإنترنت؟

- نُسوِّق لمنتجاتنا عبره. أفضل صُنَّاع أحذية أمريكية؛ صناعة يدوية حسب الطلب.

- ألا يسافرون لإنجلترا للحصول على مثيلاتها، إذا كان معهم الأموال الكافية؟

- بالفعل! ألا ترين؟ كل ما علينا هو إقناعهم أننا الأفضل.

- مثل أن تقارن الـ"كاديلاك" بالـ"مرسيدس"؟ لا أعرف.

- وماذا تعرفين عن "المرسيدس"؟

- أعرف ما يكفي.

- ماذا بكِ يا "مارثا"؟ ألا يمكن أن تُبدي ولو قليلًا من الحماس؟

لكنها كانت تظهر الحماس الذي تستطيعه. منذ أسبوع، كانت تشاهد قناة "إي"! التي تعرض فيلمًا وثائقيًّا يدور حول مُخنَّث ينجح في إنقاذ شركة أحذية عن طريق إقناعها بتصنيع أحذية خاصة للمُخنَّثين. لا تتصوَّر "مارثا" أن في "بيلبورت" عددًا كافيًا من المُخنَّثين لدرجة إنقاذ "نورومبيجا" من مصيره البائس، وخاصَّةً أنهم قالوا في الفيلم إن هناك مصنعًا في إنجلترا يقوم بذلك بالفعل. أليست هذه فكرة؟ أليست أكثر وجاهة من فكرة "جاري"؟ لذلك كانت فكرتها عن الحماس في هذه اللحظة هي ألا تخبره بما شاهدته. يصعب على الإنسان إثبات سلبية يراها أمامه.

قرَّرت "مارثا" أن تخبره بأمر أقل إيلامًا من حكاية الفيلم: - ألا تحتاج إلى مال لبدء مشروع مثل هذا؟

- ستكون البداية بسيطة.

- إلى أي مدى؟

- لا أعرف، حسنًا؟

- أحاول أن أكون واقعية وحسب. فمثلًا، أنت لا تجيد صُنع الحذاء. هل ستفعل ذلك وحدك؟ كما كانوا يفعلون، قبل إنشاء المصانع؟

- سأتعلَّم، هذا كل ما في الأمر.

- فقط؟

-فقط.

التزما الصمت بقيَّة الطريق. ظلَّت "مارثا" تُفكِّر في ذلك المُخنَّث بطل الفيلم. تودُّ أن تُعاين مثل تلك الأحذية التي يرتدونها. يبدو أن الحياة تمضي بهم سريعًا، وفيها الكثير من الجديد، أليس كذلك؟ هذا فيلم لا يمكن أن يعرضوه في "بيلبورت". تشعر الآن بالتعاسة حقًّا. بينما كان "جاري" حانقًا، ولم يكُن يُفكِّر في شيء لحظتها سوى أنها شخص من الصعب إرضاؤه.

أمور فعلها "إيرل هتشينز" في أعقاب إغلاق مصنع "نورومبيجا" للأحذية

قام "إيرل" بتسوية معاشه مُبكِّرًا؛ صحيح أنه بتسوية معاشه في سن الثالثة والستين بدلًا من السادسة والستين، فقد ضحَّى "إيرل" بنسبة من المعاش كان يمكن أن يحصل عليها بعد عامين، ولكنه لم يكُن مُتيقِّنًا من إمكانية بقائه على قيد الحياة حتى السادسة والستين، وفضَّل أن يسبق الزمن ويحصل من الحكومة على ما لا يحصل عليه لو مات. وبالإضافة إلى إعانات البطالة، التي قد يستمر في الحصول عليها لأسابيع طويلة، بدا المجموع كافيًا لسداد تكاليف إصلاح الـ"هارلي"، وثمن الخمور، وضمان الحصول على تدفئة خلال الشتاء. تلك هي احتياجاته الأساسية، كما يراها. وعلى الرغم من أنه لاحقًا سيتذكَّر أمر الطعام، فإنه لا يُمانع في الحصول على المعونة الغذائية. ومن شأن ذلك أن يساعده في رحلاته إلى "هانافورد". وبشكل عام، لم يكُن "إيرل" قلقًا للغاية. لقد شعر، فيما يتعلق به شخصيًّا، أنه لم يكُن مُرشَّحًا جيِّدًا لبرنامج إعادة التدريب على الوظيفة، حتى لو تبيَّن أن البرنامج جدِّي؛ على الرغم من أنه لا يعتقد ذلك.

علَّم ابنه "جاري" مهارات صُنع الأحذية.. "جاري" هو مَن أتاه وطلب منه ذلك. وهو ما أطرب قلب "إيرل" نوعًا ما. وهو من ناحية لم يشك أبدًا في أن لديه بعض المهارات التي يمكن أن يستفيد منها الآخرون من الجيل الجديد، حتى لا تذهب هباءً. ومن ناحية أخرى، شعر منذ فترة طويلة أن ابنه "جاري" كان أحد أولئك الغافلين عما هو مُتاح لهم، فكان طلب "جاري" بنفسه أن يتعلَّم أمرًا مُبهجًا للغاية. تعلَّم "إيرل" أسرار صُنع الحذاء يدويًّا من العم "كلارك هتشينز"، الذي تعلَّمها بدوره ممَن كان قبله، وتوارثت الأجيال فنون تنفيذ كل شيء باليد، ولكنها معارف عديمة الفائدة، في رأي كل شخص في هذا العصر، أو حتى في العصر الذي سبقه، ممَن يرون أن من الأفضل تعلم كيفية التعامل مع الآلات والاعتماد عليها، ولكن، ها هو "جاري" يريد أن يتعلم، لذلك أمضيا في المُخيَّم ليالي وأسابيع، حيث أخرج "إيرل" أدوات صنع الأحذية القديمة، مختلفة الأنواع والاستخدامات والأحجام، والتي كانت ملفوفة بقطعة عتيقة من قماش الشامواه، ومعها علبة التشحيم، ونقل إلى "جاري" "كل ما عرفه"، و"كل شيء يعرفه".. "جاري" لديه بعض الخبرة بالأحذية، وما لم يكُن يعرفه هو ما يمكن أن تفعله عيناه ويداه معًا، بمساعدة تلك الأدوات الملفوفة في الشامواه. عيناه ويداه؛ تعلَّم "جاري"

أنهما قد يعملان معًا مثل تلك الثنائيات في الحلبات الجليدية خلال الألعاب الأولمبية التي تحب "مارثا" متابعتها كثيرًا. وكان "إيرل" على علم، منذ بداية تلك الأسابيع والليالي، بفكرة "جاري" عن تصنيع أحذية يدويًّا لأولئك الأثرياء الذين سيأتون إليه خصيصًا على متن طائراتهم الخاصة، ولكن "إيرل" ابتهج جدًّا، وهو عادةً ما يكون أشد واقعية وهو ثَمِلٌ، في نهاية ليالي التدريب عندما أخبره "جاري" أنه أجل تنفيذ الفكرة، في المستقبل المنظور على الأقل، وأنه سيفتح محلًّا لإصلاح الأحذية. فلم يكُن هناك محل مماثل في "بيلبورت" وما حولها، حتى في "بانجور" لا يوجد سوى محل واحد فقط، ولو أنك سلَّمت حذاءك هناك فسيكون عليك أن تنتظر ثلاثة أشهر قبل تسلُّمه، لأنهم مشغولون للغاية، استحسن "إيرل" فكرة "جاري"، وكذلك "مارثا". ومع إغلاق المصنع، كانت هناك عدَّة واجهات متوفرة في شارع "ماين" تعلن عن إتاحة محلاتها للإيجار، وكانت فرصة جيدة.

أخبر "جاري" أنه يحبه؛ تلك لحظة من اللحظات التي تصفها إما بأنها عاطفية إلى درجة صبيانية، وإما أنها مُحرجة وحسب؛ وفقًا لذوقك. اعتبرها "إيرل" سخيفة إلى حد ما، لكنه كان يرى مثل تلك المشاهد كثيرًا على شاشات التليفزيون، لدرجة أنها انطبعت في عقله. هل هذا ما يفعله الناس حقًّا؟ حسنًا، إذا كان الأمر كذلك، فليس أمام "إيرل" من سبب يمنعه من تقليدهم، ولم يخبره بذلك فقط. أخبره أنه يحبه؛ ويحبه بقدر ما أحب "بيلي". وأعطاه أدوات صناعة الأحذية الملفوفة في الشامواه. هكذا كان المشهد. كما أنه لم يكُن ثملًا، فلا يمكنك أن تُعزي تلك المشاعر إلى تأثير الخمر. وبالنسبة لـ"بيلي"، فقد حسب "إيرل" أنه سيظهر أمامه مرَّة أخرى ذات يوم. وإن حدث وعاد، فمن المُحتمل أنه سيعود مرَّتين، ولكن موعد ذلك في علم الغيب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بلاط

تجاوز "روجر كيسنجر" هوسه بالأحذية، في تجربة كانت هي الأقصر من بين جميع تجاربه الاستثمارية، وإلى أي حد كان ذلك مُتوقَّعًا؟ إلى حدٍّ ما، إلى حدٍّ متوسط، أم بشكل مؤكد؟ هذا يعتمد على اختيارك للوصف الأدق للتجربة، وإذا كنت ستختار لها وصفًا من الأصل أم لا.

اليوم، صار "كيسنجر" مهتمًا بالبلاط الإسباني المصنَّع يدويًّا؛ ذلك المنتج البديع الذي يصنعونه في "نيو مكسيكو". فهناك مصنع شمالي "ألباكركي" معروض للبيع. شعر "روجر" بإمكانية أن يستحسن عديد من الأمريكيين هذا المنتج ويستخدموه في حدائقهم.. الأمريكيون، والكنديون، وربما الإسكندنافيون، إذا كان السعر تنافسيًّا. وواكب اهتمام "كيسنجر" بمصنع البلاط اهتمامه بـ"مارلا دومينيجز"، وهي سيدة في الأربعينيات من عمرها شعرها داكن، ويميز وجهها حاجبان يميزان أهل البحر الأبيض المتوسط، التقى بها خلال مؤتمر. و»مارلا» مُغرمة بالبلاط المصنَّع يدويًّا، وبوسعها تخيُّل عديد من التصميمات المُبتكرة التي يمكن أن تُضفي تميزًا وعصرية على منتجات مصنع البلاط. وكان «روجر» قد دخل في مفاوضات لشراء مصنع سيراميك في «ريو رانتشو»، «نيو مكسيكو». وهو لم يكُن مُهتمًّا بإتمام الطلاق مع «كورتني»، بسبب الأولاد، وغير ذلك، ولكنه اعتاد أن يصفها بالسجان كلما مازح شركاءه في «جرينتش»، الذين منحوا «روجر» كثيرًا من الصلاحيات في مفاوضات مصنع «نيو مكسيكو»، خاصةً بعد كل الأرباح التي حققوها من صفقة مصنع الأحذية في ولاية «مين».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ساعة الإفطار في "ماكدونالدز"

كان على أحدهم أن يضع الأمور في نصابها، وتطوَّعت "بيجي إيتون" للقيام بهذا الدور، بأسلوبها المعروف الذي يمزج بين بثِّ الأمل، والزَّجر، والتَّوبيخ. مرَّت البلدة بأزمات عديدة وفترات رخاء قليلة، عبر تاريخها. أشخاص يرحلون، وآخرون يأتون، وأعمال تبدأ، وأخرى تُغلق أبوابها. لا معنى لأن يبقى كل شيء دائمًا على حاله، ولا معنى لتبديد الجهد في السعي وراء مثل هذا الأمل الخائب. نبعت راحة بال "بيج" مما حكاه "تيمي طومسون" عما فقدوه حتى اليوم؛ رحل "كارل إسبوزيتو" وعائلته إلى "أوجستا"، و"توم لاكيس" إلى "بانجور"، وعائلة "دينسمور" إلى "أورينجتون"، علاوة على أولئك الآخرين الذين سيُبادرون بالرحيل إذا وجدوا مُشترين لمنازلهم. عندئذٍ، سخر "كون بودين" من الموقف مُعلِّقًا بأن بقاء البلدة مرهون بالعجز عن العثور على مُشترين لمنازلها. استمر "تيمي" يعدُّ على أصابعه الأماكن التي ستغلق أبوابها، حسبما سمع، بمجرد انتهاء عقود الإيجار؛ ورشة "فريد"، محل بيع الزهور، ورشة الدباغة، حتى الصيدلية. ونبه "تشارلي راسل" إلى أن متوسط أعمار سكان البلدة آخذ في الارتفاع، وهو عامل آخر يتوجَّب وضعه في الاعتبار.

ظلَّت "دون سميث" تُحدِّق في الأرض، وهو ما تفعله عندما تحاول التفكير في شيء آخر وتجاهل ما يقوله الآخرون حولها، ولذلك كان تعليقها يأتي غير مناسب، أو غير مفهوم على الأقل، ولكن الآخرين اعتادوا على ذلك من "دون"، فهي من النوعية التي قد تقول: "دعونا لا نُغيِّر الموضوع"، بينما يكون مقصدها تغيير الموضوع. قالت:

- تعلمون أنني كنت أُفكِّر في أنه مهما تحوَّلت الأمور فإنها كان من الممكن أن تصير إلى ما هو أسوأ بكثير. أقصد أن تنظروا إلى أولئك الذين هم في وضع أسوأ منا. الواقع يقول إن العالم أصبح أفضل.

سألتها "مارج دوشامب":

- ما وجهة نظركِ بالضبط يا "دون"؟

اعتادت "مارج دوشامب" أن تُعقِّب على كلام "دون" كلما بدا غير منطقي تمامًا.

- حسنًا، انظروا إلى الناس في الصين. اعتادت أمي أن تطلب منِّي تناول كل ما في طبقي وهي تُذكِّرني بالمساكين الذين يتضوَّرون جوعًا في الصين. أليست هذه مفارقة؟ أقصد ما أصبحت عليه الصين اليوم؟

فقال "فوكس هيرمان":

- لا أعتقد أنه أمر غريب، أو فيه مفارقة، على الرغم من أن والدتي كانت بدورها تقول لي ذلك.

وقالت "كاثي ميتلاند" وهي تحاول تخفيف الحصار على "دون" قليلًا:

- وأمي أنا أيضًا.

أجابتها "دون":

- لذلك لا يوجد اليوم أولئك الملايين من الجوعى حول العالم. هذا ما أسميه وضعًا أفضل، أليس كذلك؟ أليس كذلك؟

كان ذلك إيذانًا بأن يُخيِّم الصمت على التجمُّع الصباحي الصغير. أحيانًا ما تشهد فترة الإفطار الصباحية في "ماكدونالدز" عدد زبائن أقلَّ من المُعتاد هذه الأيام، اعتمادًا على أداء الفريق الحكومي المتخصص في إعادة التأهيل لسوق العمل، ولكن الأعداد تكون في بعض الأحيان أكبر، لوجود عدد كبير من الأشخاص الذين لا يجدون ما يقومون به بقية ساعات النهار. وقد لوحظ أن "ستمب واتكينز"، صاحب حق امتياز "ماكدونالدز"، أجرى استقصاءً حول حركة زبائنه هذه الفترة. وجد أنه لو أحصى كل الساعات التي يعمل فيها المطعم، فإن عدد الزبائن هذه الفترة أكبر من مُعدَّلاته السابقة ومن أي وقت مضى، ولكن ذلك لم يُؤدِّ إلى أي زيادة في الإيرادات. وأرجع "ستمب" هذا إلى وجود عديد من الأشخاص لفترات أطول دون شرائهم من الطلبات ما يُوازي ذلك، بل هم دائمًا ما يطلبون من عرض التوفير؛ فمقابل دولار واحد في الصباح، يمكن للزبون أن يحصل على ساندويتش "ماك مافن" من دون بيض. كان الصمت المطبق الذي أعقب تعليق "دون" حول اكتشافها أن العالم صار أفضل فرصة مثالية لـ"بيرتون مايلز" ليُلقي بقُنبلته العظيمة التي كان يدَّخرها بكل بهجة، غمرته منذ أن عرف بها لأول مرَّة وحتى الآن وهو على وشك الكشف عنها، حتى أنها أنسته مشكلاته الكُبرى. وإن لم يكُن الآن، فمتى؟ أخرج "بيرت" من جيبه قصاصة ورقية كتب عليها عنوان موقع إلكتروني. سألهم "بيرت" عما إذا كانوا يرغبون في سماع نكتة، تجاوب معه البعض، ولكنه لم يهتم للباقين الذين استمروا يُحدِّقون فيه. وجد الأمر مُسلِّيًا للغاية؛ مثاليًّا للغاية. طلب "بيرت" من كل مَن معه قلم أن يُدوِّن عنوان الموقع، وتجاوب معه البعض مرَّة أخرى، واكتفى الباقون بالصمت، أما "بيت هاموند" فكان معه جهاز "لاب توب". وهكذا، تجمَّع كل مَن في صالة المطعم وراء "بيت" والـ"لاب توب"، وكأنه تحوَّل إلى المدرب العبقري "فرانك ماجليا" يشرح للاعبيه خطة هجومية محبوكة. كتب "بيت" عنوان

الموقع قبل أن يضغط زر البحث. لم تكُن سرعة الـ"واي فاي" داخل المطعم عالية، ولكن ما هي إلا ثوانٍ قبل أن يظهر أمامهم إعلان بورنو قصير، يعد الزائر بأنه سيحصل على كُل ما يريد مقابل دفع اشتراك زهيد، ومن بين ما سيحصل عليه آخر أعمال ممثل بورنو شهير عاد إلى المجال بعد غياب، ثم ينتقل المشهد إلى فيلا خاوية في "كاليفورنيا"، مثالية ومجهزة لإنتاج أفلام البورنو. تجوَّلت الكاميرا في أرجائها إلى أن انتهى بها المطاف عند الفراش. وقفوا يشاهدون تريلر الفيلم الذي يدور حول عامل شركة الغاز الذي حضر إلى الفيلا ليتفقَّد العدَّاد، ليجد أمامه الفاتنة "ليني ري" ورفيقاتها، ينتظرنه بكل اشتياق. كان عنوان الفيلم "بيلي ويلي".. وما هي إلا لحظة حتى فتحن الباب لبطل الفيلم "بيلي هتشينز."

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أيَّام "بيلبورت"

أعلن متجر "بيج جيم" أنه سيُقدِّم لأهل "بيلبورت" كل يوم أربعاء خصمًا قدره عشرة في المائة على كل شيء. وجد العرض إقبالًا من فتيات وسيِّدات البلدة. عثرت "مارثا" على ستارة حمَّام بها عيب صغير، وثمنها في المُعتاد ستة عشر دولارًا، ولكنها تُباع اليوم بدولار وثمانية وتسعين سنتًا، والأروع أن هذا السعر قبل الخصم. أما "دون" فابتاعت كثيرًا من صابون خلاصة الصبار، الذي صار ثمن القطعة الواحدة منه بعد الخصم خمسة وأربعين سنتًا فقط. وراحت "بيف مايلز" إلى قسم الأحذية الرجالي، عند المقاسات الكبيرة تحديدًا، لتجده مُمتلئًا حتى آخره بمنتجات برازيلية وماليزية سيئة للغاية ومُصنَّعة من خامات رديئة إلى حدٍّ بعيدٍ، ووسط كل هذا الرُّكام عثرت على عدَّة أزواج من "كوردوفان نورومبيجا"، من النوع الذي تعرف جيدًا أنه كان يُباع في المحال بسعر ثلاثمائة وخمسة وتسعين دولارًا للحذاء، ولكن ها هو ذا معروض باثنين وعشرين دولارًا ونصف الدولار بعد الخصم. قرَّرت أن تبتاع أكثر من حذاء بمقاسات مختلفة على أن يقيسها "بيرتون"، ويختار ما يناسبه، ومن ثم تُعيد البقية إلى المتجر. بلغ الإجمالي نحو سبعين دولارًا، وهو ما يتجاوز ميزانيتها لهذه الأيام، ولكن الأحذية الفاخرة، وعليها العلامة الفخمة التي يميزها حرف "N" ذهبي صغير، تُذكِّرها بـ"ميكي".

وفي موقف السيارات، راودتها رغبة في تفقُّد ما اشترته، وعرضه على صديقاتها. أخرجت العلب من أكياس كبيرة تحمل شعار محل الألعاب الشهير "تويز آر أُس" "Toys 'R' Us". وضعت الصناديق على غطاء محرك سيارتها الـ"كورولا"، ورفعت الغطاء العلوي لكل علبة ونحَّت طبقات ورق جانبًا بحرص حتى تُريهم الأحذية. أدركت السيدات في تلك اللحظات أن من العقل أن يكتمن مشاعرهن التي لن تُضاهي أبدًا ما يعتمل في نفس صديقتهن من أحاسيس مُتضاربة جيَّاشة. اخترن التركيز على المنتجات التي أسهمن يومًا ما في تقديمها لهذا العالم. اتَّفقت عقولهن في صمت وفي الوقت نفسه - وبأعيُن كلها دهشة وَوَجَل - أنها منتجات أجمل بكثير من أن يكون مصيرها التَّكدُّس في إهمال داخل متجر "بيج جيم" وأرفُفه المعدنية. لحظتها، قدَّمت "بيف" أحد الأحذية إلى "مارثا"، لأجل "جاري"، ولكن "مارثا" أدركت أنه ليس مقاس زوجها؛ وكان عليها أن تعتذر لها بكل امتنانٍ وأدبٍ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

إهداء..

تدمير سيَّارات السِّباق في "بيليورت" ليلًا

عودة الابن الضَّال

حوار عند "الكاشير"

في الجزيرة

مُلاحظات تُعطي صورة أوضح عن الجزيرة

أب وابنه

خُطبة في المصنع

ساعة الإفطار في "ماكدونالدز"

عمل يومي بأجر يومي

الرَّقص في "أوجوستا"

"في حضرة فتيات الزُّهور"

نقاش عائلي

الطُّعم

الصَّفقة

لقاء في الحديقة

النُّزهة

الصَّيد

عربات في الغابة

التَّرانيم الجديدة

ساعة الإفطار في "ماكدونالدز"

حوار في قاعة الاجتماعات

الجزيرة.. يناير

الخبر

حوار بين أخوين

الفكرة
جنود الشِّتاء
الابنُ الضَّالُّ
مناخ أدفأ
الكنيسة
المُتسوِّقة
جنون
عزاء
ساعة الإفطار في "ماكدونالدز"
أحذية
المُكافأة
سبق الإصرار جُزء من كل غواية
جلسة تصوير
عندما تتيسَّر الأُمور
مشهد تليفزيوني
صحوة حياة
تلميذ الأستاذ
ليلة من دون نوم
إشعار
ساعة الإفطار في "ماكدونالدز"
حوار في جراج "جاري"
في الجزيرة.. الثَّالثة صباحًا
المُواجهة
تَدَاعٍ
المُفاجأة
وتمضي الأيَّام والحياة بـ"WSBEALPORT1"
السِّر

البُرج
الفكرة الجديدة
أمور فعلها "إيرل هتشينز" في أعقاب إغلاق مصنع "نوروميبيجا" للأحذية
بلاط
ساعة الإفطار في "ماكدونالدز"
أيَّام "بيليبورت"